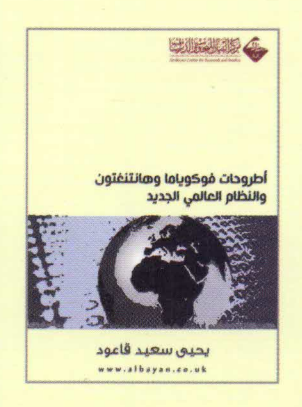


أطروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد

دراسة تحليلية مقارنة

يحيى سعيد قاعود

www.albayan.co.uk



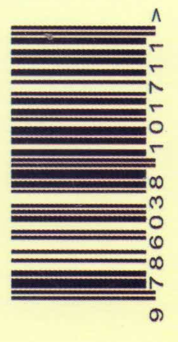
أطروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد

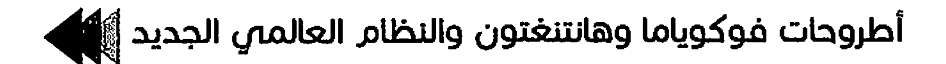
هـذا الكتاب يتناول أطروحتـي فوكـوياما وهانتنغتون بالتحليل من خلال فرضيات هاتين الأطروحتين وفلسفتهما السياسية لمستقبل النظام العالمي الجديد، وستركـز أيضًا على تحليل التنظيـر الفكـري لفوكويامـا وهانتنغتـون وتطبيقاتـه فـي الـسيـاسـة الأمريكيـة، والتحـولات الفكريـة الجديـدة فـي السياسة الأمريكيـة خلافًا لأطروحتـي فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمـي الجديـد، وأهـم التغيـرات التـي طرأت على فكرهم السياسي في القرن الحادي والعشرين.

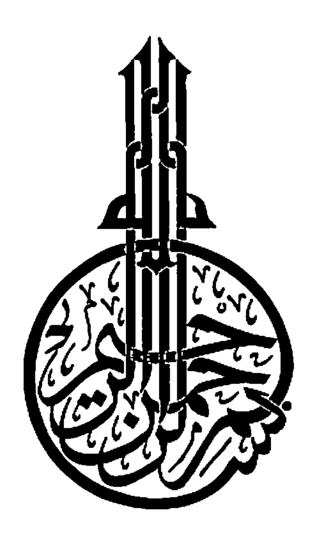
ويندرج موضوع الكتاب تحت فرع النظريـة السياسيـة وتاريـخ الفكر السياسـي أحد أفـرع علـم السياسـة، وفقًا لتصنيفات منظمة اليونسكو UNESCO عام ١٩٤٨م لفروع علم السياسة.



مكتب مجلة البيان
ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض - ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف : ٠٠٩٦٦١١٤٥٤٦٨٦٨




أطروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد



ح مجلة البيان، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قاعود، يحيى سعيد

طروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد : دراسة تحليلية مقارنة. / يحيى سعيد قاعود- الرياض ١٤٣٦هـ

٣٨٤ ص؛ ١٧×٢٤

ردمك ١-٧١-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

١ - النظام العالمي الجديد ٢- فوكوياما، فرانسيس- نقد ٣- هانتنجتون، صموييل - نقد أ. العنوان

ديوي ٣٢٧ ١٤٣٦/٤٢١٧

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٢١٧

ردمك: ١-٧١-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

أطرُوحَات

فوكوياما وهانتنغتون

والنظام العالمي الجديد

دراسة تحليلية مقارنة

تأليف: يحيى سعيد قاعود

عرفان وتقدير

يقر المؤلف بما عليه من دين وعرفان لمن جعلوا نشر هذا الكتاب ممكناً...

ويأتي على رأس هؤلاء،

الناشر مركز البيان للدراسات والبحوث، الذين تحملوا عناء المطالعة والتحكيم.

وإلى زوجتي فادية التي كانت دائماً مصدر القوة في كتاباتي.

شكراً لكم جميعاً.

***

"الحضارة الغربية الاستعمارية تعتبر الحضارات الرافضة للاحتلال

والانحلال حضارات صدامية غير ديمقراطية"

المؤلف..

مقدمة المؤلف

تعتبر الأيديولوجيات أو المعتقدات المذهبية للدول، من بين القوى الرئيسة التي تؤثر في أوضاع المجتمع الدولي وعلاقاته. فقد حدد إسماعيل مقلد عاملين رئيسين أديا إلى نمو نفوذ الأيديولوجية في العلاقات الدولية، الأول: ظهور عدد من الدول القوية في المجتمع الدولي التي تدين بأيديولوجيات تختلف عناصرها وتتنوع مضامينها إلى حد التناقض الجذري في العديد من الأحول، فقد أدت التناقضات الأيديولوجية بتفاعلاتها الدائبة وتأثيراتها المباشرة على السياسات الخارجية للدول إلى العديد من الصراعات الدولية، أما الثاني: الرأي العام في الدولة يؤثر في عملية صنع قرارات السياسة الخارجية، إن السياسة الخارجية تتشكل وفقاً للمناخ الفكري أو المذهبي العام الذي يسود الدولة[1]. فقد أدت الأحداث العالمية الكبرى بعد سقوط سور برلين عام ١٩٨٩، وما تبعه من انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وانتهاء حقبة الحرب الباردة، والتي كانت تسمى بـ "حرب الأيديولوجيات"؛ إلى تغيرات في موازين القوى وتبلور نظام عالمي جديد "أحادي القطب" تحكمه الولايات المتحدة، وهذه التحولات في موازين القوى الدولية تبعها تحولات في الفكر الذي صنع مفاهيم النظام العالمي الجديد، فقد تمت ممارسة هذه التحولات الفكرية في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية.

[١] إسماعيل مقلد. العلاقات السياسية والدولية دراسة في الأصول والنظريات، ط٤ القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١، ص: ٦٣-٦٤.

إن تأمل تطور الفكر السياسي الغربي من العصر الإغريقي وحتى القرن العشرين، يوضح أن هذا الفكر قد بلور رؤية معينة للعلاقات الدولية، فقد أبرز الفكر الغربي عدداً من المفاهيم الرئيسة في العلاقات الدولية، ولذلك نلاحظ أن معظم المصطلحات المتداولة في حقل العلاقات الدولية، مثل السلام، والحرب، والعدوان وغيرها، تعكس رؤيا قيمية للواقع الدولي، حيث تبنى على قواعد فكرية تجعل لتحديدها مدلولاً خاصاً يختلف باختلاف الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الدول المعاصرة، واهتمام علماء العلاقات الدولية المعاصرين بالحرب والسلام وبقاء الدولة وقوتها، يعد امتداداً لاهتمام المفكرين الغربيين من أمثال هوبز، وهيوم، وبنثام وغيرهم بدراسة هذه الظواهر في المجال الدولي[١].

واستنادا إلى العوامل التي حددها صبري مقلد يمكن القول أن الرأي العام الأمريكي، الذي تأججه وتأثر فيه مراكز الدراسات والأبحاث الفكرية التابعة للمحافظين الجدد، والتي ينتمي لها كل من فوكوياما وهانتنغتون، قد أثرت وبشكل كبير على صناعة القرار السياسي الأمريكي. وتنفرد الولايات المتحدة عن الدول الكبرى التي تنافسها على زعامة العالم، باعتماد إداراتها السياسية وصناع قرارها السياسي والعسكري على مراكز الأفكار "Think Tanks" وما طرحه فوكوياما

[١] محمد مفتي. العلاقات الدولية في الفكر السياسي الغربي: دراسة تحليلية الإسكندرية: فصلة من مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد الثاني، المجلد ٢٧، ١٩٩٠، ص: ٢.

في "نهاية التاريخ"[١]، وما عززه هانتنغتون في "صدام الحضارات"[٢]، قد مثل التنظير الفلسفي لإعادة صياغة النظام العالمي الجديد[٣]. إن أطروحات فوكوياما وهانتنغتون من أهم الاتجاهات الفكرية، التي قدمت تفسيراً شاملاً للنظام العالمي الجديد، والتي انتشرت على نطاق عالمي واسع بين مؤيدين ومعارضين، فكانت محل جدل كبير، حيث كانت أطروحة فوكوياما هي الأولى في العام ١٩٩٢، ثم تبعتها أطروحة هانتنغتون في العام ١٩٩٦ وقد مثلت هاتان الأطروحتان الفكر الأمريكي للنظام العالمي الجديد بعد هيمنة الفكر الليبرالي عالمياً، وتلك الأفكار حظيت بالتأييد والدعم لعدد من

[١] نهاية التاريخ "End of History": يرتبط مفهوم نهاية التاريخ بفرانسيس فوكوياما ياباني الأصل أمريكي الجنسية، والذي نشره في دورية "National Interest The" عام ١٩٨٩، بعد سقوط الإتحاد السوفيتي السابق، وبعد ذلك صدر كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" عام ١٩٩١، ويدعي فوكوياما بقوله: "نهاية التاريخ" إلى أن الفكر الديمقراطي الليبرالي يشكل أفضل النظم السياسية، وأن هذا النظام شكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، معلناً عن نهاية التاريخ، ونهاية الأيديولوجي. نظر: فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر. ت حسين أمين القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣، ص: ٨-١٧.

[٢] صدام الحضارات "Clash of Civilizations": يرتبط مفهوم صدام الحضارات بصمويل هانتنغتون يهودي الأصل أمريكي الجنسية، الذي نشره في مقال عام ١٩٩٣ في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs، وبعد ثلاثة أعوام ظهر كتاب يحمل العنوان ذاته، ويطرح فيه نزاع الحاضر والمستقبل في السياسة العالمية، من خلال الحضارات التي تشكل الصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة، معلنا عن نهاية الأيديولوجيا، والصدام الحضاري هو المحرك الجديد للتاريخ البشري. انظر: صمويل هانتنغتون: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي. ت طلعت الشايب، ط٢، القاهرة: سطور، ١٩٩٩، ص: ٣٥-٤٧.

[٣] ناظم الجاسور. الفكر السياسي الأمريكي والنظام الدولي الجديد المستنصرية: جامعة المستنصرية، المجلة السياسية والدولية، العدد ١٦، ص: ٣-٤.

صانعي القرار الأمريكي، هذا بالإضافة إلى الانتقادات الواسعة للأُطروحتين من قبل المفكرين والسياسيين.

فوكوياما يفترض تلاقي المنظومات العالمية السياسية والاقتصادية، ومن ثم منظومات القيم وأن الديمقراطية والرأسمالية قد فازت ولا يوجد في الأفق قوى قد تنتج عنها أحداث مهمة، أما هانتنغتون فإنه يتنبأ بإستمرار اختلاف المنظومات العالمية السياسية والاقتصادية، وأن العالم على حافة صدام الحضارات[١]. بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانحسار الفكر الاشتراكي، أعلن فوكوياما في أُطروحته عن انتصار الديمقراطية الليبرالية، ونهاية التناقض في المجتمع بحصول الفرد على الاعتراف العام، ومن ثم ظهور الدولة العامة والمتجانسة في نهاية التاريخ، ونهاية الأيديولوجيا في الفكر الإنساني. أما هانتنغتون فقد نظر لعالم ما بعد الحرب الباردة بنهاية الأيديولوجيا، معتبراً الحضارات هي المحرك الجديد للتاريخ، والصدام الحضاري هو محور التاريخ، فالصراع في القرن الحادي والعشرين هو صدام ثقافي بين الحضارات.

في منتصف القرن العشرين قال ديفيد إيستون David Easton إن: "الفكر السياسي المعاصر يحيا حياة طفيلية على أفكار قرن مضى، والذي يثبت العزيمة أكثر، أننا نلاحظ أملاً قليلاً في تراكيب سياسية"[٢]. ومصطلح "النهايات" لم ينج منه العلم

---

[١] ريتشارد نيسبت. جغرافية الفكر - كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف ولماذا، ت شوقي جلال، الكويت: عالم المعرفية، العدد ٣١٢، ص: ١٩٩-٢٠٠.

[٢] محمد مهنا وعبد الرحمن الصالحي. علم السياسة بين التنظير والمعاصرة، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧، ص: ٢١٥.

نفسه، ففي كتاب "نهاية العلم" للأمريكي جون هورغن John Horgan فقد أنهى العلم بأكمله، ويعلل نهاية العلم قائلاً: "العلماء حللوا معظم ألغاز الطبيعة وأعظمها، إلاّ أن مداركهم ستعجز عن حل ما تبقى منها، فالعلم انتهى وسقط ضحية نفسه"[١]. واستخدم مصطلح "النهايات" في أفرع علمية عديدة، وفي نهاية القرن العشرين، بشر فوكوياما وهانتنغتون في أطروحتيهما بنهاية الأيديولوجيا. إن الفكر السياسي في عالمنا المعاصر بمجمله يحمل في تقسيماته "بدايات ونهايات"، فاليوم نجد الفكر الحديث وما بعد الحداثة، وهذه "النهايات" طرحت من خلال آراء وأفكار مفكري الغرب، وسوف نعود لهذه الأطُروحات التي يعود لها فوكوياما وهانتنغتون لتدعيم فرضيات أطروحاتهم وآرائهم السياسية.

بناءً على ما سبق، ركز الكتاب على تحليل أطروحتى فوكوياما وهانتنغتون من خلال فرضيات هاتين الأطروحتين وفلسفتهما السياسية لمستقبل النظام العالمي الجديد[٢]، وسنركز أيضاً على تحليل التنظير الفكري لفوكوياما وهانتنغتون وتطبيقاته

---

[١] رفيف صيداوي. عصر النهايات أم إتجار بالأوهام مؤسسة الفكر العربي: نشرة إلكترونية، ٢٠١٢، http://arabthought.org

[٢] النظام العالمي الجديد: يعتبر مورتون كابلان Morton Kaplan صاحب الجهد الأكبر بين جميع الباحثين في تحديد قواعد ونماذج للتفاعل داخل نماذجه التي وضعها للنظام الدولي، وهو بذلك أول من أدخل المعالجة النسقية في العلاقات الدولية، ويعرف النظام الدولي بأنه: السياسة العلمية لا يمكنها أن تتطور وتنمو إلا من خلال محاولتها معالجة المواد السياسية بوصفها أنظمة للفعل، ونظام الفعل هو جملة من السلوك القابلة لوصف العلاقات الداخلية والمتغيرات فيما بينها وعلاقات كل المتغيرات الفردية بمركبات من المتغيرات بخارج النظام. انظر: عبد الرحمن برقوق. مفهوم النظام الدولي في مجال العلاقات الدولية، مجلة العلوم الإنسانية الجزائر: محمد خضر بسكرة، ٢٠٠٢. ٣٥-٣٦. =

في السياسة الأمريكية، والتحولات الفكرية الجديدة في السياسية الأمريكية خلافاً لأطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، وكذلك الكشف عن أوجه الاختلاف وأوجه الالتقاء في فكر فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد، وأهم التغيرات التي طرأت على فكرهم السياسي في القرن الحادي والعشرين.

ويندرج موضوع الكتاب تحت فرع النظرية السياسية وتاريخ الفكر السياسي أحد أفرع علم السياسة، وفقاً لتصنيفات منظمة اليونسكو UNESCO عام ١٩٤٨

= وقد عرف كينت ولتز Kenneth waltz النظام الدولي بأنه: مجموعة من الوحدات التي تتفاعل فيما بينها، فمن ناحية يتكون النظام من هيكل أو بنيان، ويتكون من ناحية أخرى من وحدات تتفاعل معاً. انظر: رباحي أمينة. تأثير التحولات الاستراتيجية في النظام الدولي على التنظير في العلاقات الدولة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية الجزائر: جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، ٢٠١١، ص: ٢٨.

وهذا النظام تتغير فيه موازين القوى الدولية، فبعد الحرب العالمية الثانية كان النظام العالمي يتشكل من "الثنائية القطبية"، تتحدد هيكلية النظام الدولي في هذا النموذج بوجود قوتين تمتلكان مصادر القوة والنفوذ في العالم، وكانت هاتان القوتان تتبعان كتلتين وأيديولوجيتين مختلفتين وهما: الكتلة الشرقية "الاشتراكية"، والكتلة الغربية "الرأسمالية".

النظام العالمي الجديد يتشكل من "آحادي القطبية" أي وجود دولة عظمى واحدة، تمتلك صفة الدولة الأهم في العالم، ويصف محمد المزايمة هذا النظام بأنه: بروز دولة واحدة على قمة الهرم الدولي، وتقوم بوظيفة توزيع الأدوار، وفرض السياسات التي تريد على بقية وحدات النظام، وقد برز هذا النظام بقيادة الولايات المتحدة للعالم منذ العام ١٩٩١، بعد أزمة الخليج الثانية وأفول نجم الاتحاد السوفيتي السابق. انظر: محمد المزايمة. قضايا دولية تركه قرن مضى وحمولة قرن أتى، عمان: دار حوران للدراسات والنشر، ١٩٩٤، ص: ٢٢.

لفروع علم السياسة، ويصف كمال الأسطل فرع النظرية السياسية "جاءت في مكان الصدارة بين ضروب المعرفة السياسية، وهي بذلك تمثل الجذع المشترك لشتى فروع المعرفة السياسية"[١].

[١] كمال الأسطل. نظريات العلاقات الدولية غزة: جامعة الأزهر - بغزة، ٢٠٠٨، ص: ٤.

يتكون هذا الكتاب من ثمانية فصول رئيسة، نضع أولها بوصفه مدخلاً عاماً وتعريفاً لأهم المصطلحات الفكرية والسياسية التي يتناولها الكتاب لفهم مصوغات وفرضيات فوكوياما وهانتنغتون وما ينظران له في النظام العالمي الجديد، وفي سياقها التاريخي لتحليل العلاقة بين أطروحات فوكوياما وهانتنغتون بفلسفة التاريخ وصدام الحضارات.

ويستعرض الفصل الثاني الأطروحات الفكرية حول الحضارة والأيديولوجيا في الفكر الغربي المعاصر، وذلك لمقارنة ما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون في أطروحاتهما مع ما طرحه الفلاسفة والمفكرون السابقون، وخاصة الطرح الفكري لنهاية الأيديولوجيا عند المفكرين. وكذلك البحث عن جذور الفكر المحافظ الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيره على الفكر السياسي الأمريكي بشكل عام، ومن ثم الانتقال إلى التنظير الفكري الجديد للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويناقش الفصل الثالث أطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ"، والفرضيات التي يصوغها في أُطروحته لمستقبل النظام العالمي الجديد، ومن ثم نحلل هذه الفرضيات بالتفصيل، وتبحث أيضاً عن وجهة نظر المفكرين فيما يطرحه فوكوياما من فرضيات وتحليلات واستنتاجات، ونناقش أيضا فلسفة التاريخ عند فوكوياما من حيث النهاية وظهور الدولة العامة المتجانسة في النظام العالمي الجديد.

ويتناول الفصل الرابع أطروحة هانتنغتون "صراع الحضارات"، والفرضيات التي يصوغها في أُطروحته لمستقبل النظام العالمي الجديد، ومن ثم تحليل هذه الفرضيات بالتفصيل، وتبحث أيضاً عن رأي المفكرين السابقين عما يطرحه

هانتنغتون في أُطروحته، ونناقش فلسفة التاريخ عند هانتنغتون واستمرارية التاريخ وظهور الصراع الثقافي بين الحضارات في النظام العالمي الجديد.

وتضمن الفصل الخامس النقد الفكري لأُطروحات فوكوياما وهانتنغتون، والبحث عن صحة فرضياتها في أطروحاتها، وكذلك النقد الموجه من قبل المفكرين والباحثين. وقد قدمت الدراسة النقد الفكري من خلال محورين رئيسين هما: النقد الفكري والنقد الواقعي كي نرى مدى صحة هذه الفرضيات في الواقع المعاش.

يتناول الفصل السادس أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية، وأهم المتغيرات بعد تراجع المحافظين الجدد عن مناصب السلطة السياسية في عهد الرئيس باراك أوباما، ويناقش الفصل أيضاً الممارسة العملية لفكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية في الألفية الثالثة.

وسأستعرض في الفصل السابع الالتقاء والاختلاف بين أُطروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد، وفي الختام أعرض جدولاً مبسطاً لمقارنة الأفكار السياسية عند فوكوياما وهانتنغتون، موضحاً نقاط الالتقاء والاختلاف في تفسيراتها وتنبؤاتها لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين.

وفي الفصل الثامن جاءت خاتمة الدراسة ونتائجها وتقديم مجموعة من الأفكار والتوصيات.

يحيى سعيد قاعود

فلسطين- ١٤ شباط ٢٠١٥

الفصل الأول: المدخل والتعريف

ليس باستطاعتنا الحديث عن أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون، دون التطرق للدراسة النظرية والعودة للمفاهيم الأساسية التي تتناولها الدراسة بالبحث والتحليل، ففي هذا الفصل سوف نتطرق إلى تاريخ الفكر السياسي والمفاهيم المتعلقة بالتاريخ والفكر، بالإضافة إلى الحضارة والثقافة كمدخل نظري للدراسة، والترابط والاختلاف بين المفاهيم. فقد عاد فوكوياما وهانتنغتون للنظريات السياسية والنظريات الفكرية في التراث الغربي القديم والوسيط، وكي نستطيع الحديث عن تلك الحقب التاريخية وعن تفسير ما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون كان لابد من العودة لتلك المفاهيم والمصطلحات.

أولاً: تاريخ الفكر السياسي:

إن تاريخ الفكر السياسي يعتبر جزءاًمن التاريخ العام للإنسانية، فهو الذي يهتم بالحياة السياسية للمجتمعات البشرية، كما أنه يبحث في كيفية ظهور الأفكار السياسية لأول مرة، وكيف تطورت بتطور العقل الإنساني[١]. ويعطي جان جاك شوفالييه الفكر السياسي أهمية بالغة في حياة الإنسان، "إن الفكر السياسي هو أحد أشكال الأعمال الفكرية حول وضع الإنسان في المجتمع، والذي ساهم بقوة في صنع الحضارات"[٢].

---

[١] إبراهيم أبراش. أصول الفكر السياسي من حكم الملوك الآلهة إلى الفكر الليبرالي العلماني، ط٢، غزة: مطبعة المنارة، ٢٠٠٦، ص: ٣.

[٢] جان جاك شوفالييه. تاريخ الفكر السياسي. ت محمد صاصيلا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص: ٧.

ولتوضيح مفهوم الفكر السياسي والأيديولوجيا السياسية، لابد لنا من تسلسل التعريفات حتى نصل إلى ما نصبو إليه من توضيح وفهم للمفاهيم والمصطلحات التي تتعلق بموضوع الدراسة، ولتجنب الخلط فيما بينها. فلم يأتِ الفكر إلا بوجود تاريخ عاش فيه الإنسان وتأمل في حياته، فصاغ أفكاره حول الكون الذي يعيش فيه، فتبلورت فيما بعد تلك الأفكار مكونة عند بعض المفكرين نظريات سياسية في فلسفة التاريخ.

مفهوم التاريخ:

يعرف علم التاريخ بأنه: "دراسة للتطور البشري من جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية، أياً كانت معالم هذا التطور وظواهره واتجاهاته"[١]. أما المعجم الفلسفي فيعرفه كما يلي: "التاريخ في اللغة تعريف الوقت، وتاريخ الشيء ووقته وغايته، والتاريخ أيضاً علم يبحث في الوقائع والحوادث"[٢].

علم التاريخ: يبحث عموماً في الموجود من مخلفات الماضي وسجلاته التي قد تعين على جلاء الحاضر وتوضيحه، إن علم التاريخ مجرد طريقة علمية في البحث، أما موضوعاته فتشمل جميع المسائل البشرية[٣]. وباختلاف تعاريف التاريخ، فإن وجود التاريخ منذ أقدم العصور راجع بالأساس لارتباطه العضوي بالإنسان الذي يمثل

[١] رأفت الشيخ. تفسير مسار التاريخ نظريات في فلسفة التاريخ، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠، ص: ٧.

[٢] جميل صليبا. المعجم الفلسفي بالألفاظ الغربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج١، ١٩٨٢، ص٢٢٧.

[٣] مصطفى النشار. فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها، عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠١٢، ص ٢٦.

العنصر الأول في تعريف التاريخ، فلولا وجود الإنسان لما وجد التاريخ، ولم يرتق إلى هذا المستوى إلا عندما تجاوز القصص والأساطير[١].

في ضوء هذا التعريف الموجز يمكن لنا توضيح معنى ومفهوم التاريخ بالشرح والتحليل. يذكر إسحاق عبيد في كتابه "معرفة الماضي"، أن أصل كلمة التاريخ في الغرب يرجع إلى اليونان، وإن كلمة "أستوريا Historia" يونانية الأصل تدل جذورها على معنى الرؤية، حيث تعني كلمة "أستور Histor" الرؤية والمشاهدة أو الاستقصاء بقصد المعرفة[٢]. وفي اللغة العربية التاريخ والتأريخ والتواريخ يعني الإعلام بالوقت، وقد يدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة[٣]. إن الغاية من دراسة التاريخ تكمن في فهم الأحداث وتفاعلها مع الفكر الإنساني أكثر من معرفة الأحداث في حد ذاتها، ولا يحصل الفهم إلا إذا أخذنا جملة العوامل المتداخلة في صنع الحدث التاريخي "سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، داخلية، خارجية..."[٤].

من خلال التعريفات السابقة نجد أن التاريخ يتداخل مع العلوم الأخرى، فهو يرتبط بتطور الإنسان في جوانب حياته كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على مر العصور. وعندما نبحث في العلاقة بين التاريخ والسياسة، نجد أن هناك علاقة وثيقة تربط التاريخ بعلم السياسة؛ فالسياسة بدون تاريخ لا معنى لها، والتاريخ بدون

[١] فريد سليمان. مدخل إلى دراسة التاريخ، القاهرة: مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٠، ص: ١٠.
[٢] رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص: ٧.
[٣] حسن عثمان. منهج البحث التاريخي، ط٨ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠، ص: ١٢.
[٤] فريد سليمان، مرجع سابق، ص: ٢٣.

سياسة لا طعم له. فيما يرى صايل الخطايبة أن التاريخ هو: السجل لأحداث البشرية على مر الزمان، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فهم الأحداث السياسية لأي قضية دون العودة لجذور القضية السياسية، فمثلاً الصراع العربي الصهيوني كما يعتقد الصهاينة ليس وليد عام ١٩٤٨، بل عمره يتجاوز آلاف السنين[١].

تعتبر الأحداث التاريخية من أهم الموضوعات التي يهتم بها علم السياسة، لأنها المصدر الرئيس للأحداث السياسية الماضية، خاصة في معرفة الفكر السياسي والنظرية السياسية قديماً وحديثاً، فالتاريخ هو سجل للوقائع والأحداث التاريخية والعلاقة بين السلطة ورعاياها، والعلاقات الدولية، فلا يمكن دراسة أي حالة سياسية إلا بالعودة لجذورها التاريخية[٢].

وتطور التنظيم السياسي عبر التاريخ، فمنذ ظهور الإنسان بدأ بتصورات سياسية أسطورية حتى وصل إلى الأفكار السياسية، وقد صاغ أوجست كونت Auguste Comte ١٧٩٨-١٨٥٧ الأطوار الثلاثة لتاريخ الفكر الإنساني في ثلاث مراحل وهي: الميثولوجي، والميتافيزيقي، والعقلاني الإنساني[٣]. وبعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩، حدثت تغيرات جوهرية في النظم السياسية للدول الأوربية، نتيجة لفكر عصر النهضة- التنوير "القرن الثامن عشر"، الذي أدى إلى ظهور النظريات

[١] صايل الخطايبة، مدخل إلى علم السياسة، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص: ٤٠-٤١.

[٢] قحطان الحمداني. المدخل إلى العلوم السياسية، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص: ١١٢.

[٣] حسن صعب. علم السياسة، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧، ص: ٣٩-٤١.

السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، كالليبرالية والاشتراكية والفاشية والنازية. وللتمييز بين الفكر والنظرية السياسية وعلم السياسة، سوف نعرفها بشكل سريع لتجنب الخلط فيما بينها.

يعرف الفكر السياسي بأنه: "صياغات عقلية تفسر الواقع أو جزءاً من الواقع، وتحاول فهمه وتربط بين الظواهر بعضها ببعض"[1]. ويعرف محمد ربيع الفكر بأنه: "تصور عقلي لظاهرة سياسية أو شيء سياسي، بمعنى حصول صورة الظاهرة في الذهن"[2]. وتُعرف النظرية السياسية بأنها: "مجموعة فروض متسقة فيما بينهما اتساقاً منطقياً تبدو لصاحبها أنها تمثل حقيقة واقع سياسي معين"[3]. والنظرية بشكل عام هي: "الفكرة التي يتصورها العقل للخروج برأي إيجابي يتبناه صاحب النظرية نتيجة لتجاربه في الحياة واستقراء أمورها"[4].

وبالانتقال للفلسفة ومفاهيمها وأفرعها بوصفها علماً، لابد لنا من تحديد مفهوم الفلسفة، كي نستطيع تحديد مفهوم فلسفة التاريخ. تدل كلمة فلسفة المشتقة من اليونانية، على محبة الحكمة، وقياساً على ذلك فإن الفيلسوف هو صديق الحكمة،

---

[1] إبراهيم أبراش، مرجع سابق، ص: ١٢.

[2] محمد ربيع. الأيديولوجيا السياسية ماهيتها ودورها وعلاقتها بالحقائق والقيم، القاهرة: مجلة مصر المعاصرة، العدد ٣٧٤، ١٩٧٨، ص ١٠٩.

[3] عادل عبد الرحمن. النظرية السياسية المعاصرة دراسة في النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة، الإسكندرية: الدار الجامعية، ٢٠٠٧، ص: ٣٣.

[4] صايل الخطابية. مرجع سابق، ص: ٤٠-٤١.

وهو الذي يتميز بجهده في البحث عن كل شكل من أشكال المعرفة[١]. ويُعرف محمد ربيع الفلسفة بصفة عامة أنها: "الرؤية المتعمقة أو النظرة الشاملة أو مجموع النظرات الشاملة التي تحاول تفسير العالم والطبيعة والإنسان"[٢].

وقد يُطلق لفظ الفلسفة على مذهب فلسفي معين، كفلسفة أفلاطون، أو فلسفة كانط، أو قد يطلق على مجموع المذاهب الفلسفية في أمة معينة كالفلسفة اليونانية، أو في زمان معين كفلسفة القرون الوسطى[٣]. أما في عالمنا المعاصر فتسمى الفلسفة السياسية بمسميات عدة، فقد يُطلق عليها فلسفة التاريخ الهيجلية أو الماركسية.

يووضح مصطفى النشار مفهوم الفلسفة السياسية بأنها: بحث عقلي في مشكلات الإنسان عموماً، وبهذا تكون الفلسفة السياسية في طبيعتها الأصيلة ذات طابع معياري يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين البشر؛ حاكم ومحكوم داخل المجتمعات السياسية، ويبحث فيما ينبغي أن يحكم هذه العلاقة من قوانين. ومن جانب آخر هي بحث عقلي معياري تحاول الارتقاء بالقيم السياسية في المجتمعات الإنسانية[٤].

---

[١] بيتر كونزمان وأخرون. أطلس الفلسفة، ت جورج كتورة، ط٢، بيروت: المكتبة الشرقية، ١٩٩١، ص: ١١.

[٢] محمد ربيع. مرجع سابق، ص: ١٠٩.

[٣] جميل صليبا. مرجع سابق، ج٢، ص ١٦٠-١٦١.

[٤] مصطفى النشار. تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص: ٢٢.

ويرجع أول استخدام للفظ "فلسفة التاريخ"، إلى فولتير Voltaire ١٦٩٤-١٧٧٨ ويعني به: "دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وهو في ذلك يعني كل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك"[١]. وتُعرف فلسفة التاريخ في معجم أطلس الفلسفة بأنها: "تحاول الإحاطة بماهية التاريخ ومعناه وسيره وتأويله، كما تحاول أيضاً أن تفهم الإنسان في مسيرته التاريخية"[٢].

في عرضنا للمفاهيم السياسية نجد ترابطاً واختلافاً بين المفاهيم، لذا سوف نبين تلك الروابط والاختلافات بين المفاهيم والمصطلحات السياسية.

إن الفرق بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية واضح من خلال المفاهيم التي ذكرت سابقاً، غير أن هناك ترابطاً بالدور الذي تقوم به كل منهما، ويفرق مصطفى النشار بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية قائلاً: أن أول فرق يتبادر إلى الذهن، هو الفرق العام بين الفلسفة والعلم؛ فالمعروف أن الفلسفة إنما هي بحث عقلي في مشكلات الإنسان عموماً، وهي لا تلتزم بالواقع إلا بقدر ما يحقق الانطلاق العقلي نحو حل مشكلات هذا الواقع. ومن ثم كان الفرق العام بين الفلسفة السياسية والعلم يكمن في غلبة الطابع المعياري على الفلسفة بينما يغلب الطابع الوصفي على العلم[٣].

---

[١] أحمد صبحي. في فلسفة التاريخ، القاهرة: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥، ص: ١٢٣.

[٢] بيتر كونزمان وآخرون. مرجع سابق، ص: ١٣.

[٣] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ٢١-٢٢.

يُفرق محمد مهنا بين الفكر والنظرية السياسية قائلاً: "الآراء والأفكار والنظريات مترادفة وهدفها واحد، ولكنها تفصل بين الآمال وما يتصوره العقل وبين العقل والتطبيق، والنظرية هي نهاية المطاف في الآراء والمذاهب، فهي ثمرة الملاحظة، وتتعدى التسجيل إلى التفسير، ووضع قواعد سياسية"[1]. أما محمد ربيع فيعطي تحليلاً آخر حول المفاهيم موضحاً الترابط فيما بينها حيث يقول: "النظرية السياسية من وجهة النظر العلمية هي أرقى من الفكر والفلسفة السياسية، فهي أمل كل باحث للتدليل على صحة الفروض، والنظرية عند الفلاسفة هي قضية تثبت بالبرهان، وهي تركيب عقلي تثبت بالبرهان، فهي تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ"[2]. وحينما يعود الباحث إلى تاريخ المجتمعات الإنسانية، من مؤسسات وأفكار وفلسفات، هذا لا يعني أن الماضي منقطع الصلة مع الحاضر، فالبحث التاريخي هو شرط للباحث العلمي لفهم واستجلاء أحداث الحاضر، وتفهم ما يتصارع في داخله من أفكار ومذاهب وأيديولوجيات[3]. فإن الحديث عن فلسفة التاريخ يقصد به تاريخ الإنسان، لأنه الكائن الواعي الوحيد بين الموجودات، ولا فلسفة حيث لا وعي، ولهذا فلا محل للحديث عن فلسفة التاريخ بالنسبة إلى غير الإنسان[4]. ويمكن القول بأن النظرية السياسية العلمية تثبت بالتجربة والبرهان، والفلسفة السياسية عند المفكر قد تترابط وتتطور لتصبح في النهاية نظرية سياسية؛ أو

---

[1] محمد مهنا. علم السياسة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص: ٧٣.

[2] محمد ربيع. مرجع سابق، ص: ١٠٩.

[3] إبراهيم أبراش. مرجع سابق، ص: ٧.

[4] عبد الرحمن بدوي. فلسفة القانون والسياسة عند هيجل، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦، ص: ٢٨٣.

أن تبقى مجرد أفكار سياسية تصورها لمجتمعه.

إن تاريخ الفلسفات السياسية- إذا ما ربطنا بينه وبين الظروف السياسية التي ظهرت فيها - لا يزدهر إلا في العصور التي تشتد فيها الأمراض السياسية في المجتمعات. وهنا تكون الحاجة ملحة لظهور فيلسوف يشخص المرض ويقدم العلاج[١]. ومن ثم يبدأ الترابط بين الدور الذي تقوم به الفلسفة السياسية والواقع السياسي المعاش، حيث ينظر الفيلسوف من خلال العصف الفكري الذي يقدمه للخروج من الواقع المريض الذي يتطلب وصفة علاجية؛ وهنا يقدم الفيلسوف في فكره السياسي تشخيصاً علاجياً لهذا الواقع، وبهذا ينهض المجتمع من حالته المترهلة إلى الأفضل.

إن التاريخ البشري نفسه ليشهد بكل وضوح وجلاء أن الفلاسفة لم يحيوا يوماً بمعزل عن التاريخ أو بمنأى عن الأحداث السياسية، وإنما هم قد تجاوبوا دائماً مع الإطار الحضاري الذي عاشوا فيه أو هم قد حاولوا أن يعكسوا في فلسفاتهم أصداء واقعهم الحي دون أن يغفلوا في الوقت نفسه مهمة التعبير عن آمال مجتمعاتهم وأحلام مواطنيهم[٢]. وهذا ما يؤكده لنا ارتباط فلاسفة السياسة بواقعهم السياسي والاجتماعي وعدم انفصالهم عنه حتى في أكثر الفلسفات السياسية مثالية؛ فلم تأتِ "يوتوبيا" أفلاطون إلا بالنظر إلى ما كانت تعانيه المجتمعات اليونانية من أمراض سياسية. ولم تأتِ أفكار مكيافيلي - إلا نتيجة لما كان يعانيه المجتمع الإيطالي من

[١] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ٢٤.

[٢] أنس شكشك. فلسفة الحياة دراسة الفكر والوجود، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص: ٦٣.

انقسام وتناحر، ولم يقدم فلاسفة التنوير فولتير وروسو ومنتسكيو أفكارهم السياسية من فراغ، بل بالنظر إلى ما كانت تعانيه أوروبا من واقع سياسي مؤلم فيه الكثير من الظلم والتعسف[1]. وفي كتابات كارل ماركس وما قدمه لنا في فلسفته للتاريخ، كان وصفاً لحالة المجتمع الذي يعيشه، وما يراه يومياً وهو ذاهب لعمله الصحفي كل يوم. فقد نظر ماركس إلى الاشتراكية وإلى الشيوعية، كي ينهي حالة الظلم الواقعة على العامل في ظل النظام الرأسمالي المتوحش، ويعيد له حقوقه وكرامته. وهنا نطرح سؤالاً عن طبيعة الواقع السياسي والاجتماعي الذي دعا فوكوياما وهانتنغتون لطرح أفكارهم السياسية؟.

لعل أهم الأسباب التي أدت لهذه التنظيرات الفكرية هو انهيار الاتحاد السوفيتي، ومن ثم سقوط الاشتراكية بوصفها أيديولوجيا عالمية منافسة للولايات المتحدة، التي يراد لها من قبل هذه التنظيرات أن تكون "الإمبراطورية العالمية"، ومن خلال عرض وتحليل أطروحاتها الفكرية سوف نتعرف إلى تشخيصها الدقيق للنظام العالمي الجديد وما ينبغي فعله في السياسة العالمية.

مفهوم الأيديولوجيا:

قبل دراسة نهاية عصر الأيديولوجيا، يجب علينا أن نتعرف إلى مفهوم الأيديولوجيا الذي ظهر وانتشر بوصفه مصطلحاً في دول العالم في بدايات القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت حقبة الحرب الباردة "حرب

[1] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ٢٤-٢٥.

الأيديولوجيات"، بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق والدول التي تدور في فلكهما.

جاء أول استخدام للأيديولوجيا من قبل دستوت دتراسي Destutt detracy (١٧٥٤-١٨٣٦)وهي مركبة من مقطعين "Idea" فكرة و"Loges" علم، والهدف من المفهوم الجديد أن يحل محل "الميتافيزيقا" التي كانت غير ذات قيمة بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩، ويعرف دتراسي الأيديولوجيا: "هي العلم الذي يرمي إلى دراسة الأفكار على أنها وقائع الوعي، ويكشف خصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالإشارات التي تعبر عنها"[١]. وكان هدف الأيديولوجيين تأسيس علم الأفكار "Science of Ideas" لدراسة وفهم الأفكار والمفاهيم المجردة، وتكوينها وشروط مطابقتها للحقيقة حتى يكون الفكر متمتعاً بدرجة اليقين التي تتمتع بها العلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء[٢].

إن الأيديولوجيا من المفاهيم التي أخذت تعريفات ومعاني مختلفة عدة، فقد اختلف الفلاسفة على تحديد مفهوم للأيديولوجيا، ولا يوجد مفهوم محدد يحظى بقبول عام عند علماء السياسة اليوم. ولعل الميزة الواضحة لهذا المفهوم الاجتماعي- العلمي أنه جامع شامل، بمعنى أنه ينطبق على كل المذاهب، الليبرالية كالماركسية، والتيار المحافظ كالفاشستي، وهكذا[٣]. وعليه سوف نعرض مفهوم الأيديولوجيا

[١] حسن صعب. مرجع سابق، ص: ٥٢.

[٢] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. الأيديولوجيا والسياسة دراسات في الأيديولوجيات السياسية المعاصرة، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٥، ص: ١٧.

[٣] أندرو هيود. مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ت محمد صفار، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢، ص: ٢١.

من خلال إبراز المفهوم الغربي والشرقي لها وكذلك عند العرب.

تعرف الأيديولوجيا بأنها: "نظام من القيم والمعتقدات بشأن مختلف مؤسسات المجتمع التي يتم قبولها كحقيقة من خلال مجموعة من الناس"[١]. يُعرف محمد أبو ريان الأيديولوجيا: "هي مجموعة من العقائد والأفكار والتصورات والمشاعر والتقاليد والآمال والظروف الزمانية والمكانية، التي تؤثر في أنماط السلوك للأمة والجماعة"[٢].

حدد كارل مانهايم Karl Mannheim ١٨٩٣-١٩٤٧ معنيين متميزين للأيديولوجيا: "المعنى الجزئي"، وهي عندما تدل الكلمة على موقف متشكك من أفكار وتصورات الخصم، أما "المعنى الكلي"، فيشير إلى أيديولوجيا جماعة تاريخية محددة، كأيديولوجيا طبقة معينة، عندما يكون الهدف توضيح سمات وتركيب البناء الكلي لعقلية هذه الجماعة"[٣]. وتعني الأيديولوجيا عند أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci١٨٩١-١٩٣٧: "تصوراً للعالم، يتجلى ضمنياً في الفن والقانون، وفي النشاط الاقتصادي، وفي جميع ظواهر الحياة الفردية أو الجماعية"[٤].

---

[1] Sargent. Contemporary Political Ideologies A comparative analysis (Ottawa: printed in Canada, 2009), p: 2. Lyman.

[٢] عبدالله الأنصاري. الأيديولوجيا واليوتوبيا في الHنساق المعرفية المعاصرة دراسة مقارنة بين كارل مانهايم وتوماس كون، رسالة ماجستير، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص: ١٩.

[٣] كارل مانهايم. الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ت محمد رجا الديريني، الكويت: شركة المكتبات الكويتية، ١٩٨٠، ص: ١٢٩.

[٤] عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل. المدخل في الأيديولوجيا والحضارة، القاهرة: مكتبة بستان المعرفة، ٢٠٠٦، ص: ٤٢.

وتطرق المفكرون العرب لتعريف الأيديولوجيا ولتوضيح مفهومها، فيقول عبدالله العروي: "أدلوجة" حين ينقلها للمعنى العربي، ويقابلها "الدعوة" في الاستعمال الباطني للكلمة في اللغة العربية، ويعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي يراد تحقيقها على المدى القريب والبعيد[١]. يُعرف أندرو هيود Andrew Heywood الأيديولوجيا: "هي مجموعة متماسكة بدرجة تزيد أو تنقص من الأفكار التي تضع أساساً للنشاط السياسي المنظم، سواء قصد به الحفاظ على نظام القوة القائم أو تعديله أو الإطاحة به". ولذلك تتمتع كل الأيديولوجيات بالملامح التالية[٢]:

١. تقدم توصيفاً للنظام القائم عادة ما يكون في شكل "رؤية كونية".

٢. تقدم أنموذجاً للمستقبل المرجو، أي رؤية عن "المجتمع الصالح".

٣. تفسير كيف يجب ويمكن إحداث التغيير السياسي.

أما موسوعة "لالاند الفلسفية"، فإنها تربط الأيديولوجيا بالماركسية التي استخدمتها بشكل أوضح من الأيديولوجيين الفرنسيين، فقد استخدم كارل ماركس Karl Marx ١٨١٨-١٨٨٣ "تفسير الأيديولوجيا" مقابل الوقائع الاقتصادية[٣].

---

[١] عبدالله العروي. الأيديولوجيا العربية المعاصرة صياغة جديدة الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥، ص: ١٩.

[٢] أندرو هيود. مرجع سابق، ص: ٢١-٢٢.

[٣] أندريه لالاند. موسوعة لالاند الفلسفية، ت خليل أحمد خليل بيروت: منشورات عويدات، المجلد ١، ج٢، ٢٠٠١، ص: ٦١١-٦١٢.

ويرى كارل مانهايم أن لفظ "الأيديولوجيا" يرتبط في معظم أذهان الناس بالماركسية.

ويمكن تفسير ذلك من الناحية العملية بعاملين أساسين، الأول: الأيديولوجيا الاشتراكية التي انبثقت عن فكر كارل ماركس وبمساعدة أنجلز، فهي واضحة عكس الليبرالية التي تطورت على يد فلاسفة ومفكرين عدة عبر قرنين من الزمان، أما الثاني: فهي شمولية الماركسية التي تعطي لكل سؤال جواباً من خلال أيديولوجيا شاملة جوانب الحياة كافة وتوصف بالجمود، أما الليبرالية فهي ديناميكية تتطور حسب معطيات المجتمع الجارية.

ثانياً: الحضارة:

ظهرت كلمة Civilization بالفرنسية سنة ١٧٣٤، وأصلها واضح: فهي تندحر مباشرة من صفة "متحضر" المشتقة من صفة "مدني، حضري"[١]. وفي سياق عصر التنوير، ظهرت كلمة الحضارة ""Civilization عام١٧٥٧، في كتاب "صديق الرجال أو مبحث في السكان" للماركيز دو ميرابو[٢] de Mirabeau وكلمة حضارة في هذا الكتاب تعني: "المسار الذي يجعل الناس متمدنين"، وكتب العديد من العلماء والمفكرين وهم يقارنون بين "البربرية" و"الحضارة" ويتصورون بأن تاريخ البشرية

[١] رولان بريتون. جغرافيا الحضارات، ت خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ١٩٩٣، ص: ١٩.

[٢] المركيز دو ميرابو de Mirabeau ١٧٤٩-١٧٩١: كاتب وصحفي فرنسي، أدار مفاوضات فاشلة مع النظام الملكي الفرنسي أثناء الثورة في محاولة للتوفيق بين النظام القائم والثورة الفرنسي.

يسير باتجاه أوحد وهو يقود من المصطلح الأول إلى الثاني[١].

ترتبط الحضارة بتاريخ الإنسانية عبر العصور والأزمنة، وقبل تحليل علاقة الحضارة بالتاريخ والكشف عن مضمونها، سوف نقوم بعرض لأهم التعريفات التي طرحها المفكرون والفلاسفة حول معنى وتعريف الحضارة، وتحديد مكوناتها وصيرورتها عبر التاريخ.

مفهوم الحضارة:

تقول موسوعة السياسة أن الحضارة: "هي مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم"[٢]. بينما أوضحت الموسوعة أن البعض يركز على استخدام المصطلح من الناحية الثقافية، بينما يركز البعض الآخر على استخدامه مصطلحاً للتقدم العلمي والتكنولوجي.

ويعرفها ديورانت Will Durant١٨٨٥-١٩٨١، في موسوعته "قصة الحضارة" بأنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد، ومتابعة

---

[١] تزفيتان تودوروف. الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات، ت جان ماجد جبور، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - كلمة، ٢٠٠٩، ص: ٣٤.

[٢] انظر: موسوعة السياسة، ج٢.

عبد الوهاب الكيالي وآخرون، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ب-ت، ص: ٥٤٩.

العلوم والفنون[1]. بالرغم من تحديد ديورانت لمكونات الحضارة الأربعة، إلا أنه حدد تقدمها بالإنتاج الثقافي.

ويعرف صايل الخطايبة الحضارة بأنها: "نتاج لجهد بشري منظم استطاع عبر سنين طويلة أن يمر بمختلف تجاربه اليومية، وبتحديد نمط حياته بشكل منظم، وسلوكيات أفراده داخل مجتمع معين بهيكله السياسي والاقتصادي والاجتماعي والصحي والزراعي والعسكري، بالإضافة إلى الديني والروحاني"[2]. ويتضح من هذا التعريف أن الحضارة شامله لمناحي الحياة البشرية كافة، من مؤسسات تنظيمية وأنماط حياة المجتمع المادية والمعنوية.

وتفرق بتول جندية بين الحضارة والمدنية قائلة: إن لقب الحضارة هو وصف قيمة يطلق على أمة من الأمم لتمايز نوعي في طبيعة قيمها ووجودها المادي والمعنوي، وقوة تأثيرها في محيطها، وعندما يغدو هذا التمايز كمياً فإن الحضارة تدخل في طور المدنية، فالمدنية مرحلة من مراحل الحضارة، وليست هي الحضارة، وإذا كان الغالب في الحضارة أن تكون روحية بمعني قيمية، أو مبدئية، فإن المدنية تكون في الغالب مادية ونفعية[3].

---

[1] انظر: قصة الحضارة، م١، ج١. ديورانت. ت زكي نجيب محمود بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨، ص: ٣.

[2] صايل الخطايبة. مرجع سابق، ص: ١٣.

[3] بتول جندية. على عتبات الحضارة- بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، حلب: دار الملتقى من أجل وعي أعمق بقضايا الإنسان، ٢٠١١، ص: ١١-١٢.

ويمكن عرض الخصائص العامة للحضارة على النحو التالي[1]:

١. الحضارة صفة لصيقة للمجتمع البشري، بغض النظر عن نمطها الذي تمتاز به إن كان بدائياً أو متطوراً، وإن كان طابعها المميز دينياً أو زراعياً أو صناعياً، فهذا لا يمنع ظهور الحضارة بوصفها نتيجة حتمية للتجمع البشري.

٢. الحضارة لابد أن يكون لها وسط بشري تشيع بين أفراده، وتزدهر بعملية ديناميكية فيما نسميه بالتحضر.

٣. الحضارة مركب كلي تتضافر الوحدات فيه فيما يسمى بالسمات الحضارية التي تكون كل مجموعة منها تعرف باسم النمط الحضاري.

وتوضح التعريفات السابقة، أن هناك ترابطاً بين الحضارة والتاريخ، فالحضارة التي تعني ذلك الكل المركب لسلوك المجتمع من مؤسسات وعادات وتقاليد اعتاد المجتمع عليها في تنظيم وتسيير حياته، ترتبط بالتاريخ الذي صهر مكونات الحضارة في مجتمع ما بتتابع العصور، وقد فسر الفلاسفة والسياسيون علاقة الحضارة بالتاريخ، بمختلف معتقداتهم السياسية.

ويعتبر الفيلسوف أرنولد توينبي Arnold Toynbee (١٨٨٩-١٩٧٥)، من أشهر الفلاسفة الذين بحثوا في تاريخ الحضارات، ومن أهم أعماله "دراسة للتاريخ" في اثني عشر مجلداً، وفي كتابه "الحضارة في التاريخ" الذي يناقش فيه

[١] عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل. مرجع سابق، ص: ١٢٧-١٢٨.

بداية تكوين الحضارات في التاريخ الذي يطلق عليه "التاريخ الحضاري"؛ يقول: "الحضارات جميعها كانت وما زالت وسوف تظل معاصرة الواحدة مع الأخرى، وما الفرق في أعمار كل واحدة والأخرى سوى فروق صورية عند مقارنتها بالعهد الطويل الذي عاشت خلاله الإنسانية"[١]. الحضارات في التاريخ عند توينبي هي معاصرة لبعضها فهناك عناصر مشتركة في الحضارات رغم تطورها التاريخي، بمعنى آخر بعض العادات موجودة في حضارة ما منذ ألاف السنين ولم تتغير بمرور الزمن.

ويصف مؤرخ الحضارات غيزوFrancois Guizot[٢] ١٧٨٧-١٨٧٤ علاقة الحضارة بالتاريخ، موضحاً الدور الحضاري في مجريات التاريخ، فالحضارة هي إحد اهتمامات التاريخ، من خلال تسجيل الأحداث والوقائع لشعب ما في التاريخ حيث توصف هذه الأحداث والوقائع في فترة زمنية محددة لهذا الشعب بالدور الحضاري للشعب، وما أسهمت به تلك الأحداث والوقائع بتقدمه عبر التاريخ[٣]. الحضارة مرتبطة بالتاريخ، لأن التاريخ هو الزمن، ومكونات الحضارة وثمرة الجهد المبذول الذي يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته إن كان مادياً أو معنوياً، وهذا الجهد يحتاج إلى تاريخ كي يزداد وينمو، ولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثاً معقولاً إلا إذا عرف ماهية التاريخ معرفة معقولة[٤].

---

[١] انظر: أرنولد توينبي. الحضارة في التاريخ، ت أحمد عصام الدين بدون دار نشر، ص: ٣٢.

[٢] فرنسوا غيزو ١٧٨٧-١٨٧٤: سياسي ومؤرخ فرنسي، شغل منصب وزير التعليم في فرنسا في العام ١٨٣٢.

[٣] جاك لوغوف. التاريخ الجديد، ت محمد ظاهر المنصوري، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧، ص: ١٠٣-١٠٤.

[٤] حسين مؤنس. الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨، ص: ١٣-١٤.

الحضارة بمفهومها السابق تداخلت مع مفهوم الثقافة بشكل كبير، والبعض لا يفرق بين المفهومين، ولتجنب الخلط بين المفهومين، لابد من عرض ومناقشة مفهوم الثقافة لتوضيح الفرق والتداخل بين المفهومين.

مفهوم الثقافة:

كلمة ثقافة Culture ظهرت في الفرنسية بمعناها الدفيق في القرن الثالث عشر، وتلتها في القرن الرابع عشر كلمات مثقف/ زارع، ومزارع Agriculteur، ولكنها لم تكتسب معناها المجازي كمعرفة، كتربية، وعلم، إلا في القرن الخامس عشر، ولم يتمايزا إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين[١].

إن أول من قام بتعريف الثقافة هو الإنجليزي إدوارد تايلور Edward Tylor (١٨٣٢-١٩١٧) الذي قدمه سنة ١٨٧١ وهو: "المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث إنه عضو في مجتمعه"[٢]. ومن وجهة نظر تايلور فإن ما يميز مجتمعاً عن آخر، كما لاحظ، إنما هو "النماذج الثقافية "[٣]Patterns of Culture. مصطلح الثقافة وجد قبل تايلور إلا أنه هو الذي أعطى مفهوماً شاملاً له، وانبثقت

---

[١] رولان بريتون. مرجع سابق، ص: ٢٠.

[٢] دينس كوش. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ت منير السعيداني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧، ص: ٣٠.

[٣] أرمان ماتلار. التنوع الثقافي والعولمة، ت خليل أحمد خليل، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨، ص: ١٨.

عنه تعريفات عديدة لدى علماء الاجتماع والباحثين، إلا أن من أراد تعريف الثقافة عليه أن يعود لتايلور ومفهومه حولها.

تعرف موسوعة السياسة "الثقافة" أنها: "الإرث الاجتماعي ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع". ويتكون الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والأدبي والقيمي، والذي يتجسد في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلم القيم، أما الشق المادي فيتكون من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني والأدوات والآلات وأماكن العمل، وأما الإطار الاجتماعي الذي يتحقق من خلاله هذا الإرث فهو الطقوس والجماعات وأنماط التنظيم الاجتماعي الأخرى"[1]. الجانب الاقتصادي هنا يعني ثقافة العمل والإنتاج الاقتصادي وملكية أدوات الإنتاج، وتوضح الموسوعة بأن الثقافة هي الشخصية الحضارية. وتعرف أميرة مطر الثقافة بأنها: "نوع من السلوك والتفكير والإحساس يكسب صاحبه شخصية معينة يتلقاها من بيئته الاجتماعية، وهي تسري إلى الأفراد بلا وعي منهم"[2]. يتضح من هذا التعريف أن الثقافة تصقل شخصية الإنسان بلا وعي منه، بشكل كامل، فالعادات والتقاليد التي يتربى عليها الفرد في مجتمعه ويكتسبها في شخصيته تنعكس في تفكيره وسلوكه.

ومن أبسط التعريفات وأكثرها وضوحاً للثقافة بشكل عام، هو تعريف عالم الاجتماع روبرت بيرستد R. Bierstedt حيث يعرفها: "هي ذلك الكل المركب

---

[1] انظر: موسوعة السياسة، ج1عبد الوهاب الكيالي وآخرون، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ب-ت، ص: ٨٤٤.

[2] أميرة مطر. مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣، ص: ٨٨.

الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع"[١].
وهذا الكل المركب هو التفكير والعمل لدى أفراد المجتمع، أي تفكير الفرد وسلوكه في المجتمع والعمل الناتج عنه، والثقافة هنا جماعية وليست فردية.

بعد أن حددنا مفهوم الثقافة، من الضروري الوقوف لتحديد مفهوم الهوية الثقافية، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه يعيش في مجموعات، وهذه المجموعات شكلت الدول والحضارات عبر التاريخ، والذي يميز الدول والحضارات هي الهوية الثقافية فلكل حضارة هويتها الخاصة بها، وهي محور أطروحة هانتنغتون في "صدام الحضارات".

إن "الهوية" من المفاهيم المعقدة والتي تعددت بشأنها التعريفات لدى العلماء والباحثين. ويعطي غوتلوب فريغه Gottlob Frege لمفهوم "الهوية" وصفاً تحليلياً من خلال المعنى والاصطلاح فيقول: "مفهوم الهوية لا يقبل التعريف، وذلك لأن كل تعريف للهوية هو هوية بحذ ذاته"، وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به، يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر[٢]. في الاصطلاح الفلسفي لمفهوم "الهوية" تطلق الهوية على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص، إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه، وفي مختلف أوقات وجوده، فنطلق عليه هوية الأنا، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية[٣].

[١] مجموعة مؤلفين. نظرية الثقافة، ت علي سيد الصاوي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٧، ص: ٩.

[٢] عمر سمحة. العولمة الثقافية والثقافة السياسية العربية، رسالة ماجستير فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥، ص: ٤٣.

[٣] جميل صليبا، مرجع سابق، ج٢، ص: ٥٣١.

ويعرف صاحب كتاب الثقافة العربية في عصر العولمة "الهوية الثقافية" لحضارة ما: "بأنها فلسفة الجماعة ونظرتها إلى الوجود من حولها، فهي مجمل العقائد والقناعات المطلقة التي تؤمن بها جماعة ما، وما ينجم عن ذلك من سلوك وعلاقات ومعرفة، فالثقافة هنا هي التي تمنح حضارة معينة شكلها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الحضارات"[1].

إن صيرورة التاريخ الإنساني قد حددت هوية كل أمة، وميزت جوهرها بخصائص محددة الملامح تميزها عن غيرها من الأمم، فإذا كان للهوية معان عدة فقد انتهت تلك الصيرورة، إلا أنها تعبر عن الصفات الجوهرية للشيء أو الشخص أو الأمة باعتبار ما تحققه من وجود ذاتي يعبر عن ماهية داخلية وخارجية، وهذه الصفات الجوهرية والمكونات للهوية تتصف بخصوصية تاريخية لكل أمة وتشكل الثقافة أهم عناصرها[2]. وهذه الخصوصية التاريخية تتجلى في الهوية من خلال حقب زمنية تصقل من خلالها الهوية بمكوناتها التي تميزها عن غيرها من الهويات الأخرى، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، وقد توصف مكونات الهوية بالثبات النسبي أمام التغيرات التي تحدث جراء التقدم والتطور.

ويحدد تزفيتان تودوروف الهوية الثقافية لحضارة ما، من خلال السمات الرئيسة التي تميز الثقافات الحضارية المختلفة فيقول: "يولد الإنسان في حضن الثقافة، وهي السمة الأولى للهوية الثقافية الأصلية والتي تفرض عليه أثناء الطفولة، ولا يكون

[1] الثقافة العربية في عصر العولمة، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٩، ص: ٩٠.

[2] حسين جمعة. الهوية وثقافة التغيير، دمشق: مجلة الفكر السياسي، العدد ٢٤، ٢٠٠٦، ص: ٧-٨.

لدية اختيار فهي سابقة له، وهو يولد في حضن اللغة التي ينطق بها أهله، وهذه اللغة ليست حيادية فهي مطبوعة بالأفكار والأعمال والأحكام التي نرثها من الماضي، وهذه الطريقة في تصور العالم تنتقل من جيل إلى جيل"[١].

ويقدم محمد الجابري تحليلاً لمفهوم الهوية واصطلاحها، بأنها تعني: "الأنا" لمجموعة محددة من الأفراد، وهذه "الأنا" لا تتحدد إلا بوجود "الآخر"، فالهوية الثقافية هي التي تميز بين المجتمعات. ويحدد الجابري العلاقة بين المجتمعات قائلاً "الهوية الثقافية "الأنا" لا تتحدد إلا عبر "الآخر" سواء تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة، فإن أي تصور للمستقبل في جزء منه على الأقل هو عبارة عن محاولة ترمي إلى إعادة ترتيب العلاقة مع الآخر، فنحن إنما نفكر في المستقبل لأن شيئاً ما يهدد حاضرنا، يهددنا أو يستهوينا، أو يتقدم علينا"[٢].

وقد نظر المفكرون والسياسيون في الغرب لرسم العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"، في العالم المعاصر من أجل تحديد العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، "الأنا" أمريكا والغرب وأطلقت على نفسها "العالم الحر" و"الآخر" الاتحاد السوفيتي السابق والذي أطلق عليه "إمبراطورية الشر". ثنائية "الأنا" و"الآخر" التي تقودنا إلى أشكال العلاقة بين الهوية الوطنية، وطرف آخر، فهي تحدد نوع هذه العلاقة، هل هي صراع أم حوار؟. وقد استخدم فوكوياما وهانتنغتون "الأنا" و"الآخر" بوصف الولايات المتحدة نموذجاً لدولة عالمية، ورسمت أطروحاتهم

[١] تزفيتان تودوروف. مرجع سابق، ص: ٥٨.

[٢] انظر: محمد الجابري. مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص ٩٠ وما يليها.

سيناريوهات لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين، من خلال تحديد العلاقات بين الديمقراطية الغربية وحضارات العالم.

اختلف علماء الاجتماع والمفكرين على مفهومي "الحضارة" و"الثقافة"، وهذا الاختلاف والتباين بين "الحضارة" و"الثقافة" يتضمن المفهوم الاصطلاحي، وكان التعارض والاختلاف بين مفهوم "الثقافة" ومفهوم "الحضارة" عند الألمان والفرنسيين، فيرى المفكرون الفرنسيون بأنه لا فرق بين المفهومين، إلا أن الألمان جادلوا بأن هناك اختلافاً بالمعنى والمفهوم بالرغم من الانتقال الحرفي لكلمة "ثقافة" عن اللفظ الفرنسي.

استخدمت "الثقافة" عند الألمان وهي منفصلة عن "الحضارة" منذ القرن التاسع عشر، وارتبطت الثقافة بالطبقة البرجوازية المثقفة التي كانت مستبعدة عن بلاط الملك والسلطة، والتي أخذت على الأمراء الذين يحكمون مختلف الدول الألمانية إهمالهم الفنون والآداب، وتكريس جل أوقاتهم لإقامة حفلات البلاط، وربط الألمان مفهوم الثقافة بالأمة التي تتصل بروح الشعب وعبقريته، والأمة الثقافية تسبق الأمة السياسية وتدعو إليها، أما عند الفرنسيين فالثقافة والحضارة تعني المفهوم الكوني لأمة واحدة[١]. ويرى هانتنغتون في الفصل الثاني من أُطروحته "صدام الحضارات"، بأنه لا يوجد فرق بين مفهوم الحضارة والثقافة، حيث يقول: "إن التمييز بين الحضارة والثقافة لم يأتِ سوى عند الألمان، وإن كان لم يقبل في أي

---

[١] دينس كوش، مرجع سابق، ص: ٢٠-٢٥.

مكان آخر، وهذه المحاولات للتميز بين الحضارة والثقافة لم تنشر"[1]. وقد عرض في كتابه مفاهيم الحضارة التي تكون فكرتها العامة هي الثقافة، وهذا له مدلولات واستنتاجات سوف نقوم بمناقشتها في تحليل واستقراء أطروحة هانتنغتون لاحقاً.

إن الآراء حول تحديد العلاقة بين المفهومين تباينت لدى الباحثين والسياسيين. ويفرق تزفيتان تودوروف بين مفهوم "الحضارة" و"الثقافة"، قائلاً: هناك استقلالية بين المفهومين، فالأول: يحمل حكماً قيمياً مطلقاً، والثاني: يقتصر على تميز حلقة من العالم مدرجة في سياق تاريخي، الحضارة والثقافة ليستا مفهومين متعارضين، وذلك لأن كل مجموعة مستقرة تمتلك بالضرورة ثقافة، ووجودها هو الشرط الضروري للحضارة[2]. ويفرق عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل بين الحضارة والثقافة قائلان: "الحضارة هي الصورة المادية لكل ما يصدر من الإنسان من نشاط، بينما تقتصر الثقافة على الجانب الفكري والمعنوي فقط"[3]. وعند العرب تحددت المصطلحات بشكل واضح، فالحضارة كانت تعني لهم الإنجاز المادي للبشر "علم العمران"، أما "الثقافة" فتعني لهم الإنجاز المعنوي[4].

وعليه يمكن لنا القول: بأن الحضارة بمعناها العام تشمل كافة جوانب الحياة كافة لمجتمع ما، فهي شاملة للجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية... إلخ، وهذا

---

[1] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٦٨-٦٩.

[2] تزفتان تودوروف. مرجع سابق، ص: ٣٨.

[3] عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل، مرجع سابق، ص: ١٢٧-١٢٨.

[4] أبو علي ياسين. على دروب الثقافة الديمقراطية، بيروت: دار حوران للدراسات والطباعة والنشر، ١٩٩٤، ص: ١٩.

يعني أن الثقافة هي الجزء الرئيس للحضارة والذي يختص بالجزء الفكري والمعنوي. ويمكن اعتبار الحضارة الإنجاز المادي والانجاز المعنوي، والثقافة هي الإنجاز الروحي والمعنوي، أما المدنية فهي تعني الإنجاز العمراني والمادي.

إن تطور العلوم الإنسانية في العالم الغربي المعاصر، جاء نتيجة لفكر عصر التنوير، الذي اعتمد على العقل بدلاً من الدين والأساطير الأوروبية القديمة في جميع المجالات العلمية كالفلسفة والتاريخ. وعمد مفكرو ومؤرخو عصر التنوير إلى كتابة أفكارهم السياسية بعيداً عن الدين والأفكار اللاعقلانية "الأسطورة" التي كانت سائدة في العصور الوسطى، وهذه الأفكار السياسية العقلانية أدت إلى ظهور النظريات السياسية والفكرية التي شكلت الأيديولوجيات السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، كالليبرالية والاشتراكية والفاشية والنازية، وهذا ما سوف نراه في الفصل اللاحق.

الفصل الثاني

الحضارة والأيديولوجيا في الفكر الغربي المعاصر

المبحث الأول: الحضارة والتاريخ في العالم الغربي

المبحث الثاني: نهاية عصر الأيديولوجيا

المبحث الثالث: المحافظون الجدد والفكر السياسي الأمريكي

الحضارة والأيديولوجيا في الفكر الغربي المعاصر:

يعتبر القرنان العشرون والحادي والعشرون عصرين ظهر فيهما مصطلح "النهايات" "Endism"، وهما اللذان يوصفان بعصري التقنية والتكنولوجيا، خلافاً للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد عرفت البشرية في القرنين تقدماً وإنتاجاً علمياً في المجالات العلمية والفلسفية كافة، وتجلت في ثورتين كانتا سبباً في التقدم الهائل للعلم بمجالاته كافة، الثورة الصناعية وصناعة الآلة في بريطانيا في القرن الثامن عشر، والثورة الفرنسية ١٧٨٩، التي أدت إلى تغيير أنظمة الحكم في أوروبا تباعاً، كان ذلك نتيجة الفكر السياسي لدى مفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. إن تاريخ الإنسانية خضع للبحث والتأمل عند مفكري الغرب وفلاسفتهم، ومن أشهر فلاسفة التاريخ الذين فسروا التاريخ ومساره هم: "هيجل وماركس"، وقد عاد فوكوياما إلى البحث في التاريخ معهم، وخاصة هيجل الذي أعاد معه تفسير التاريخ مباشرة للتدليل على صحة فروضه في أطروحة "نهاية التاريخ".

تقود الولايات المتحدة العالم بمفردها بعد انتهاء الحرب الباردة، في ظل النظام العالمي الجديد "أحادي القطبية"، وهذه القيادة للعالم كان لابد لها من دستور تحكم العالم من خلاله، وكان المشرعون له هم المحافظون الجدد، وكان هذا الدستور بمنزلةالتنظير السياسي لعالم ما بعد الحرب الباردة والذي يشرع القوانين لمستقبل الكون القادم.

ويأتي هذا الفصل ليبحث في فكر "النهايات" مع فلاسفة السياسة والمفكرين اللذين يطرحون نهاية للتاريخ والأيديولوجيا، وبيان وتحليل هذه "النهايات" التي عاد لها فوكوياما وهانتنغتون في فرضيات أطُروحتيهما. بالإضافة إلى الدراسات والبحوث في تاريخ الحضارات وتحليل مكوناتها عند الباحثين وكيف يرى المفكرون تطور الحضارات وعلاقاتها في صيرورة التاريخ من خلال تحليل ارتباط الحضارة بالتاريخ عند المفكرين الغربيين، كما يهدف هذا الفصل إلى بيان المنطلقات الفكرية للمحافظين الجدد، وأهدافهم وتطور دورهم السياسي في الولايات المتحدة، وذلك لفهم طبيعة الفكر السياسي لدى فوكوياما وهانتنغتون.



المبحث الأول:

الحضارة والتاريخ في العالم الغربي المعاصر

بحث فلاسفة السياسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في فلسفة التاريخ الوضعية، وفي هذا يقول الجابري: "فلسفة التاريخ عرفت رواجاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي عملت على استعادة المشروع البابوي بإنزاله من سماء العناية الإلهية إلى صيرورة التاريخ... واستند فلاسفة التاريخ إلى عوامل طبيعية، التي اعتبروها تفعل فعلها بصورة آلية وحتمية، ولم يستند أولئك الفلاسفة في تقرير ذلك إلى مقولة "شعب الله المختار" و "العناية الإلهية"[١] فقد اعتمد فلاسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على صيرورة التاريخ وليس على العناية الإلهية.

الفيلسوف فولتير ١٦٩٤-١٧٧٨ في كتاباته عن التاريخ هو أول من صاغ مصطلح فلسفة التاريخ، وانتقد فكرة العناية الإلهية، وكان ينظر للتاريخ بعقلانية، وكان يرى إعادة تقييم التاريخ الأوروبي في العصرين القديم والحديث، وذلك للكشف عن أخطاء الماضي وإمكانية تجنبها في المستقبل[٢]. بعد فصل الدين عن الدولة التي كانت سائدة في القرون الوسطى، والتي خلفت حروباً مدمرة دامت لسنوات في أوروبا، نظر المفكرون والفلاسفة إلى الدولة العلمانية وإلى الفكر الطبيعي، لأن التاريخ في السابق عند الفلاسفة ورجال الدين ينقسم إلى الحياة الدنيوية وحياة الآخرة، فقد سأمت أوروبا من حكم الكنيسة وصكوك "الجنة والنار"، ففي عصر

---

[١] محمد الجابري. قضايا في الفكر المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص: ١٢١.

[٢] مصطفى النشار، مرجع سابق، ص: ١٨٣-١٨٤.

الحداثة جاءت الفلسفة الوضعية للتخلص من حكم الكنيسة وتاريخها. ويرفض الفيلسوف الإيطالي بينيدتو كروتشه Benedetto Croce (١٨٦٦-١٩٥٢) التفريق بين "التاريخ" و"فلسفة التاريخ"، ويأتي موقفه الغريب من خلال ما يطرحه حول التاريخ، فيرى أن فلسفة التاريخ لا محل لها، لأن التاريخ فلسفة. ويعتبر التاريخ في جوهره هو فعل الفكر، ومن الأسباب التي جعلت كروتشه يمزج بين التاريخ وفلسفة التاريخ، هو أن أي تفكير في التاريخ في حد ذاته فلسفة، كما يرد كروتشه مجموع المعرفة الإنسانية إلى معرفة تاريخية[١]. ويدلل كروتشه على فكرته قائلًا: "حين يقوم تاريخ الأدب بدراسة "دانتيDante[٢]" ليس هو شخص دانتي وإنما الشعر"، وهكذا فإن التاريخ والفلسفة يصبحان شيئاً واحداً، وفي الواقع كروتشه يرى أن كل فيلسوف هو في الوقت نفسه مؤرخ، وإن كل مؤرخ هو في الوقت نفسه فيلسوف، لأن هناك تاريخاً في فلسفة أي فيلسوف، وهو حياة هذا الفيلسوف كلها[٣]. وينتقد مصطفى النشار رأي كروتشه قائلاً: "رغم وجاهة رأي كروتشه إلا أنه ليس صحيحاً، فليس كل مؤرخ فيلسوفاً وإن كان يمكن أن يتحلى بعضهم بالنظرة الكلية التي يتحلى بها الفيلسوف، وتميز نظرته للتاريخ"[٤].

---

[١] عبد السلام السعيدي. جدلية التاريخ والحضارة، مجلة فكر ونقد الرباط: مجلة إلكترونية، العدد 34، 2000، www.aljabriabed.net/n34_09saidi.htm

[٢] دانتي Dante Alighieri: أديب إيطالي شهير، ولد وعاش في فلورنسا ١٢٦٥-١٣٢١، ومن أهم مؤلفاته الشعرية "الكوميديا الإلهية". انظر: تزفيتان تودوروف. الخوف من البرابرة.

[٣] إ. م. بوشنسكي. الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ت عزت قرني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٢، ص: ١١٧.

[٤] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ٢٩.

يطرح اشبنغلر Oswald Spengler ١٨٨٠-١٩٣٦ جدلية العلاقة بين التاريخ والحضارة، ليستطيع من خلال منجزات الحضارة في التاريخ أن يعالج رفعة الحضارة وتدهورها.

"إذا ما أردنا أن نكتشف الشكل الذي يريد لها القدر قدر الحضارة الغربية، أن تبدو منجزة ومكتملة فيه، علينا أولاً أن نعرف بوضوح ما هي الحضارة، وما هي ارتباطاتها بالتاريخ المنظور، وما هي علاقاتها بالحياة وبالروح وبالطبيعة، وبالفكر وما هي أشكال مظاهرها، وإلى أي مدى تمتد هذه الأشكال الشعوب واللغات والعصور التاريخية والمعارك والعقائد والأفكار والدول والآلهة والفنون والعلوم والقوانين والأنظمة الاقتصادية والأفكار العالمية والرجال العظام والأحداث الضخمة ويمكن القبول بها والاشارة إليها بوصفها نماذج ومثلا"[١].

يرفض اشبنغلر المنهج التاريخي لدى المؤرخين، وهو في نظره دراسات غير متعمقة، فلا يوجد تماثل في تاريخ الحضارات بالكامل، "لكل حضارة إمكاناتها الجديدة الخاصة بها للتعبير عن ذاتها"[٢]. الحضارة في جوهرها لها مميزاتها الخاصة التي لا تتماثل مع الحضارات الأخرى، ويرى هذه المميزات حينما يقارن فن النحت والعمارة الموجود في كل الحضارات، إلا أنه بلون خاص، ففي صيرورة التاريخ عند اشبنغلر نستطيع

[١] انظر: أسوالد اشبنغلر. تدهور الحضارة الغربية، ت أحمد الشيباني، ج١، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤، ص: ٤٠ وما بعدها.

[٢] المرجع السابق. ص: ٦٩.

أن نرى ثلاث مراحل للحضارة "النشأة، النضج، الشيخوخة"، ويُقسم الطبقات داخل الحضارة إلى طبقتين "النبلاء" و"الكهنوت" أي الفلاحون، فنشأة الحضارة كانت بظهور طبقة النبلاء، أما الفلاحون فهم موجودون قبل ظهور الحضارة، لذا بشر بانحلال الحضارة الغربية لأنها تخلت عن تركيبة الحضارة الرئيسة وهي "طبقة النبلاء".

إن الفلاسفة والمفكرين الذين كتبوا في فلسفة التاريخ وتاريخ الحضارات ليس بالعدد القليل، ففي هذه الدراسة لا نستطيع تحليل ومناقشة فلسفتهم لدراسة التاريخ والحضارات، إلا أننا سوف ندرس مؤرخين جعلوا الحضارات أنموذجاً لدراسة التاريخ وهما:

أرنولد توينبيToynbee ١٨٨٩-١٩٧٥، وفرناند بردويل Bardwell (١٩٠٢-١٩٨٥)، وهذا ليس تفضيلاً لهما عن غيرهما من المؤرخين، وإنما لدراسة قانون التحدي والاستجابة عند توينبي، وقانون صراع الحضارات عند فرناند بردويل، وذلك لمقارنة أطُروحاتهما الفكرية مع ما يطرحه هانتنغتون الذي عاد إليهما وهو يبحث في تاريخ الحضارات.

وبالانتقال إلى فلسفة التاريخ، سوف نعود لفلسفة "هيجل Hegel (١٧٧٠-١٨٣١) وماركس Marks (١٨١٨-١٨٨٣)"، الذي يعود إليهما فوكوياما ليثبت أن التاريخ غائي. وكذلك يستند فوكوياما إلى تفسيرات الكسندر

كوجيف Alexandre Kojeve [1] (١٩٠٢-١٩٦٨) لفلسفة هيجل التاريخية في تبريراته وصحة فرضياته في أُطروحته "نهاية التاريخ".

أرنولد توينبي ونظرية "التحدي والاستجابة" للحضارات

ارتباط الحضارة بالتاريخ كان له أهمية عند فلاسفة التاريخ، وقد عرف بعض الفلاسفة والمفكرين من خلال بحثهم وكتاباتهم عن الحضارة والتاريخ، ولعل أشهرهم هو توينبي الذي جعل الحضارة محور الدراسات التاريخية، والذي ترتب عليه بأن تصبح الحضارة هي محور الدراسات التاريخية[٢]. ويعتبر توينبي من المؤرخين الذين يتمتعون بقدر عالٍ من الموضوعية والحياد في نظرته إلى الحضارات المختلفة، فهو مؤرخ أكثر منه فيلسوف، وحرصه كان واضحاً في كتاباته ونظرته الشاملة إلى التاريخ، جعلته يتفوق على الفلاسفة في استنتاجاته وتقييماته لكل الحضارات، فقد درس تاريخ الحضارات بالإضافة إلى زياراته المختلفة لبلاد العالم والبحث في آثار الحضارات، وهذا ساعده على أن يستبعد وينتقد كل التفسيرات الأخرى للتاريخ

---

[١] الكسندر كوجيف Alexandre Kojeve ١٩٠٢-١٩٦٨: فيلسوف روسي، واسمه الحقيقي كوجيفينيكوف، غادر روسيا طوعاً عام ١٩١٩ بشكل نهائي، درس الفلسفة في ألمانيا، وانتقل إلى باريس ليدرس الفلسفة فيها في العام ١٩٢٦، ثم درس الفلسفة في فرنسا، وكانت محاضراته لتدريس الفلسفة الهيجلية، وهو أحد أكبر مفسري هيجل في القرن العشرين، وله كتب عدة، وأهمها: "مدخل لقراءة هيجل- دروس حول فينومونولوجيا الروح". انظر: عبد العزيز بومسهولي. كوجيف فيلسوف الرغبة، مجلة نزوي مسقط: مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، ٢٠١١، www.nizwa.com /articles.php?id=369

[٢] عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل. مرجع سابق، ص: ١٢٦.

ويرد على مؤرخي الغرب بشأن الحضارات الأخرى وتمجيد حضارتهم[١].

كتب توينبي موسوعته "دراسة للتاريخ" في اثني عشر مجلداً، وحدد ٢١ حضارة منذ بدء الخليقة وأحصى ٦٥٠ مجتمع بدائي لم ترتق جميعها إلى الحضارة، وتمر هذه الحضارات في تصوره بثلاث مراحل متعاقبة "النشوء، والنضج، والأفول"[٢]. إذن ما نظرية "التحدي والاستجابة" الذي يطرحها توينبي؟

استخدم أرنولد توينبي قانون "التحدي والاستجابة" لشرح كيفية أفول وصعود الحضارات، ويتطلع توينبي إلى القضية الأساسية التي توضح نجاح أو فشل الحضارة عن طريق "التحدي" والذي يتمثل بعوامل عدة وهي: "النمو السكاني، استنفاذ المورد الحيوي، تغير المناخ"، وهذا التحدي لا يكون في كل تغييراته سلبياً، أما "الاستجابة" فهي الإجراءات التي تتخذها الحضارة أو المجموعة البشرية التي تتعرض لتلك التحديات[٣]. وأهم ما جاء به توينبي الحالتان الأساسيتان "السلب والإيجاب"، في نظريته "التحدي والاستجابة"، الحالة الأولى: يمثل السلب الضعف والجمود والعجز عن الإبداع وقبول الماضي كما هو والاكتفاء بإعادة القوالب القديمة والموروثة من الأجداد، أما الحالة الثانية فهي الإيجاب أي التقدم والتحدي والتخطيط للمستقبل ومجابهة مشكلاته والواقع والبيئة بالإدارة الحازمة والفكر المبدع[٤]. إن

---

[١] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ٢٦٤.

[٢] دينس كوش. مرجع سابق، ص: ٩٠.

[٣] J. schandt and c. h. ward. Sustainable Development: The Challenge of Transition London, Cambridge University Pres, p: 1 .

[٤] بدري فهد. الفكر والحضارة عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص: ٤٥.

التحدي الذي يواجه المجتمع أو الأمة يكون ردة فعل للمجتمع وهي الاستجابة، وهذه الاستجابة إما أن تكون إيجابية أو سلبية، فحينما تكون سلبية، فهو الخوف من التحدي والانكفاء والتراجع والاضمحلال، أما الإيجابية فهي مواجهة هذا التحدي بالإبداع والفكر لمقاومته والتغلب عليه.

وكي تتضح الصورة لنظرية "التحدي والاستجابة" يضرب توتبي مثالاً للحضارات القديمة فيقول: "المطر، يمثل التحدي في التحول إلى الأقاليم والمدن أو البقاء تحت المطر، فانتقلت بعض الجماعات إلى مناطق أقل مطراً وبرزت عدة استراتيجيات للاستجابة، وبعض الجماعات لم تفعل شيئاً وبقيت على أساليبها القديمة تحت المطر وجمع الثمار فهلكت، وجماعات أخرى هاجرت لمناطق أقل مطراً واخترعت تدجين الحيوانات والزراعة مكونة حضارات مثل الحضارة الفرعونية والسومرية"[1]. في عالمنا المعاصر الإبداع والتقدم العلمي والتقني هو شرط أساس لقوة الدولة في المجالات كافة، فقوة الغرب الاقتصادية وعولمة العالم، تمثل التحدي لدول العالم الثالث والاستجابة لهذا التحدي قد يكون بالسلب أو بالإيجاب، إن كان موقف الدولة سلباً، كمنع التعامل مع الغرب، فسوف تحاصر نفسها وتكون في عزلة عن العالم كما هو حاصل اليوم في كوريا الشمالية، وإن كان الرد على التحدي القائم إيجابياً، فسوف تقوم الدولة بتطوير إمكانياتها الذاتية لمجابهة التحدي القائم، من خلال الإبداع والتقدم العلمي، كما هو حاصل في كوريا الجنوبية.

[1] J. schandt and c. h. ward. previous reference, p: 2.

فرناند بردويل وصراع الحضارات:

يفسر بردويل علاقة التاريخ بالحضارة قائلاً: "نستطيع عبر عصور متباينة تجتازها حضارة من الحضارات وتغيرات بطيئة فيها، ونقلات لها من الارتقاء والتدهور والصمود والخضوع والإذعان والرفض والمقاومة والاستسلام أن نستخلص صياغm أو وصفاً يعبر عن تقييم وتفسير نهائي يرد إليها، بمالها وصف نهائي وجهها الخاص فإن لكل مظهر من مظاهرها حلقة في سلسلة تاريخية يتعاقب بعضها إثر بعض"[١].

علاقة التاريخ بالحضارة عند فرناند بردويل هي علاقة ترابطية لا يمكن قراءة تاريخ الحضارة إلا عبر تاريخها، والحضارة تمر عبر تاريخها بمراحل عدة، وهذه المراحل تتسم بالبطء الشديد فهي تتطور عاماً بعد عام، وربما قرناً بعد قرن عبر عصور التاريخ.

في كتابه الضخم "الحضارة والرأسمالية" يقرأ بردويل تاريخ البشر من خلال الأشياء الصغيرة، ويبدأ بطرح أسئلة صغيرة، ويبدأ بالبحث عن أجوبة لها، ويبدأ بغرفة الطعام وتحضير الخبز حتى يصل إلى تطور الطعام عند البشر، وكذلك يعود للطاولة من جديد ليبحث عن الأدوات وتطورها "الطاولة، الصحون، الملاعق...." من خلال هذا التطور يأتي جدل الإنسان والحاجة، والحاجة هي أساس تطور الإنسان[٢].

---

[١] انظر:فرناند بردويل. تاريخ وقواعد الحضارات، ت حسين شريف، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص: ٣٠ وما يليها.

[٢] وليد نهويض. المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ، بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٦، ص: ١٧٢-١٧٣.

وفي عرضه لتاريخ الحضارات القديمة والعلاقات القائمة فيما بينها، يصف حضارات الشرق الأدنى الهند والصين بأنها كانت همجية ومتوحشة جراء الحروب الداخلية والخارجية من قبل المغول، وبمرور الوقت بدأت تلك الحضارات تتطور، وبالمقارنة مع الحضارة الأوربية يقول: "الغرب بعيد لا يقدم على مثل هذه الأحداث والحروب، حتى حروب القرن العشرين التقنية، فلم تعرف موجات المجازر هذه"[١]. أما الحضارة الإسلامية التي بالكاد كانت متحضرة، فالعرب عاشوا في قبائل، ولم يكن لهم مدن كالتي كانت موجودة في الحضارة الغربية، وقد وصف الحضارة الإسلامية بأنها أقوى الحضارات في "العالم القديم" إلا أنه أعاد سبب الفتوحات الإسلامية للسيطرة على خيرات الحضارات المجاورة لا لنشر دين التوحيد.

من خلال قراءته لتاريخ الحضارات القديمة وتطورها التاريخي عبر التقدم والتدهور والنمو والتبعية، نجد انحيازه للحضارة الأوروبية "الأنا" التي ينتمي إليها مقابل "الآخر" حضارات العالم، ولعله واضح في كتاباته تحامله على الإسلام وهو بهذا يتفق مع هانتنغتون. بينما يعطي اشبنغلر تحليلاً فلسفياً للمؤرخ والفيلسوف الذي يبحث في تاريخ الحضارات قائلاً: "إن المراقب للتاريخ هو عضو ذو مصلحة في حضارته الخاصة، معرض تحت تأثير نزعاته الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية، لأن ينظر للتاريخ نظرة محدودة"[٢]. والباحث عن العلم لابد أن يكون محايداً، يكون له هدف واحد، وهو الوصول للحقيقة، ويستطيع الفصل بين العواطف والعقل، إلا أن الباحث يتأثر بعواطفه.

[١] فرناند بردويل. مرجع سابق، ص: ٢٠٩.

[٢] أسوالد اشبنغلر. مرجع سابق، ص: ١٩٣.

في كتابه "المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني"، يبين بردويل النظرة الشمولية للتاريخ، ويعتبر الاعتماد على تحليل الوسط الجغرافي في حد ذاته نتيجة مباشرة للقيمة التي يوليها بردويل للتاريخ، وينقسم المتوسطي إلى: حوض شرقي وحوض غربي، وهذان المتوسطان اللذان يسيطر عليهما العداء، هما في الواقع مختلفان طبيعياً واقتصادياً وثقافياً، وهذا التناقض الكبير هو الذي كان يتحكم في حياة البحر في القرن السادس عشر، حيث يصف بردويل هذه الحياة بأنها "اقتصاديات وحضارات مجتمعات وأنماط عيش تتصادم"[١].

بعد عرض فكر بردويل للحضارات وتطورها التاريخي، لابد لنا من الإجابة عن السؤال التالي: ما فكرة صراع الحضارات عند بردويل؟.

الحضارات عاشت وتعيش صراعاً دائماً، فدروس التاريخ تؤكد أن الحضارات الأقوى المنتصرة تتغلغل غالباً في الحضارات الأضعف وتستعمرها، وهو ما يجعل هذه الأخيرة تنتقم على طريقتها ووفق أسلوبها الخاص إلى أن تفك الطوق وتكسر الاستعمار، فتنقلب بذلك على الحضارات التي استعمرتها. ويعطينا بردويل مثالاً عن هذا الانقلاب الحضاري بالقول: "إن أوروبا نجحت في غزو واحتلال أمريكا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لكن مع أواخر القرن العشرين أمريكا تنقلب على أوروبا"[٢].

---

[١] كرزيستوف بوميان. تاريخ البني، إعداد جاك لوغوف: التاريخ الجديد، ت محمد المنصوري، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧، ص: ٢١٤-٢١٥.

[٢] عبد السلام السعيدي. مرجع سابق.

ويحلل بردويل في كتابه "المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني" تاريخ البحر المتوسط وحضاراته، فهو لا يمضي في التاريخ السردي، وهو لا يرى بوجود بحر واحد بل هناك بحار كثيرة، فتجري الحياة في حوض البحر من خلال تلاقي وتصادم الأفراد والجماعات، فالناس يسافرون ويصيدون ويخوضون الحروب ويغرقون في البحر، فالتاريخ مليء بتدخلات ثقافية واقتصادية على السواء، من الشمال الأغنى إلى الجنوب الأفقر[1].

وصدام الحضارات عند بردويل يعني مبرراً لوجودها، فالبحر المتوسط يدين لحضاراته بحروبه وكذلك بمبادلاته المتعددة التي تمت بين الحضارات، ويؤكد بردويل أن الصراع إذا كان حتمياً فهو مثمر، لولا وجود تلك الصراعات لما تقدمت الحضارات عبر التاريخ[2]. الوقائع والأحداث التي جرت عبر تاريخ البحر المتوسط والحضارات على جانبيه، أثرت في حياة الجماعات والشعوب التي عاشت على ضفافه، من خلال الثقافات والحروب، فهذه الصدامات أدت إلى تنقل المعارف من خلال صراع الحضارات عند بردويل، وهذا يعني أن صراع الحضارات عند بردويل هو إيجابي، لأنه ينقل المعارف والعلوم بين الحضارات، ومن ثم تتطور التكنولوجيا وتتقدم الحضارات.

---

[١] جون ليشته. خمسون مفكراً أساسياً معاصراً. ت فاتن البستاني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨، ص: ١٩٤-١٩٧.

[٢] عبد السلام السعيدي. مرجع سابق.

هيجل وفلسفة التاريخ:

عندما نتحدث عن فكر هيجل، فإنما نتحدث عن أهم الفلاسفة الذين ارتبطت بهم فلسفة التاريخ، فقد كشف عن جوهر جديد للتاريخ "الفكر هو أساس التاريخ"، فالتاريخ ليس تاريخاً إلا للوعي، وتطور الوعي هو بمنزلة تطور للتاريخ. وهذا الوعي لا يكون إلا من خلال العقل، لأن العقل جوهر التاريخ وجوهر الإنسان على حد سواء[١]. وهذا التقدم مستمر من خلال حقب التاريخ، وانتقال الحضارة من عصر إلى عصر، ويعني هيجل بأن التقدم دائماً إلى الأمام، لا التكرار والعودة إلى الوراء[٢]. ولم يعر هيجل اهتماماً كبيراً لأشخاص الأفراد في التاريخ، "فأما في تاريخ العالم، فإن الأفراد الذين علينا أن نتعامل معهم هم الشعوب والوحدات الكلية التي هي الدول"، وهو أمر ينطوي على مشاركتهم الحرة بشكل ذاتي في أهداف تتسامى فوق المصالح الأنانية البحتة[٣]. فالدولة عند هيجل هي وحدة دراسة التاريخ، إنها الحرية في صورتها الواقعية، كل نشاط بشري وكل عمل فكري إنما يتحقق من خلال الدولة وأنظمتها[٤].

يستند منطق التاريخ عند هيجل إلى "الديالكتيك"؛ والديالكتيك هو: الجدل أو المحاورة وتبادل الحجج بين طرفين، دفاعاً عن وجهة نظر معينة. وفي فكر هيجل

---

[١] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ١٨٩.

[٢] بدري فهد. مرجع سابق، ص: ٣٧.

[٣] آلبان. ج. ويدجري. التاريخ.. وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي، ت عبد العزيز جاويد، الجزء الثاني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص: ٧٤.

[٤] أحمد صبحي. مرجع سابق، ص: ٢٠٨.

يعني: التناقض والتعاكس الخلاق، فالكائنات تفضي ما عندها، وتفرغ مخزونها باستمرار خلال عمليات الديالكتيك. ونجد جوهر التطور عند هيجل هو صراع المتناقضات، على أساس أن كل ظاهرة تحوي تناقضاً داخلياً يدفعها إلى الأمام ويؤدي بها آخر الأمر إلى شيء آخر، أي انبثاق ظاهرة جديدة، ومن ثم يتحول النظام القائم إلى نظام آخر[١]. يقدم هيجل تفسيراً للتاريخ من خلال الروح التي تسعى لأن تكون حرة. لا تكشف الروح "العقل" عن وعيها الذاتي كما تكشف عنه في التاريخ، فتاريخ العالم يعبر عن تقدم الوعي بالحرية[٢].

ويقسم هيجل الحضارات إلى مراحل، فيبدأ بالمرحلة الأولى من الحضارات الشرقية "الفرعونية، الفارسية، الهندية..، إلخ"، التي تتميز بخاصية أن المواطنين جميعاً في كل مجتمع كانوا عبيداً للحاكم الذي كان عبداً لنزواته، والمرحلة الثانية تمثلها الحضارات "اليونانية والرومانية"، حيث إننا نجد أن نطاق الحرية قد اتسع بحيث أصبح بعض المواطنين أحراراً، وفي نهاية تحليله يصل إلى الأمم "الجرمانية" التي قد وصلت إلى الوعي بأن الإنسان هو حر[٣].

بعد عرض فلسفة التاريخ الهيجلية، وفكرة التقدم في التاريخ من خلال التناقضات في المجتمع، يمكن أن نتساءل هل التناقضات في المجتمع انتهت؟ والتاريخ وصل إلى النهاية؟ ما يطرحه هيجل في نهاية التاريخ للحضارات الإنسانية وتطورها، كما قمنا بعرضها سابقاً في فكرته للحضارات، وتطور الروح "العقل" للوصول

[١] بدري فهد. مرجع سابق، ص: ٣٦.

[٢] أحمد صبحي. مرجع سابق، ص: ٢٠٨.

[٣] رأفت الشيخ. مرجع سابق، ص: ١٥٩-١٦٠.

للحرية والوعي الذاتي؛ يعطي تصوراً لنهاية التاريخ، وذلك من خلال اعتقاده بأن التاريخ الإنساني قد مر عبر سلسلة من المراحل الحضارية، وفي كل مرحلة تطورت الصراعات والتناقضات الداخلية، وهوما أدى إلى تهديمها، وما كان من الممكن حل هذه التناقضات إلا من خلال عبور مرحلة جديدة أكثر تقدماً وتطوراً، والتي بدورها تحتوي على تناقضاتها الداخلية وهكذا، والتاريخ ينتهي عندما نصل إلى شكل من المجتمع تكون فيه كل التناقضات قد حلت[١].

بينما يبدي برتراند رسل Bertrand Russell١٨٧٢-١٩٧٠ رأيه حول مسألة النهاية عند هيجل قائلاً: "ربما ظن البعض أن الديمقراطية قد تكون الصورة الملائمة لحكومة يكون الكل فيها أحراراً، وليس الأمر كذلك، فالديمقراطية والأرستقراطية كلتاهما تنتميان إلى المرحلة التي يكون فيها البعض أحراراً؛ والاستبداد للمرحلة التي يكون فيها واحداً حراً"[٢]. ولعل رأي رسل حول نهاية هيجل ما زال مجدياً، فالليبرالية صحيح تطورت وتقدمت وما زالت قائمة ومتقدمة، إلا أن هناك تناقضات كبيرة ومعقدة على المستوى الداخلي لها، كالأزمات المالية، وعلى المستوى الخارجي في علاقاتها مع الحضارات الأخرى.

---

[١] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. مرجع سابق، ص: ٢٩٧.

[٢] برتراند رسل. تاريخ الفلسفة الغربية – الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة، ت محمد فتحي الشنيطي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ص: ٣٦١.

ماركس والمادية التاريخية:

الحديث عن كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) يأخذ جانبين وهما: الأول: يتصل بالاشتراكية العلمية، والثاني: يتصل بتفسير تطور التاريخ على أُسس اقتصادية، وقال ماركس بمساعدة فردريك إنجلز Friedrich Engels (١٨٢٠-١٨٩٥): إن التفسير الاقتصادي للتاريخ له جانبان: الأول: يتصل بالمنهج والثاني: يتصل بالمذهب. أما المنهج فهو "الديالكتيك الهيجلي"، وأما المذهب فهو "المادية". لقد خلع الغلاف المثالي لمذهب هيجل بل انتقده، واعتبر جدل هيجل واقفاً على رأسه، بدلاً من قدميه بسبب هذه النزعة المثالية، وقد استعار الديالكتيك الهيجلي وألبسه ثوباً آخر مادياً ثم طبقه على الظواهر الإنسانية والطبيعية معاً[١].

مفهوم ماركس للتاريخ، كان ماركس يدرك قوة الاحتياجات الطبيعية للغذاء والمأوى، لا لأن الاحتياجات الطبيعية لها أهمية كبرى مطلقة على الاحتياجات الأخرى، لكن لأن لها قوة الحاجة البيولوجية، فإذا لم تتم تلبيتها فإننا لا نستطيع العيش، ولأن العلاقات التي ندخل فيها لتلبية حاجاتنا هي ضرورة ملحة، وإلى أن تتم تلبيتها فهي تبقى مسيطرة على الانتباه ومن المحتم أن تشكل حياتنا وكياننا ذاته، وهذا هو مذهب "الحتمية الاقتصادية " لماركس[٢]. ماركس يرى أن القوى الحقيقية التي تحكم التطور التاريخي في جميع حالاته تأتي من تحديد سلوك الإنسان، وهو يتصرف

---

[١] أحمد صبحي. مرجع سابق، ص: ٢١٨-٢١٩.

[٢] جلين تندر. الفكر السياسي الأسئلة الأبدية، ت مصطفى محمد غنيم، القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣، ص: ٢٦٥.

متأثراً ببعض الدوافع الاقتصادية، وأن الحالة الاقتصادية هي التي تحدد بصفة محددة النظم الأخلاقية والدينية والاجتماعية والسياسية[١]. أخذ ماركس عن هيجل الطريقة الجدلية، فجعل من التناقضات داخل المجتمع المحرك الأساس للتاريخ، أي أن القوى المنتجة فيه هي في تناقض مع علاقات الإنتاج فيؤدي ذلك إلى صراع الطبقات، وما يميز طبقة عن أخرى هو امتلاكها أو عدم امتلاكها لوسائل الإنتاج، ولا تكون أي مجموعة بشرية طبقة اجتماعية إلا إذا كان أفرادها متماسكين فيما بينهم[٢]. تأثر ماركس بالقسوة المروعة للنظام الصناعي، ورأى أن النظام سوف يتطور على الأرجح من المنافسة الحرة نحو الاحتكار، وأن ظلمه لا بد أن ينتج حركة ثورية بين "البروليتاريا Proletariat" العمال، وتنبأ كارل ماركس بالاشتراكية واعتقد بأنها متى قامت فإنها تخدم السعادة الإنسانية بأكثر مما فعل الإقطاع أو الرأسمالية[٣].

يرى ماركس أن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنساني، وهذه القوانين حتمية، أي أنها تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه، فإذا أدرك الإنسان هذه القوانين استطاع أن يقرر صورة مستقبل الجماعة الإنسانية، وهذه القوانين هي حقائق متعلقة بطبيعة العمل والإنتاج، وطريقة توزيع الثروة بين المواطنين، فإن الثروة تنتج عن العمل، والعمل يقوم به من يعملون بأيديهم، ولابد أن تعود ثمرة العمل لهم[٤]. الدولة عند ماركس هي وسيلة وليس غاية فإن الدولة بعد الوصول إلى

[١] رأفت الشيخ. مرجع سابق، ص: ١٦٧.

[٢] فريد سليمان. مرجع سابق، ص: ١١٢.

[٣] برتراند رسل. مرجع سابق، ص: ٤٣٣-٤٣٤.

[٤] حسين مؤنس. التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤، ص: ١١٧.

الاشتراكية لابد أن تزول للوصول إلى المجتمع الشيوعي.

نظرية كارل ماركس المادية التاريخية، بشرت بإنهاء أشكال الوحشية للنظام الرأسمالي والثورة عليه للوصول إلى السعادة الإنسانية، عندما ينتهي الصراع الطبقي وتكون ملكية أدوات الإنتاج ملكية عامة للجميع. النهايات التي طرحها ماركس هي: "نهاية الطبقات، نهاية الدولة، نهاية الاقتصاد"، عندما تصور ماركس حدوث ثورة تؤدي إلى نهاية كل أشكال الاغتراب، وبناء عالم حرر من الضغوط وسيطر على الضرورات[١]. تصور ماركس للعالم جاء قبل تصور فوكوياما بقرنين تقريباً، فقد بشر ماركس بنهاية التوحش الرأسمالي، وذلك من خلال مرحلتين: الأولى: هي الاشتراكية التي تكون ملكية وسائل الإنتاج للعامة ووجود دولة، أما الثانية: فهي الشيوعية، والاشتراكية هي فترة انتقال للوصول للمجتمع الشيوعي، أي نهاية الدولة وملكية وسائل الإنتاج تكون ملكاً للعامة، والذي تنتهي فيه كل أشكال الاغتراب.

[١] عامر فياض وعماد مولد. مستقبل الأيديولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث، مجلة العلوم السياسية، بغداد: جامعة بغداد العدد ٤٣، ٢٠١١، ص ٣١.

المبحث الثاني:

نهاية عصر الأيديولوجيا[1]

في المبحث السابق تطرقنا إلى فلسفة التاريخ وكتابة تاريخ الحضارات عند عدد من المفكرين، الذين أدلوا بأفكارهم لتحليل التاريخ والحضارات، فصاغ كارل ماركس نظريته السياسية حتى أصبحت الأيديولوجيا الاشتراكية التي اعتنقتها الثورة البلشفية في روسيا، وأخذت الأيديولوجيا النازية تمجد الروح الألمانية في فكر هيجل، ويمكن القول بأن أيديولوجيات القرن العشرين انبثقت من الأفكار والنظريات السياسية التي صاغها مفكرو القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ففي منتصف القرن العشرين، بعد سقوط وصعود تلك الأيديولوجيات في الدول الكبرى جراء الحروب العالمية والحرب الباردة، بدأ طرح فكري جديد ينادي بنهاية وسقوط الأيديولوجيا من سياسة الدول.

في العام ١٩٥٥ عقدت "منظمة الحرية الثقافية" مؤتمراً في ميلانو بإيطاليا، وكانت الغاية منه القضاء على الأيديولوجيا، وناقشت جلسات المؤتمر "نهاية عصر

---

[١] نهاية الأيديولوجيا: في منتصف القرن العشرين ظهر مصطلح "نهاية عصر الأيديولوجيا"، من قبل مفكري الغرب الرأسمالي، وبالتحديد في مؤتمر ميلانو بإيطاليا الذي عقدته منظمة "الحرية والثقافة"، وخلص المؤتمر بأن نهاية الأيديولوجيا ظاهرة صحية وهي لازمة لتطور الدولة. انظر: جريدة الأهرام. رؤيتي لـ القرن العشرين، مقال: مراد وهبة رقم ٥٣، ١٩٥٥، القاهرة: الأهرام، العدد ٤٥٨٣٧، ٢٠١٢، ص: ١٢.

تعني نهاية الأيديولوجيا اليوم نهاية تطبيق النظريات السياسية في الدولة، فقد أصبحت الدول بعد انحسار الأيديولوجيا الاشتراكية، تعمل على تطبيق برامج حكومية قد تتضمن أفكاراً سياسية مختلفة ومتنوعة.

الأيديولوجيا"، وقد ألقى عالم الاجتماع الفرنسي ريموند آرون ١٩٨٣-١٩٠٥ Raymond Aron المحاضرة الرئيسة تحت عنوان "نهاية عصر الأيديولوجيا"، حيث كان يرى نهاية الأيديولوجيا لازمة لأنها صحية، وهي عقبة أساسية أمام تطور الدولة، أما عالم الاجتماع الأمريكي دنيال بل[١] Daniel Bell رئيس المنظمة، فقد أعلن بأن نهاية الأيديولوجيا قد تحققت في الولايات المتحدة.

نهاية الأيديولوجيا واليوتوبيا كان لها صدى قوي داخل الأوساط الثقافية الغربية في خمسينيات القرن الماضي، وبعد مؤتمر "ميلانو" صدرت دراسات نظرية عدة لتدعيم نهاية الايديولوجيا، فكانت كتب دنيال بيل ومارتن ليبست Seymour Martin lipset [٢] من أبرز الدراسات الداعمة لترويج وتفسير "نهاية الأيديولوجيا". تم صياغة مصطلح "نهاية الأيديولوجيا" في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، فقد

---

[١] دنيال بل Daniel Bell (١٩١٩-٢٠١١): أحد قادة المحافظين الجدد في الجيل الأول الذي ظهر نشاطه السياسي في ستينات القرن العشرين، كان يعمل محاضراً في جامعة هارفارد Harvard University، وأهم مؤلفاته "نهاية الأيديولوجيا". انظر:

جريدة الأهرام. رؤيتي لـ القرن العشرين، مقال: مراد وهبة رقم ٥٣، ١٩٥٥ القاهرة: الأهرام، العدد ٤٥٨٣٧، ٢٠١٢، ص: ١٢.

عامر فياض وعماد مولد. مرجع سابق، ص: ٣٥ وما يليها.

[٢] سيمور مارتن ليبست Seymour Martin lipset (١٩٢٢-٢٠٠٦): عالم اجتماع أمريكي، وأحد قادة المحافظين الجدد في الجيل الأول الذي ظهر نشاطه السياسي في ستينات القرن العشرين. انظر: جريدة الأهرام. رؤيتي لـ القرن العشرين، مقال: مراد وهبة رقم ٥٣، ١٩٥٥، القاهرة: الأهرام، العدد ٤٥٨٣٧، ٢٠١٢، ص: ١٢.

عامر فياض وعماد مولد. مرجع سابق، ص: ٣٥ وما يليها.

شاع استخدامه في السياسة. وأسس علماء الاجتماع والسياسة في الغرب الليبرالي نهاية الأيديولوجيا، وكان عقد مؤتمر "ميلان" هو الإعلان الرسمي لنهاية عصر الأيديولوجيا.

معظم الكتب والدراسات التي بحثت نهاية الأيديولوجيا اتفقت بأن هناك اتجاهين أساسين يهتمان بنهاية الأيديولوجيا، الأول: يطرح نهاية الأيديولوجيا من خلال علاقتها بالسياسة، أما الثاني: فيطرح نهاية الأيديولوجيا من خلال علاقتها بالعلم والتكنولوجيا. وفيما يلي سوف نوضح هذين الاتجاهين ودعوة المنظرين لنهاية الأيديولوجيا.

نهاية الأيديولوجيا من السياسة:

ريمون آرون في خطابة الافتتاحي لمؤتمر ميلان: "الجدل الأيديولوجي في معظم المجتمعات الغربية انتهى، والتاريخ رفض الآمال المبالغ فيها والمتعلقة بالثورة، بالرغم من وجود بعض التوترات القائمة حول المساواة والعمالة والأجور والتضخم، إلا أن هذه التوترات لا تثير أي صراع أساسي، فهناك توافق كامل على الإطار الأساسي لدولة الرخاء"[١].

وقد ظل ريمون في كتاباته كلها يركز على إبراز التفاعل بين التجربة التاريخية والإرادة السياسية ويبتعد تماماً عن كل أنواع وصور الحتمية التاريخية، إيماناً منه بأن التاريخ له "نهاية مقترحة" حسب تعبير "ميريام برنهايم كونانت"، في مقالها عن آرون في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، فكانت مهاجمته واضحة للفكر الماركسي

---

[١] راسل جاكوبي. نهاية اليوتوبيا، ت فاروق عبد القادر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠١، ص: ١٢.

في كتابة "أفيون المثقفين" الذي أعلن فيه انتهاء عصر الأيديولوجيات وقرب زوال الماركسية[١]. ويربط نهاية الأيديولوجيا في الاشتراكية، وذلك من خلال جوهر الاشتراكية التي تعني الثورة وهذا قد انتهى، فلا يوجد بديل للرأسمالية المتطورة. فقد يكون المجتمع الغربي ناقصاً وغير عادل في مناح كثيرة، إلا أنه قد تقدم كثيراً بحيث تكفي الإصلاحات كي تكون واعدة بأكثر من العنف والاضطراب الذي ينتج عن الثورة الاشتراكية التي لا يمكن التنبؤ بنتائجها[٢].

كتب سيمور مارتن ليبست عن نهاية الأيديولوجيا قائلاً: "هذا العصر هو عصر نهاية الأيديولوجيا، فالتغيرات في الحياة السياسية الغربية تعكس حقيقة أن الحلول للمشاكل السياسية الرئيسة للثورة الصناعية قد تم العثور عليها، فقد حصل العمال على حقوقهم السياسية والصناعية، فقد قبل المحافظون أن تقام دولة الرفاه"[٣]. وينظر مارتن ليبست من خلال آرائه التي يطرحها لنهاية الأيديولوجيا: "السياسة اليوم أصبحت أمراً مضجراً"، وفي كتابه "رجل السياسية، ١٩٦٠"، وهو يتفق مع ريمون آرون بأن المشاكل السياسية الأساسية للثورة الصناعية لم تعد تؤدي إلى خلافات أيديولوجية فالديمقراطية في الغرب وضعت نهاية لسياسة المثقفين الذين يجب أن تكون لهم أيديولوجيات أو يوتوبيات تدفعهم للعمل السياسي"[٤].

---

[١] العربي. ريمون آرون... المتفرج الملتزم، الكويت: مجلة العربي، العدد ٤٦، ٢٠٠١.

[٢] راسل جاكوبي. مرجع سابق، ص: ١٣.

[٣] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. مرجع سابق، ص: ٢٨٨.

[٤] راسل جاكوبي. مرجع سابق، ص: ١٣-١٤.

قدم دنيال بيل كتاب "نهاية الأيديولوجيا، ١٩٦٠" مفترضاً المذاهب السياسية، كالاشتراكية والشيوعية والمحافظة أصبحت غير ذي صلة بالتقدم الاجتماعي والسياسي في الدولة، أما النظام السياسي فهو فقط الذي يمكن من خلاله تحقيق النمو الاقتصادي[١]. ويصوغ دنيال بيل أكثر الآراء حدة في كتابه "نهاية الأيديولوجيا" عن ريمون أرون ومارتن ليبست، "أيديولوجيات القرن التاسع عشر القديمة قد أُنهكت وقوضتها أهوال الشيوعية من جانب، ونجاح الرأسمالية الليبرالية من جانب آخر، إن تطور الرأسمالية وقيام دولة الرفاه أدى إلى نهاية العصر الأيديولوجي"[٢]. وقد عزز بيل أطُروحاته عن نهاية الأيديولوجيا من خلال كتاباته عن المجتمع وتصوراته له بدون أيديولوجيا سياسية، ويتصور شكل المجتمع بعد أربعين أو خمسين سنة، بأن النظام الصناعي سوف يتلاشى ويحل محله مجتمع جديد تحكمه طبقة مهنية من الاقتصاديين والعلماء والتكنولوجيين والتقنيين وليست طبقة نفعية تسيطر على السلطة من خلال أيديولوجيتها[٣].

يتفق المفكرون وغيرهم على نهاية الأيديولوجيا من السياسة في العالم، ويمكن القول بأن الإعلان عن موت الأيديولوجيا هو إعلان غربي بامتياز، حيث جاءت الأطروحات كافة من خلال علماء الاجتماع والسياسة الغربيين الذين ينتمون

---

[١] Mona Jamaica. Nkrumah and the Triple Heritage Thesis and Development in Africana Societies, International Journal of Business, Humanities and Technology Washington: Vol. 2 No. 2,2012, p:69.

[٢] راسل جاكوبي. مرجع سابق، ص: ١٥.

[٣] عامر فياض وحسن مولد. مرجع سابق، ص: ٣٧.

لليبرالية، فهم يعلنون موت الأيديولوجيا الماركسية وهي في أوج قوتها في منتصف القرن العشرين. وقد أنهى كل من دنيال بل مارتن ليبست وريمون أرون وغيرهم، الأيديولوجيا من السياسية حيث يتفقون على أن هناك إجماعاً في الدول الغربية على طبيعة النظم السياسية والقضايا الرئيسة فيها، من حيث دولة الرفاه والانسجام الاجتماعي أي السلام بين الطبقات، والمحافظون قبلوا بدولة الرفاه، وهذا يعني بأن النظام السياسي في الغرب يحظى بقبول من جميع الأحزاب والشعوب، دون أي تعارض على شكل النظام السياسي وطبيعة.

طبيعة النظام السياسي في الدولة يتحدد بقوانين ودستور الدولة الذي يحظى بقبول عام لدى شرائح المجتمع وطبقاته كافة، ومع ذلك يوجد في الغرب أيديولوجيات سياسية مختلفة عدة، فهناك التيارات المحافظة والتيارات الديمقراطية، بالإضافة إلى الفكر اليساري الذي لم ينته حتى اليوم. وهذه التيارات والأحزاب السياسية تقوم على اعتبارات أيديولوجية، وخاصة في ممارستها للسياسة العملية في إدارة شؤون الدولة حيث تظهر الأيديولوجية الحزبية من خلال سياسات الحكومة.

نهاية الأيديولوجيا من العلوم:

كان المفكرون يعملون على التحرر من نفوذ الأيديولوجيا، فاتجه المفكرون نحو العلم الحديث، الذي أدى إلى ابتكار ووصف تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على دراسة الفرد والمجتمع، إن كل المفكرين الأيديولوجيين اليوم لم يبحثوا سوى عن تنفيذ المشروع المركزي الحديث، وهو في كلمات فرانسيس بيكون: تطبيق قوة العلم

لأجل "إراحة حالة الإنسان"[١]. وفي رأي وولش الأيديولوجيا لها ضرورتها اللازمة داخل هياكل الحضارة العصرية كلياً ويرى بضرورة إقرار دور الأيديولوجيا "الحركة الأيديولوجية الجماهيرية لا تمثل العودة المنعزلة أو الخصوصية إلى البربرية، أو انقطاع عشوائي لحضارة تتقدمه ببطء".

عمل المفكرون على البحث في العلوم الطبيعية من أجل راحة الإنسان والتخلص من الأيديولوجيا وقيودها، ولم يكن هذا الاتجاه هو لعلماء الاجتماع والسياسة للقرن العشرين، فقد كانت هذه أطُروحات علماء القرن التاسع عشر من أجل فصل العلم عن الأيديولوجيا، باختلاف توجهاتهم الفكرية، فهناك علماء ليبراليون ويساريون يتبنون وجهة النظر هذه.

فقد ساهم عالم الاجتماع ماكس فيبر في وضع حجر الأساس لمدرسة "نهاية الأيديولوجيا" عندما أراد تأسيس علم اجتماع علمي وموضوعي على أساس نزاهة التحليل الاجتماعي بعيداً عن الأيديولوجيا[٢]. فقد حاول فيبر بواسطة مفهوم "العقلنة" أن يفهم التأثيرات الراجعة للتقدم العلمي والتقني على الإطار المؤسساتي للمجتمعات والهدف عند فيبر هو معرفة الجماعة والمجتمع، فئات رسمية وغير رسمية، علاقات أولية وثانوية، ثقافة ومدنية...، هذه المفاهيم المتعددة لفهم التحول

---

[١] ديفيد وولش. عصر ما بعد الأيديولوجية، ت سامية الشامي وطلعت غنيم، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥، ص: ٣٢-٣٣.

[٢] عامر فياض وحسن مولد. مرجع سابق، ص: ٣٣.

البنيوي للإطار المؤسساتي لمجتمع تقليدي في انتقاله إلى مجتمع حديث[1]. هابرماس يرى في كتابة "العلم والتقنية كأيديولوجيا" بأن صيرورة "العقلنة" التي بدأ فيها العلم والتقنية ذاتها يأخذان أهمية أيديولوجيا بديلة عن الأيديولوجيات البرجوازية، فالتقدم العلمي والتقني فرض قسرياً إعادة تنظيم المؤسسات الاجتماعية والمجالات الجزئية. وهو بذلك ينتقد مفهوم "العقلنة" عند ماكس فيبر ويعتبر التقدم العلمي هو سيطرة الطبقة البرجوازية على مؤسسات المجتمع كافة من خلال التقنية العلمية المستخدمة في الاقتصاد، وحتى في البحث العلمي، فاختيار وزارة الدفاع لمن يصعد على القمر هو اختيار منظم لطبقة معينة.

ويتفق هابرماس Habermas مع ماركوزه Marcuse (١٨٩٨- ١٩٧٩) في أُطروحته التي تنص على أن: "التقنية والعلم يأخذان في هذه الأيام وظيفة شرعيات السيطرة"[2]. ويرى ماركوزه التقنية والعلم في المجتمع الرأسمالي هما تقدم وهمي نحو حرية الفرد في الاختيار للإنتاج الوفير بسبب التقدم العلمي، هذا من وجهة نظره الحرية الوهمية في الاختيار، وأصبح العمال هم في خدمة الطبقة البرجوازية في المجتمع[3]. أطروحة ماركوزه للتقدم التقني والعلمي في المجتمعات الرأسمالية صحيحة، فالشركات العابرة للقارات تعتبر دولاً عابرة للقومية، وتتحكم في مئات الألاف من العمال والصانعين، من خلال التقنية التي تستخدمها والمنتجات التي

[1] يورغن هابرماس. العلم والتقنية كأيديولوجيا، ت حسن صقر، اللاذقية: منشورات الجمل، ٢٠٠٣، ص: ٥٤-٥٥.

[2] يورغن هابرماس. مرجع سابق، ص: ٦٨.

[3] عامر فياض وحسن مولد. مرجع سابق، ص: ٣٣.

تنتجها، بل أصبحت هذه الشركات شخصاً اعتبارياً من شخوص القانون الدولي.

كارل مانهايم (١٨٩٣-١٩٤٧) كان أول من ربط "الأيديولوجيا واليوتوبيا" ضمن علاقة جدلية متكاملة، فقد بحث في العلاقة بين العلم من جهة، والأيديولوجيا واليوتوبيا من جهة أخرى، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة الموضوعية المحايدة[١]. يتساءل كارل مانهايم لماذا لا يوجد علم للسياسة في عالم يسيطر عليه المزاج العقلاني كعالمنا المعاصر؟ ويضع تصوراً لإيجاد علم يدرس الأحداث والمشكلات السياسية كافة، فالعلم هو القادر على حل المشكلات كافة.

"لابد أن يكون علم الاجتماع قادراً على الإتيان بشيء أفضل من مجرد إرجاع المشاكل وحلولها إلى بعض الأفراد الموهوبين، فلابد من دراسة وجود المشاكل في زمان ومكان ما، ودراسة الترابطات المعقدة بين تلك المشاكل،.... ولكن علم الاجتماع لا يستطيع أن يكتفي بفهم المشاكل والأحداث المباشرة، فلا بد من فهم هذه الوقائع، التي تبدو معزولة ومفصولة، في إطار التجارب المركبة الدائمة الحضور والدائمة التغيير في نفس الوقت، والتي فيها عاش الناس فعلاً تلك الوقائع. ضمن هذا السياق فقط تكتسب تلك الوقائع معناها"[٢].

وقد حدد مانهايم الفئة التي لابد أن تتحرر من الأيديولوجيا واليوتوبيا في أي مجتمع، وهم طبقة العلماء والمفكرين الذين لا يمكن وضع قيود واعتبارات أيديولوجية محددة مسبقاً عليهم، "حين تفشل نظرية ما، كلياً أو جزئياً، في أن تتطور بعد مرحلة محددة

[١] المرجع السابق، ص: ٣٣.

[٢] كارل مانهايم. مرجع سابق، ص: ١٧٥.

من التجريد النسبي، وتبدأ تقاوم أي ميول نحو المزيد من التحديد، إما باستنكار هذا الميل إلى التحديد، أو بإعلانه خروجاً وانحرافاً؛ فإن هذا لا يحدث صدفة، وهنا يكون الوضع الاجتماعي للمفكر أمراً بالغ الأهمية"[١]. ويقدم مانهايم ملاحظته الأساسية وهي أن معظم الدراسات الخاصة بالأيديولوجيا المبنية على الخلفية التاريخية لا تصل إلى مستوى التحليل العلمي، وإنما تكتفي بالأمثلة والقرائن التاريخية[٢].

ساهم بعض الماركسيين في فصل العلم عن الأيديولوجيا، ومن أهم الآراء التي طرحها أتباع ماركس لفصل الأيديولوجيا عن العلم هو لويس ألتوسير Louis Althusser (١٩١٨-١٩٩٠) الذي أعاد قراءة فكر ماركس، فيقول ألتوسير: "عندما يتم تحديد الإشكالية التجريبية: يصبح كل من المعرفة والعلم الموضوعي منفصلين تماماً. ويلزم عن هذا أن صلاحية النظرية لا تعتمد على ما إذا كان ما تقوله يتطابق بشكل مباشر مع الواقع أم لا، ولكنها تعتمد على ما إذا كانت مقدماتها متماسكة منطقياً، والحقيقة العلمية ليست بعيدة عن الواقع، فالنظرية النسبية صادقة أو كاذبة قبل أن يجري تجريبها في الواقع "وهذه الميزة الجوهرية للعلم التي تميزه عن الأيديولوجيا"[٣].

فصل ألتوسير بين العلم والأيديولوجيا من منطلق آخر، وهو أن تطور العلم والتكنولوجيا بحد ذاتها هما أيديولوجيا، وتحديداً في المجتمعات الصناعية المتقدمة،

---

[١] المرجع السابق. ص: ٣١٩.

[٢] عبدالله الانصاري. مرجع سابق، ص: ١٤٤.

[٣] جون ليشته. مرجع سابق، ص: ٨٨-٨٩.

فهو ينعت بأن العلم سيحتل يوماً ما مكان الأيديولوجيا، فهي قائمة حتى في المجتمع الشيوعي، وقد تحدث تعديلات مهمة على أشكال الأيديولوجيا، وقد تنمو أيديولوجيات جديدة[١].

بالرغم من التقدم العلمي الهائل في المجالات كافة، فكيف يمكن أن نفصل الأيديولوجيا عن العلم؟ أليست الأيديولوجيا تعني علم الأفكار، وهي علم دراسة الأفكار، وإحدى فروع العلوم الإنسانية، فالعلوم تعمل على تطور البشرية وخاصة العلوم التطبيقية، وبالرغم من ذلك لا تستطيع تلك العلوم دراسة الأخلاق والمساواة والحريات العامة لدى الجماعات، ولا تستطيع أن تعمل على تهذيبها كالفلسفة وفروعها.

نقد أطُروحات "نهاية الأيديولوجيا":

في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، لا يمكن إنكار تراجع دور الأيديولوجيا في المجتمعات الغربية، ولكن هذا النوع من الانحسار هو "انحسار الأيديولوجيا المباشرة" فقد تم استبدال الأيديولوجيا المباشرة بالأيديولوجيا المقنعة غير المباشرة[٢]. يرى ليون كاس leon kass "أكثر النتائج هلاكاً للتقدم التكنولوجي - الأكثر تجربة للصفات الإنسانية من أي مؤثر فعلي أو تقنية. في الوقت الحاضر أو في المستقبل، إننا نشهد التعرية، ربما التعرية النهائية لفكرة الإنسان كشيء فخم أو رائع جداً، واستبدالها برؤية الإنسان، التي لا تقل عن رؤية الطبيعة، كمادة خام ببساطة للاستخدام والتجانس"[٣].

[١] عامر فياض وحسن مولد. مرجع سابق، ص: ٤٤.

[٢] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. مرجع سابق، ص: ٢٩٠.

[٣] ديفيد وولش. مرجع سابق، ص: ٣٥.

وبالرغم من الدعوة لنهاية الأيديولوجيا في الفكر الغربي، إلا أن مفهوم الأيديولوجيا السياسية هو مفهوم مركزي في العلوم السياسية، على مدى ٥٠ سنه ماضية كان المصطلح هو الأكثر استخداماً في مقالات وبحوث مجلة العلوم السياسية في جامعة كولومبيا الأمريكية[١]. وقد توصلت كاثرين نايت Katherine Knight لهذه النتيجة بعد دراسة لواقع نهاية الأيديولوجيا في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٦ واستخدامها مصطلحاً للتداول الإعلامي والسياسي، فبالرغم من الإعلان عن نهاية الأيديولوجيا إلا أنه ما زال الغرب الذي أسقطها يتعامل بها في علم السياسة، وفي الحياة العملية.

بينما يعطي هربرت ماركوزه تصوراً لوجود الأيديولوجيا في الحياة السياسية حيث يقول: "في هذا القرن يجد الإنسان نفسه مطوقاً، أينما استدار بالتكيف الأيديولوجي الخفي والمنظور الذي يطارده في كل مكان، عبر سيل متطور من الأجهزة الأيديولوجية البدائية: الخطابة، الكتاب والمدرسة، وسائل الإعلام والأجهزة الحديثة والفاعلة"[٢].

وفي استمرارية عمل الأيديولوجيا في الحياة العامة يقول أندرو هيود: "إن جميع الناس مفكرون سياسيون، وسواء علموا بذلك أم لم يعلموا، فإن الناس يستخدموا المفاهيم والأفكار السياسية حينما يعبرون عن آرائهم أو يصرحون بها في أذهانهم". وتتبعثر في لغة الحياة اليومية مصطلحات مثل "الحرية، والمساواة، والعدالة، والحقوق"، وفي الوقت نفسه يوظف الناس بشكل منتظم كلمات مثل "محافظ"

---

[1] Kathleen knight. Transformations of the Concept of Ideology in the Twentieth Century, American Political Science Review Washington: Vol. 100, No. 4, 2006, p:625

[٢] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. مرجع سابق، ص: ٢٩٠.

و"ليبرالي" و"اشتراكي" إما لوصف آرائهم الخاصة أو آراء غيرهم[١].

وينتقد مراد وهبة مفهوم "نهاية الأيديولوجيا" ويعطي تحليلاً لنقد نهاية الأيديولوجيا قائلاً: "الأيديولوجيا هي في صميم كينونة الإنسان بحكم قدرته على مجاوزة الواقع من أجل تغييره، ولكن الأيديولوجيا تمتنع عن إحداث التغيير إذا تحولت إلى معتقد مطلق. ومع ذلك فهذا التحول لا يستقيم مع مسار التاريخ الإنساني، ومن ثم يلزم نفيه؛ وفى حالة نفيه يكون الإنسان بلا أيديولوجيا. ولكن هذا النفي مؤقت، إذ يعقبه إبداع أيديولوجيا جديدة. وهكذا تكون نهاية الأيديولوجيا مؤقتة وليست دائمة"[٢].

إن التقدم الصناعي والتقدم العلمي في عالمنا المعاصر لم ينهِ الأيديولوجيا، بل عمل على إبداع أيديولوجيات جديدة، مثل: الشركات المتعددة الجنسيات التي انبثقت عن التقدم الصناعي لديها قوة الدول، وفكر اقتصادي يتطلب علاقات سياسية لتحقيقها، وهذه السياسية وإن لم ترتقِ للأيديولوجيا السياسية بشكل كامل إلا أنها تؤثر في الدول كما كانت تؤثر الأيديولوجيات في القرن العشرين. كل الأطروحات السابقة لنهاية الأيديولوجيا، هي أطروحات غربية تعمل على إسقاط الأيديولوجيا الاشتراكية، فهي تحدثت عن نهاية الأيديولوجيات ومجدت الأيديولوجيا الليبرالية، أي موت وفناء الأيديولوجيات الأخرى مقابل الأيديولوجية الليبرالية. وهذا ما وضحه فرانسيس فوكوياما في أُطروحته بأن الأيديولوجيا الغربية هي نهاية التاريخ، وليس هناك إمكانية تطور أيديولوجيا جديدة في المستقبل.

---

[١] أندرو هيود. مرجع سابق، ص: ١٠.

[٢] مراد وهبة. مرجع سابق، ص:١٢.

المبحث الثالث:

المحافظون الجدد والفكر السياسي الأمريكي

ظهر التيار المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأة الدولة، وتميز بالاندماج ضمن الأحزاب الأمريكية والظهور والانكفاء، وبالتحولات في الفكر والممارسة السياسية عبر تاريخه السياسي، وسوف نلقي الضوء على التيار المحافظ وتحولاته الفكرية والسياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقة المحافظين التقليديين بالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة، وكذلك التعرف إلى أهم الأطاريح الفكرية للمحافظين الجدد التي تمحورت في النظام العالمي الجديد في أُأطروحات فوكوياما وهانتنغتون.

المحافظة التقليدية conservatives:

ظهرت الأفكار المحافظة مع بداية نشأة الجمهورية الأمريكية، فقد حمل بعض المهاجرين وقيادات أمريكية الفكر المحافظ معهم إلى الدولة الجديدة، وكانت تلك الشخصيات والقيادات هي الجيل الأول للمحافظين في مرحلة تأسيس الجمهورية، إلا أن فكرهم الذي نظروا له لم يرتقِ ليكون ضمن القوانين التي قامت عليها الجمهورية الأمريكية، ومع ذلك كان لهم وجود في الحياة السياسية الأمريكية.

ويصف لاندبيرج Lindberg نشأة ودور التيار المحافظ منذ وجودهم بوصفهم قوة لها تأثير على الحياة السياسية في الولايات المتحدة. فيقول: "المحافظون

هم اسم لمجموعة قوية في أمريكا، لهم تأثير على الحياة السياسية والفكرية الأمريكية، وذات تاريخ طويل رافق دورهم في الحياة السياسية بالاندماج والظهور والانكفاء على مر التاريخ الأمريكي، فكان لهم تأثيرهم على سياسة الحزب الجمهوري وعلى السياسة الخارجية، وبرز دورهم في الحرب الباردة وحقبة ما بعد الحرب الباردة، وبرز نجمهم في إدارة الرئيس جورج بوش الابن"[١].

تدين الثورة الأمريكية ١٧٧٦ في العديد من أفكارها للتفسيرات المحافظة التي وضعها أدموند بيرك والتي اعتنقها عدد من المؤسسين للولايات المتحدة، ويعتبر الكسندر هاملتون Alexander Hamilton وجيمس ماديسون James Madison "الرئيس الرابع، للفترة (١٨٠٩-١٨١٧)"، الشخصيتين الأكثر شهرة وتعبيراً عن الأيديولوجية المحافظة في الولايات المتحدة، كما يعتبر جون آدمز John Adams "الرئيس الثاني، للفترة (١٧٩٧-١٨٠١)" من النماذج المهمة في الفكر الأمريكي المحافظ[٢]. إلا أنه من الصعوبة تطبيق أفكار أدموند بيرك المحافظة في الدولة الأمريكية الحديثة التي كانت تقدس المساواة في الفرص بين الأفراد، وتميزت تلك التجربة بغياب الطبقة الأرستقراطية، وضعف تأثير الكنيسة بالإضافة إلى افتقارها للتقاليد الملكية التي كانت ضرورية لقيام المحافظة، وكان المحافظون التقليديون متحمسين ومؤيدين لوجود حكومة قوية، وكانوا يؤمنون بأن الحكومة المركزية بقيادة

[1] Tod Lindberg. Neo-conservatism Liberal Ligancy. Edited by peter berkowitz, Varieties of Conservatism in America California:Stanford University Stanford, 2004, p: 129.

[٢] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. مرجع سابق، ص: ٢٨١-٢٨٢.

نخبة مثقفة وثرية هي القادرة على الحفاظ على الحقوق الأساسية للإنسان[١].

ومن الناحية العملية لسياسة الولايات المتحدة الداخلية، فقد حجمت من تطبيق تلك الأفكار في الدولة، حيث جاء نص دستور الجمهورية الأمريكية الذي قدس الحقوق الفردية والحريات العامة، ومنع أي دور للكنسية والدين في السياسة العامة، بل فصل بينهما بشكل كامل، هذه القوانين حدت من قوة الاتجاه المحافظ في الدولة الناشئة، ومع ذلك كان للفكر المحافظ والمنتمين له وجود منذ نشأة الدولة، ولكن هذه الأفكار لم تترجم في الحياة السياسية الأمريكية. وبذلك كان هناك تيار فكري وإن كان محدوداً، يؤمن بالأفكار المحافظة، والتي استقاها من فكر أدموند بيرك، وتطورت هذه النظرة المحافظة مع الجيل الأول ليكون تياراً محافظاً تقليدياً في الولايات المتحدة، وأدخلوا عليها بعض التعديلات ليحافظوا على كينونتهم واستمراريتهم في المجتمع، ولتتماشى أفكارهم مع طبيعة الدولة الأمريكية.

[١] عبدالله الغامدي. الأيديولوجية السياسية الأمريكية: محدداتها واتجاهاتها الرئيسة وتأثيراتها على السياسة العامة. مجلة شؤون اجتماعية، الشارقة: العدد ٥٦، ١٩٩٧، ص: ٩٧-٩٨.

المحافظون الجدد Neo-conservatives:

تحدثنا عن الجيل الأول ومرحلة تأسيس الدولة "المحافظة التقليدية."[1]، ومنذ ستينيات القرن العشرين ظهرت قوة المحافظين بشكل وفكر مغاير عن المحافظة التقليدية بوصفها قوة سياسية، فظهرت في الحياة السياسية الأمريكية المحافظة

[1] قبل التعرف إلى مفهوم المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وأهم الشخصيات الداعمة والمنتمية للتيار المحافظ، لابد لنا من التعرف إلى الأيديولوجيا المحافظة.

الأيديولوجيا المحافظة Conservatism: ظهر اصطلاح المذهب المحافظ بوصفه أيديولوجيا سياسية في بدايات القرن التاسع عشر، حينها ظهرت الأفكار المحافظة كرد فعل للطفرة الاقتصادية والسياسية الكبرى التي بدأت بعد الثورة الفرنسية. انظر: مالك أبو شهيوة ومحمود خلف الأيديولوجيا والسياسة، مرجع سابق. ص٢٣٩.

بينما تعرف أميمة عبد اللطيف الأيديولوجيا المحافظة بأنها: "منظومة من الأفكار التي تركز على التضامن الاجتماعي، ورفض تدخل الدولة في الاقتصاد واتهام الليبرالية والفردية بهدم البنية الاجتماعية التضامنية والسياسية المتماسكة للأمة، وتركز المحافظة على دور الأسرة ودور الدين، والدفاع عن التقاليد والنظام والملكية. انظر: أميمة عبد اللطف. المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣، ص: ٥-٦.

ويهتم المحافظون بإبراز قيمة التقاليد والممارسات بوصفها مرجعاً موجهاً للمستقبل، ويستمد الاتجاه المحافظ أفكاره من كتابات المفكر والسياسي الإيرلندي إدموند بيرك Edmund Burke ١٧٩٧-١٧٢٩ الذي كرس حياته لترسيخ الفكر والمبادئ المحافظة، وخاصة في كتابه "ملاحظات على الثورة الفرنسية"، الذي كتبه في رد فعل على تجاوزات الثورة الفرنسية ولرفضها التقاليد القائمة. انظر: عبدالله الغامدي. مرجع سابق، ص: ٩٧.

وبقيام الثورتين الفرنسية والأمريكية، اللتين استلهمتا أفكارهما من كتابات ومفكري عصر التنوير، التي تمجد الحرية الفردية، وتمنح الإنسان الحقوق والحريات وتعمل على تحجيم دور الدولة؛ ظهرت الأفكار المحافظة التي تدعو للمحافظة على التقاليد والنظام القائم في المجتمع، وكانت أفكار أدموند بيرك هي الأولى التي نظرت ضد الليبرالية التي كانت تنمو وتزدهر في الغرب.

المحدثة. ومن الأهمية أن نطرح التساؤل التالي: هل المحافظون الجدد مرتبطون بفكر المحافظين الأوائل "التقليديين"؟

دخل مصطلح المحافظين الجدد[1] في المعجم الأمريكي في سبعينيات القرن العشرين، للإشارة إلى بعض السياسيين الذين تحولوا من اليسار إلى اليمين الليبرالي، بسبب تردد اليساريين في الوقوف بوجه السوفييت والراديكاليين المعادين للولايات

[١] المحافظون الجدد: تيار فكري يضم عدداً من الأشخاص المتنفذين من الكتاب والمفكرين والنخبة الأدبية المنتمين للفكر المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية، يتمتعون بنفوذ في عدد من مراكز الدراسات والأبحاث والصحف، لديهم شبكة من العلاقات أتاحت لهم الوجود في مواقع السلطة والنفوذ، لديهم أفكار سياسية محددة يسعون لتحقيقها. انظر: أميمة عبد اللطيف. مرجع سابق، ص: ١٥-١٧.

المراكز والمعاهد التي تطرح فيها أفكارهم هي: انتربرايز، وهيريتاج وهدسون، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، والمعهد اليهودي للأمن القومي، ومشروع القرن الأمريكي الجديد، ومعهد الدراسات السياسية والاستراتيجية العليا بجامعة جون هوبكنز، وأقاموا علاقة تحالف تنظيمية مع حزب الليكود هدفها تمكين إسرائيل من الهيمنة على الشرق الأوسط. انظر: عاطف الغمري. أمريكا في عالم يتغير، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٩، ص:٦٦.

ويعد الحزب الجمهوري الأمريكي معقل الفكر المحافظ، وهذا الحزب يضم عدداً من الحركات اليمينية ذات الميول المحافظة والاتجاهات الأكثر ميلاً نحو التشدد اليميني والتزمت الديني، ومن هذه الحركات "حركة المسيحيين الصهيونيين، وحركة المحافظين الجدد، وحركة الأصوليين المسيحيين"، ولا شك أن الحركة اليهودية الصهيونية وما تضمه من مؤسسات ومنظمات، والتي تعد منظمة إيباك اليهودية المجمع الرئيس لهذة الحركات المتعددة الفعاليات تعد رائداً مهماً لذلك التحالف الديني. انظر: موفق العطار. المحافظون الجدد والحلم الإمبراطوري، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ٢٠٠٧، ص: ٢٧-٣٠.

وتضم حركة المحافظين الجدد شخصيات يهودية، وكثير من الشخصيات التي تربطهم صلات وثيقة بالجناح اليهودي من اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، وكذلك تعود ملكية العديد من مراكز الدراسات والفكر المحافظ إلى يهود، انظر: أميمة عبد اللطيف. مرجع سابق، ص: ٣٦:٣٥.

المتحدة، وكان مايكل هارنغتونMichael Harrington[1] ومحررو مجلة "ديسنت Dissent" الأمريكية اليسارية، هم أول من استخدموا مصطلح "محافظ جديد"[2]. الكاتب اليميني إرفنغ كرستول[3] Irving kristol تبنى هذا المصطلح الذي سرعان ما تحول إلى الوصف المفضل لدى نجوم هذا التيار مثل جين كيركباتريك Jeane Kirkpatrick، مارتن لسبت، صمويل هانتنغتون[4]. بينما يرى جوزيف بوتام Bottum Joseph أن اصطلاح المحافظين الجدد يعني: "مجموعة خاصة من طبقة ثقافية معينة، لديهم تقارب فكري يسعون للوصول إلى السلطة"[5]. وينكر جوزيف بوتام وجود فكر محافظ في الولايات المتحدة، وينتقد سياسة المحافظين الجدد

[1] مايكل هارنغتون Michael Harrington: يساري، وزعيم الاشتراكيين الديمقراطيين في الولايات المتحدة الأمريكية لسنوات طويلة حتى وفاته عام ١٩٨٩. انظر: وليد شميط. امبراطورية المحافظين الجدد التضليل الإعلامي وحرب العراق، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٥، ص: ٧١ وما يليها.

[2] جونثان كلارك وستيفان هالبر. التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد والنظام العالمي، ت عمر الأيوبي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥، ص: ٦٣.

[3] إرفنغ كرستول Irving kristol: من مواليد ١٩٢٠، أمريكي يهودي، يطلق عليه اسم "عراب المحافظين الجدد" مؤسس ومحرر ومساهم في مجلات عديدة، وتشمل سيرته الذاتية مجهوداته التي قام بها لشن حروب ثقافية لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد الإتحاد السوفيتي في السنوات الأولى للحرب الباردة، وألف كتاب "تأملات أحد المحافظين الجدد". للاستزادة راجع: أميمه عبد اللطيف. المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣.

[4] وليد شميط. امبراطورية "المحافظين الجدد" التضليل الإعلامي وحرب العراق، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٥، ص: ٧١.

[5] Joseph Bottum. Social Conservatism and the New Fusionism California: University Stanford, 2004, p: 31.

التي تتغلف بفكر محافظ قائلاً: "المحافظة تعني الحافظ على القديم حكومة وعرشاً وكافة امتيازات القرون الوسطى، والجمهورية الأمريكية ولدت بالثورة، وإذا أردنا الحفاظ على القيم والتقاليد، ينبغي المحافظة على الثورة ومكتسباتها"[١].

والمحافظون الأمريكيون التقليديون يعارضون المحافظين الجدد، ويتزعم المحافظين التقليدين بات بيوكانن Pat Buchanan مدير تحرير مجلة "المحافظ الأمريكي" وروبرت نوفاك Robert Novak المعلق السياسي لقناه سي إن إن CNN، ويطلق عليهم المحافظون الجدد اسم "المحافظين الباهتين"، وهذا تأكيداً للتمايز بينهم، وهذه المجلة ترصد في دراساتها النقد الشديد لسياسات المحافظين الجدد[٢]. وسوف تتضح الإجابة أكثر من خلال عرض فكر وسياستهم المحافظين الجدد.

تعود جذور المحافظين الجدد إلى تقليد اتبعه جون كنيد d John Kennedy الرئيس الخامس والثلاثون، للفترة ١٩٦١-١٩٦٣ أثناء سنوات حكمه، حين قام بتعيين مجموعة من الأساتذة الجامعيين في مناصب الإدارة، واستعان بهم في رسم السياسات، وقد تم اختيارهم وفق نظرية "الأفضل والأكثر ذكاء"، غير أن نجمهم لم يبزغ إلا بعد مرور ثلاثة عقود، عندما تولى رونالد ريجان Ronald Reagan الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية[٣]. وبعد الحرب العالمية الثانية، برز في الولايات المتحدة تيار من الأيديولوجيا المحافظة عرف بالمحافظة الجديدة، وهي حركة سعت إلى تكيف أفكار أدموند بيرك بهدف تحليل الظروف المعاصرة وخصوصاً الظروف

[1] previous referencem, p:31.

[٢] أميمة عبد اللطيف. مرجع السابق، ص: ٤٠.

[٣] المرجع السابق. ص: ١٥.

الأمريكية، ولعل أبرز مثال على هذه الحركة المحافظة راسل كيرك[1] Russell Kirk ١٩١٨-١٩٩٤. وبعد فوز المرشح الجمهوري رونالد ريجان Ronald Reagan الرئيس الأربعون، للفترة ١٩٨١-١٩٨٩، وجدت حركة المحافظين الجدد مدخلاً لتدعيم مركزها السياسي ونفوذها السياسي في الإدارة الأمريكية، فقد وجد المحافظون الجدد في سياسة ريجان كل ما يصبون إليه لتنفيذ أفكارهم على المستويين الداخلي والخارجي، وخاصة المجابهة مع الاتحاد السوفيتي[2]. وهذا التيار المحافظ كان له تأثير على الخطاب الأمريكي، وكان لأفكاره تأثير واضح على رونالد ريجان، وقد وصل عدد من المحافظين الجدد والمنتمين لهذا الاتجاه إلى مراكز حساسة في الإدارة الأمريكية من أمثال: جين كيركباتريك التي شغلت منصب سفيرة الأمم المتحدة، والكسندر هيج Alexander Haig الذي شغل منصب وزير الخارجية، وغيرهم[3].

التيار المحافظ الجديد في الولايات المتحدة ليس حزباً سياسياً نستطيع قراءة أفكاره وأيديولوجيته بسهوله ويسر. ويصف أب وعراب المحافظين الجدد إرفنغ كرستول ظاهرة المحافظة الجديدة قائلاً: "إنها ليست "حركة" كما يحلو للمنتقدين من أرباب نظريات المؤامرة أن يروها، فظاهرة المحافظة الجديدة إن هي إلا ما أطلق عليها

---

[1] راسل كيرك Russell Kirk ١٩١٨-١٩٩٤: أحد أهم أعلام المحافظين الجدد، ومن أهم مؤلفاته "الحرية الأكاديمية" و"برنامج المحافظين" و"العقل المحافظ" ودرس التاريخ في جامعة "ميتشيغان Michigan"، وكان يرى أن الأستاذ الجامعي عليه أن يتعهد بالتزام الحقيقة والمحافظة على حكمة الأسلاف، للاستزادة راجع كتاب: مالك أبو شهيوة ومحمود خلف الأيديولوجيا والسياسة، مرجع سابق. ص: ٢٨٤ وما يليها.

[2] موفق العطار. مرجع سابق، ص: ٣٠-٣١.

[3] عبدالله الغامدي. مرجع سابق، ص: ٩٨.

مؤرخ أمريكا الجاكسونية الراحل مارفن ميرزMarvin Meyers، اسم "قناعة" تتجلى عبر الزمن، ولكن على نحو شاذ وغريب، وقناعة لا نتمكن من الإمساك الواضح بمعناها إلا بمرور الزمن"[١]. يرى كل من ستيفان هالبر وجوناثان كلارك بأن: "النهج المحافظ الجديد ليس حركة جماهيرية"[٢].

إن المحافظين الجدد لا يتفقون في كل شيء، هناك نهج فكري وأيديولوجي يجمعهم، ولكنهم قد يختلفون في الرأي حول بعض الخيارات المهمة والأساسية[٣]. وهذه القوة المثقفة تكونت من اجتماع الجمهوريين مع أتباع الفكر المحافظ من أنصار اليمين الديني المتطرف والذي أفرز "المحافظين الجدد"[٤]. إن المحافظين الجدد لهم قوتهم ودورهم في السياسة الأمريكية. كشفت دراسة أجريت في سنة ١٩٧٩ عن أرفع سبعين مفكراً أميركياً معاصراً أن واحداً من كل أربعة من النخبة الفكرية ينتمي إلى المحافظين الجدد. وتعكس هذه الدراسة نمو النفوذ الفكري للنهج المحافظ الجديد[٥].

وكان الاختلاف واضحاً في أطُروحات أعضائهم الفكرية لمستقبل النظام العالمي الجديد، وكذلك آراؤهم السياسية قد تكون مختلفة. ويصف حسام الغرباوي فوكوياما بالمنظر للفكر الليبرالي، حيث رأى فوكوياما أن التوافق الكامن في النظام

---

[١] إفنغ ركرستول. قناعة المحافظين الجديدة ماذا كانت وكيف أصبحت في: أرون ستلز تحرير. المحافظون الجدد، ت فاضل جتكر، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥، ص: ٥٩-٦٠.

[٢] جونثان كلارك وستيفان هالبر. مرجع سابق، ص: ٥٩.

[٣] وليد شميط. مرجع سابق، ص: ٦٣.

[٤] أميمة عبد اللطيف. مرجع سابق، ص: ٩.

[٥] جونثان كلارك وستيفان هالبر. مرجع سابق، ص: ٦٦.

الرأسمالي جعله يزحف على بقية أجزاء العالم في الآونة الأخيرة[١]. أما بهجت قرني فيصف فكر هانتنغتون بالواقعية الثقافية، وذلك لأن هانتنغتون وضع الواقعية السياسية في مركز الصدارة بوصفها نموذجاً فكرياً لشرح النظام العالمي الجديد[٢]. إن رؤية فوكوياما المستقبلية للعالم تأتي وفقاً للفكر الليبرالي، أما هانتنغتون فإن رؤيته الفكرية تأتي وفقاً للواقعية السياسية.

يستقي المحافظون الجدد خلفيتهم الفلسفية من أحد أهم الفلاسفة الألمان، ليو شتراوس ١٨٩٩-١٩٧٣، ولم يكن ليو شتراوس ديمقراطياً، وكان يعتقد بأن الديمقراطية الأمريكية أقل النظم السياسية سوءاً، بينما يعتبر إرفنغ كرستول Irving kristol بأن ليو شتراوس أحد الآباء المؤسسين لحركة المحافظين الجدد[٣]. وقد تتلمذ على يد ليو شتراوس المحافظون الجدد والذين يقودون الاتجاه المحافظ اليوم في الولايات المتحدة، وقد درس كلاً من آلان بلوم Allan Bloom صاحب كتاب "إغلاق العقل الأمريكي"، وهارفي مانسفيلد Harvey Mansfield وجوزيف كروبسي Joseph Cropsey، ولاحقاً تتلمذ على يده مانسفيلد فوكوياما صاحب أطروحة "نهاية التاريخ" ووليام كرستول William Kristol[٤].

---

[١] حسام الغرباوي. الليبرالية: نظرة في منطلقاتها الفكرية وآفاقها المستقبلية. مجلة العلوم السياسية، بغداد: جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص: ٤٩.

[٢] بهجت قرني. العلاقة بين الفكر والسياسة كما تظهر في نظرية صدام الحضارات، في كتاب: صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية، تحرير وتقديم أحمد أحمد وممدوح حمزة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣، ص: ١٧٩.

[٣] أميمة عبد اللطيف. مرجع سابق، ص: ١٩-٢٠.

[٤] هادي قبيسي. السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨، ص: ١٧.

يمكن ملاحظة مدى تأثير فلسفة ليو شتراوس على المحافظين الجدد اليوم، ويمكننا القول بأن ليو شتراوس كان الفيلسوف الحكيم الذي لديه حلقة من العلم تضم في مقاعدها طلبة في مرحلة الإعداد لإدارة الولايات المتحدة وقيادة العالم بفكرهم وأطروحاتهم الفكرية، كالحلقات العلمية التي ضمت فلاسفة اليونان، إلا أن ليو شتراوس كانت حلقاته في جامعة شيكاغو The University of Chicago وفقاً للتطورات الفلسفية والعلمية الحديثة، بينما كان يطلق على رواد هذه الحلقات اسم "أتباع ليو شتراوس[١]".

ويعرض هادى قبيسي فكر ليو شتراوس بشكل مقتضب، تحت عناوين بارزة فيقول: يطرح ليو شتراوس في فكرة "استبداد النخبة" في كتابه "حول الاستبداد" اعترافه بحق القوي التسلط على الضعيف، لكنه يرفض إساءة استخدام السلطة، فينبغي للحاكم أن يقدم للشعب ما يتناسب مع قابلياته وحاجاته، وفي نظر ليو شتراوس لا تتشكل هذه القابليات من السعادة والحرية، بل من أجل تحويل الجمهور إلى قطيع، فوحدة البكاء والتضحية يمكن أن تؤدي إلى تكامل الجمهور، من خلال نقل الجمهور من الحياة البرجوازية الاستهلاكية إلى الإغراق في الراحة، وهذه الراحة تأتي من خلال الضحية الدائمة تجاه الله والوطن[٢]. اعتنق ليو شتراوس وعلم طلبته الازدواجية في الخطاب، فإن ليو شتراوس كان يؤمن بأن الجمهور المنحط لا يمكن أن يحتمل الحقيقة والمثل العليا، ولذلك يُؤمن ليو شتراوس وطلبته المحافظون الجدد بنهج

---

[١] للاستزادة راجع: مقال طوني بابرت Tony Papert "إغلاق العقل الأميركي... مملكة ليو شتراوس السرية١". في صحيفة الوسط البحرينية.

[٢] هادي قبيسي. مرجع سابق، ص: ١٨.

وفلسفة "الكذب النبيل"[١]. في دراستنا للأُطروحات الفكرية للمحافظين الجدد، لا يمكن لنا عرض فلسفة ليو شتراوس في سطور معدودة، وذلك لكبر إنتاجه الفلسفي والفكري، غير أننا عرضنا أهم الأفكار التي طبقها المحافظون الجدد في أفكارهم التنظيرية للنظام العالمي الجديد، والتي سوف نعالجها لاحقاً بالبحث والتحليل أثناء عرضنا لفكر فوكوياما وهانتنغتون.

ومن أبرز أفكار المحافظين الجدد في بداية حراكهم السياسي في الستينيات، توسيع الفضاء الليبرالي بزوال الاتحاد السوفيتي ويعتقد المحافظون الجدد بأن استمرار نجاح وازدهار العالم الحر يأتي من خلال الاستمرار بنشر الديمقراطية على أساس التفوق الأخلاقي لليبرالية ومنافسة النماذج الأخرى في الحكم، وكانوا يرون "الشيوعية" هي محور الشر[٢].

في بداية نشاطهم الفكري والإعلامي كان هناك مجموعة من المؤسسات ومراكز الأفكار التي تعمل على الترويج لأفكار المحافظين الجدد مثل: مؤسسة ميراث Heritage Foundation، ومؤسسة مجلس النواب الحر Free Congress Foundation، ومعهد المشروع الأمريكي American Enterprise Institute [٣]. أما أهم وسائل الإعلام للمحافظين الجدد هي: الويكلي ستاندرد Weekly Standard، ذا ناشيونال إنترست The National Interest، الواشنطن تايمز Washington Times، ذي نيو ريبابليك The

[١] المرجع السابق، ص: ١٩.

[2] Tod Lindberg. previous reference, p: 147-148.

[٣] موفق العطار. مرجع سابق، ص: ٣١.

new Republic، دي ناشيونال ريفيو National Review[١]. إلا أن شعبية المحافظة المحدثة بدأت بالتضاؤل منذ نهاية الثمانينات، نتيجة غياب رونالد ريجان عن الساحة السياسية، وقد فشل مرشح هذا الاتجاه لانتخابات الرئاسة في العام ١٩٨٨ القس بات روبرتسون Pat Robertson في الحصول على قدر كاف من الأصوات لخلافة ريجان[٢]. أما في فترة الرئيس بيل كلنتون الديمقراطي والتي استبعد منها المحافظين الجدد، كانت فترة رئاسية حملت رواجاً اقتصادياW للمجتمع الأمريكي، وفي ظل حكومة الحزب الديمقراطي اتسم بها المحافظون الجدد بالانكفاء والنقد الشديد لبرنامج عمل حكومة كلنتون.

---

[١] أميمة عبد اللطيف. مرجع سابق، ص: ٣٦-٣٧.

[٢] عبدالله الغامدي. مرجع سابق، ص: ١٠٢.

المحافظون الجدد والنظام العالمي الجديد:

ظهر المحافظون الجدد بقوة في السياسة من جديد بعد نهاية الحرب الباردة، فبعد أن كانوا طلبة يتلقون تعليمهم على يد ليو شتراوس أصبحوا أساتذة الجامعات وقادة التيار المحافظ الجديد مع من سبقهم من الجيل الأول للمحافظين الجدد، بالإضافة إلى زيادة عدد مراكزهم الفكرية ووسائل إعلامهم، وهذا الظهور الجديد جاء في عهد جورج بوش الابن George W. Bush الرئيس الثالث والأربعون، للفترة ٢٠٠١-٢٠٠٩، بينما أطلق عليهم اسم "المحافظون الجدد".

وقد انتقد التيار المحافظ حكم جورج بوش الأب George Herbert Walker Bush الرئيس الواحد والأربعون، للفترة ١٩٨٩-١٩٩٣ وكلنتون Bill Clinton الرئيس الثاني والأربعون، للفترة ١٩٩٣-٢٠٠١، وذلك في سياق رؤيتهم لعالم ما بعد الحرب الباردة، وكيفية رسم استراتيجية أمريكية فاعلة في هذه المرحلة، حيث يرى المحافظون الجدد الفترة من العام ١٩٩١، وحتى عام ٢٠٠١، فترة فقدان الولايات المتحدة لرؤيتها ولموقعها نتيجة عدم إدراك الفرص والمخاطر الحقيقية والمتوقعة التي أفرزها انهيار الاتحاد السوفيتي[١].

ويتضح في هذه المرحلة فكرهم السياسي، من خلال مراكز الأفكار التي يعملون فيها، ومناصبهم في إدارة البيت الأبيض. يؤمن المحافظون الجدد في النظام العالمي الجديد بالواقعية السياسية، فالنزعة الأخلاقية تعتمد على "الواقعية"، فقد

[١] هادي قبيسي. مرجع سابق، ص: ٢٦.

تؤدي انتخابات معينة إلى تمكين حكم دكتاتوري، أو وصول حكومة إسلامية متشددة، وهذا يؤدي بدوره إلى تحجيم الليبرالية تحت غطاء الشرعية، فكانت واقعية المحافظين الجدد تأخذ بالظروف المحيطة[١]. وبهذه الرؤية السياسية نظر المحافظون الجدد للحرب على العراق وأفغانستان، من خلال خطاباتهم للرئيس جورج دبليو بوش، ودراساتهم التي ينظرون لها لخلع النظام الاستبدادي في العراق.

هذا بالإضافة إلى دراسات برنارد لويس[٢] Bernard Louis التي تحمل العداء للإسلام، وقد ساهمت دراساته في تعزيز وتكثيف الصورة النمطية للإسلام كتهديد للغرب، والذي يطرح أفكاراً من أجل دمج الإيمان بالسياسة في الشرق الأوسط ليحل السلام بدل العداء، ويدعو في فكره لتقسيم الشرق الأوسط من جديد. ولعب برنارد لويس دور المنظر للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اشتدت الحاجة إليه بعد أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١، لمواجهة الدول الإسلامية[٣]. ولقد استطاع لويس في أدلجة التنميط لصورة العرب والمسلمين

---

[1] Tod Lindberg. previous reference, p:150-151.

[٢] برنارد لويس Bernard Lewis: برنارد لويس مستشرق يهودي، يعد من أشهر مؤرخي الشرق الأوسط، بريطاني المولد أمريكي الجنسية، وقد اختصت مؤلفاته في التاريخ العربي والشرق أوسطي، وينتمي إلى نخبة المفكرين من المحافظين الجدد وقادة الفكر الاستراتيجي في الولايات المتحدة، ومن أشهر مؤلفاته "جذور السخط الإسلامي، ١٩٩٠"، و"مستقبل الشرق الأوسط، ١٩٩٥" و"أزمة الإسلام: الحرب المقدسة والإرهاب المدنس،٢٠٠٣". للاستزادة راجع دراسة:
فائز الليبي. برنارد لويس عراب المحافظين الجدد، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية الموصل: جامعة الموصول، ٢٠٠٧، ص: ٢٠٠٧.

[٣] جريدة الحياة السعودية. ريتا فرج: برنارد لويس... المستشرق الكلاسيكي الرياض: مارس آذار، ٢٠١٣، ص: ١٦.

السلبية في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إعطاء بعد فلسفي وفكري عميق، فقد كتب عن الإسلام والغرب، وعن صدام الحضارات تأسيساً لما كتبه زميله هانتنغتون، ولعل أبرز أفكاره ضد الحضارة الإسلامية هي[١]:

١. تهديد الإسلام للغرب.

٢. مستقبل الشرق الأوسط.

٣. فشل المسلمين في مواجهة الحداثة.

وينظر مولر إلى المحافظين الجدد في الولايات المتحدة بأنهم يسعون للديمقراطية العالمية لتحقيق هدفين، في المقام الأول لخدمة المصلحة الوطنية الأمريكية، وفي المقام الثاني هيمنتها على العالم، وأن تكون الولايات المتحدة أعلى التسلسل الهرمي بين الدول[٢]. وبالعودة لأفكار المحافظين والطبقة الأرستقراطية نجد أن الولايات المتحدة هي الدولة الطبقية التي تمثل "الدولة الأرستقراطية" والتي تقود العالم دون أي منازع من قبل الدول الأخرى، بمعنى آخر الولايات المتحدة هي الدولة القادرة على قيادة العالم حسب النظرة الإلهية والطبيعية فهي تمثل الطبقة المحافظة أمام دول العالم التي ينظر لها المحافظون الجدد بأنها الدول التي تضم عامة الإنسانية التي لا تستطيع قيادة نفسها.

[١] فائز اللهيبي. مرجع سابق، ص: ٦١-٦٦.

[2] Jen Muller. Comprehending conservatism: A new framework for analysis, Journal of Political Ideologies London: vol. 11, 2006, p: 364

الأطروحات الفكرية للمحافظين الجدد في النظام العالمي الجديد:

مع بداية حقبة جديدة في العلاقات الدولية بانهيار القوة العالمية الثانية "الاتحاد السوفيتي" في العام ١٩٨٩، وهي النظام العالمي الجديد، "الأحادي القطبية"، الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية، والذي أعلن عنها إعلامياً جورج بوش الأب من العراق في العام ١٩٩١، بدأ التنظير الفكري لهذه الحقبة الجديدة، فكانت أول أطروحة فكرية ينظر لها أحد الأعضاء البارزين للمحافظين الجديد هو فرانسيس فوكوياما وأطروحته "نهاية التاريخ"، ثم تبعتها أطروحة صمويل هانتنغتون "صدام الحضارات". وقبل عرض أطُروحاتهم الفكرية، لابد لنا من التعرف إلى منظري هذه الأُطروحات ومكانتهم العلمية والسياسية.

أولاً: فرانسيس فوكوياما:

يوشهرو فرانسيس فوكوياما Yoshihiro Francis Fukuyama مفكر أمريكي من أصل ياباني ولد في ١٩٥٢، في الولايات المتحدة، ويعتبره البعض أكبر فلاسفة الاجتماع في أمريكا، ويعمل أستاذاً للاقتصاد السياسي في جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins، وكان والده يحمل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، هاجر إلى أمريكا ليعمل في مجال التدريس.

لقد بدأ حياته العملية بعد حصوله على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم السياسية من جامعة هارفارد Harvard University، وعمل في الثمانينيات في

وزارة الخارجية الأمريكية نائباً لمدير إدارة التخطيط السياسي، وشارك في هذه الحقبة ضمن الوفد الأمريكي المرسل للمحادثات المصرية الإسرائيلية. ركز بعد ذلك على الكتابة والعمل الأكاديمي، إلا أن ذلك لم يمنعه من العمل السياسي، وعين في المجلس الاستشاري لإدارة الرئيس السابق جورج بوش الابن[1].

ومن خلال استعراض مؤلفات فوكوياما يتبين أنه ألف كتب عدة، وعشرات المقالات والدراسات الأكاديمية، ويمكن رصد أهم كتاباته على النحو التالي:

١. نهاية التاريخ وخاتم البشر ١٩٩٢.

٢. الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار ١٩٩٥.

٣. رأس المال الاجتماعي والاقتصاد العالمي ١٩٩٧.

٤. مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية ٢٠٠٢.

٥. بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين ٢٠٠٤.

٦. أمريكا على مفترق الطرق: ما بعد المحافظين الجدد ٢٠٠٦.

---

[١] نهاوند العلوي. فلسفة التاريخ من منظور فكر غربي معاصر دارسة كارل بوبر، فوكوياما، هانتنغتون العولمة وتأثيرها في العالم العربي، رسالة ماجستير، بغداد: جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص: ٦٨.

والآن يكتب فوكوياما كتاباً جديداً مكوناً من مجلدين؛ صدر المجلد الأول بعنوان "أصول النظام السياسي، ٢٠١١"، وهذه الكتب بالإضافة إلى الدراسات، سوف نناقش ما جاء بها من أفكار من خلال الفصول اللاحقة للدراسة.

ثانياً: صمويل هانتنغتون ١٩٢٧-٢٠٠٨:

صمويل فلبس هانتنغتون Samuel Phillips Huntington مفكر أمريكي من أصل يهودي، كان من أكثر السياسيين نفوذاً، ومن أبرز ثلاثة مفكرين في الخمسين سنة الماضية في الولايات المتحدة الأمريكية، خلافاً لاثنين من معاصريه وهم هنري كيسنجر وزبيغو برجنسكي وهم صديقاه المقربان منه، كان باحثاً ومحاضراً في جامعة هارفارد Harvard University، وعمل مستشاراً لمجلس الأمن القومي في الفترة ١٩٧٧-١٩٧٨ في إدارة الرئيس كارتر.

يعد هانتنغتون واحداً من رواد العلوم السياسية المقارنة، فقد عني بالمقام الأول بدراسة السياسات المقارنة بين دول الجنوب والمجتمعات ما بعد الصناعية، وكان رئيساً للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، وله مكانة مرموقة في الدراسات الاستراتيجية، فقد كان رئيساً لأكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية، وعمل مديراً لمعهد أولين Olin للدراسات الامريكية والمعني بالشؤون الخارجية[١]. وكان يعمل في مجلس تحرير ذي ناشيونال إنترست The National Interest

[١] قيس راهي. دور الدولة في أطروحة صدام الحضارات لصمويل هانتنغتون دور المملكة العربية السعودية أنموذجاً، مجلة الخليج العربي، البصرة: جامعة البصرة المجلد ١٥، العدد ٣-٤، ٢٠١٢، ص: ٢٥٤.

إحدى الدوريات التابعة لتيار المحافظين الجدد.

إن أعمال هانتنغتون العلمية كبيرة فقد ألف ١٧ كتاباً، وعلى الرغم من أنه محاضر ممل للغاية إلا أنه كاتب ماهر فعلاً، عالج موضوعات شديدة الأهمية بأسلوب جذاب، وأثر تأثيراً كبيراً في العلوم السياسية[١]. هذا بالإضافة لمئات المقالات والدراسات الفصلية التي نشرت له في المجلات والصحف[٢].

ويمكن رصد أهم كتاباته العلمية على النحو التالي:

١. الجندي والدولة، ١٩٥٧.

٢. النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة، ١٩٦٨.

٣. الموجه الثالثة للديمقراطية، ١٩٩١.

٤. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،١٩٩٦.

٥. من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ٢٠٠٤.

وهذه الكتب وغيرها من المقالات سوف نناقش ما جاء بها من أفكار في فصول الدراسة اللاحقة، عندما نقوم بتحليل أُطروحته الفكرية.

[١] بهجت قرني. مرجع سابق، ص: ١٧٥.

[2] Jane S. Jaquette and Abrahem F. lowenthal. Samuel P. Huntington1927-2008. International Studies, University of Chile Santiago: vol. 162, 2008, p: 107.

ولم تكن أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون السياسية هي الأولى من نوعها بوصفها مرشداً لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية، إلا أنها الأكثر شهرة والأضخم إنتاجاً، حيث قام المفكران قبل كتابة أطُروحاتيهما الفكرية "نهاية التاريخ" و"صدام الحضارات" بكتابة دراسات تم ممارستها في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

فقد كتب فوكوياما عندما كان موظفاً في وزارة الخارجية، ورقة بحث حول باكستان خلال سنوات حكم ضياء نور الحق، مقترحاً أن تدير باكستان ظهرها للهند وتركز روابطها مع العالم الإسلامي، وقد أُعجب بهذه الورقة جنرالات الولايات المتحدة، لأنها تخدم الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط[١]. وكذلك شغل هانتنغتون منصب كبير الخبراء في عهد إدارة جونسون خلال حرب فيتنام، وقدم هانتنغتون خطة "القرى الاستراتيجية" والتي تنص على عزل الفلاحين والفقراء في قرى يحرسها الجيش الأمريكي كي تمنع دعم الفلاحين للمقاومة الفيتنامية، وقد طبق الجيش الأمريكي خطة هانتنغتون، غير أن الخطة فشلت لأن الفلاحين كانوا إما ثواراً أو مؤيدين وداعمين لهم[٢]. وفيما يخص أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد، نجد أنها أطُروحات تنظيرية لمستقبل العالم في الألفية الثالثة، وقبل شرح وتحليل أطُروحاتهما كان لابد لنا من التعرف إلى علم المستقبل وموقع أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في علم المستقبليات.

---

[١] طارق علي. الحضارات المعذبة الإسلام والغرب، في: كولن مويرز معد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. ت معين الإمام، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٨، ص: ٨٢.

[٢] المرجع السابق، ص: ٨٢.

علم المستقبل[1] Futurology:

الدراسات المستقبلية بوصفها علماً ظهرت في بداية القرن العشرين، إلا أنها موجودة منذ قدم التاريخ فقد تنبأ أفلاطون بالنظام السياسي الناجح في "المدينة الفاضلة"، وتنبأ توينبي واشبنغلر في دراساتهم التاريخية في سقوط وظهور الحضارات، وهيجل وماركس بنهاية التاريخ.

إن الاهتمام بالمستقبل يعتبر شيئاً مميزاً وسمة بشرية ظهرت منذ فجر التاريخ، فمنذ آلاف السنين فهم الإنسان الدورة الطبيعية لتكون الليل والنهار، الحياة والموت، فابتدعوا النبؤات القديمة والمذاهب والعقائد والأساطير والفنون والعلوم، وهو الأمر الذي يوحي بأن الجنس البشري كان وما زال مستقبلياً بالفطرة ولعل اهتمام

---

[1] علم المستقبل Futurology: اكتسب معناه الاصطلاحي في أوائل القرن العشرين على يد عالم الاجتماع "س. كولم جيلفان" الذي اقترح عام ١٩٠٧ إطلاق اسم "ميلونتولوجي" على حقل الدراسات المستقبلية، وهي كلمة ذات أصل يوناني تعني أحداث المستقبل، وفي العام ١٩٤٩، ابتكر المؤرخ الألماني فليشتايم Flechteim مصطلح "علم المستقبل Futurology"، وقد شرح في كتابه "التاريخ وعلم المستقبل" هذا المصطلح وتطبيقاته العملية. للاستزادة انظر: جبار جمال الدين. الليبرالية وآفاقها المستقبلية، مجلة مركز دراسات الكوفة، الكوفة، جامعة الكوفة، ٢٠٠٩.
وقد استخدم فليشتايم مصطلح علم المستقبل: على أنه بحث عن منطق المستقبل بالطريقة نفسها التي يكون فيها التاريخ بحثاً عن منطق الماضي، وهدف إلى تطبيقه على التخطيط للمشروعات لتشجيع المجتمعات على أن تصبح أكثر توجهاً نحو المستقبل. للاستزادة انظر: ضياء الدين زاهر. مقدمة في الدراسات المستقبلية مفاهيم – أساليب – تطبيقات، القاهرة: المركز العربي للتعليم والتنمية، ٢٠٠٤، ص: ٣٨.

كل إنسان بنفسه، ومظهره وأطفاله وأهله وإبداعاته خير شاهد على ذلك[١]. الإنسان هو كائن مستقبلي، لأنه هو الكائن الوحيد الذي يعي وجوده زمانياً، والوعي الزماني يعني وعي ماضي وحاضر ومستقبل الإنسان، والتاريخ صيرورة خلاقة متجددة، فالماضي والحاضر هما الحركة الموصلة للمستقبل[٢]. علم المستقبل في العالم المعاصر هو الشغل الشاغل للناس على مستوى الأفراد والحكومات، يخططون له ويستشرفون آفاقه، لمحاولة الكشف عن مغيباته قبل حدوثها، من خلال العلم لدراسة الظواهر والكشف عن العوامل الفاعلة فيها والتعرف إلى اتجاه فعلها ونوع تفاعلها مع غيرها، وفي الواقع لا يتحدد المستقبل بشخوص ودول وحدها، وذلك لأن "الأنا" لا تتحدد إلا عبر "الآخر" فإن أي مشروع للمستقبل يبنيه الإنسان لابد أن يؤخذ في عين الاعتبار صورة "الآخر" لأن الإنسان اجتماعي بطبعه ومستقبله مثل حاضرة مشترك[٣]. وقد شهدت ميادين الفكر الحديث في العقود الأخيرة اهتماماً واسعاً بعلم المستقبليات Futurology، الذي - باختصار شديد - يتكهن بما سيكون المستقبل عليه بناء على معطيات حالية وممكنة ذات أبعاد منهجية ومنمطة[٤].

ويرى علي جمال الدين بأن منظري الليبرالية، وفق دراساتهم المستقبلية، يعملون على صياغة فرضية، ومن ثم يبدؤون باستقراء المؤشرات والتحقق من الفرضية

[١] المرجع السابق، ص: ٢٥.

[٢] جبار جمال الدين، مرجع سابق، ص: ٢٠٣.

[٣] محمد الجابري. قضايا في الفكر المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص: ٩٠.

[٤] الفن توفل. حضارة الموجة الثالثة، ت عصام قاصم بنغازي: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ص: ٥.

بالطريقة الاستقرائية، ويعتمدون على حكم استنباطي، مفاده: كلما تزايدت المؤشرات باتجاه إيجاب الفرض يصبح من غير الممكن رسم مستقبل عكس ذلك[١]. وفي الجهة المقابلة تبلور مصطلح موازٍ لعلم المستقبل، وهو مصطلح "التكهن Prognosis"، فقد شاع استخدامه في الدول الاشتراكية، وكان المقابل لعلم المستقبل أو الدراسات المستقبلية، فكانت جهود لينين Vladimir Lenin لتأسيس أول خطط حكومية خمسية في العالم لمد خطوط الكهرباء للاتحاد السوفيتي والتي بدأ تطبيقها عام ١٩٢٨-١٩٣١، والتي جعلت التخطيط مفهوماً معترفاً بأهميته في كل جزء من الشؤون المعاصرة[٢]. إن الفكر المحافظ التقليدي يسعى للحفاظ على القيم والمعتقدات القديمة، فهل هذه الرؤية الفكرية للمحافظين الجدد اليوم تسعى للحفاظ على القيم والتقاليد القديمة أم المستقبلية؟

يقول ليندرج Lindberg: "إن المحافظين الجدد يسعون لتحقيق السلام الديمقراطي في المستقبل للحفاظ على الليبرالية في الخارج"[٣]. إن تحول المحافظين الجدد من اليسار نحو اليمين، تبعه أيضاً تحول من الاهتمام بالسياسة الداخلية إلى الاهتمام بالسياسة الخارجية، وأتاحت لهم الفرصة بعد أحداث أيلول/ سبتمبر[٤]٢٠٠١ لقيادة الولايات المتحدة نحو مشروع الإمبراطورية المنفردة في العالم، وتغيير قواعد

[١] جمال الدين. مرجع سابق، ص: ٢٠٤-٢٠٧.

[٢] ضياء الدين زاهر. مرجع سابق، ص٣٥-٣٩.

[3] Tod Lindberg. previous reference, p:151.

[٤] أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١: هي مجموعة من العمليات والهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية لهجوم تفجيري بالطائرات في أماكن عدة وهي: برجا مركز التجارة الدولية في حي "مانهاتن Manhattan"، أشهر أحياء مدينة نيويورك، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون Pentagon"، وقد اعترف تنظيم القاعدة بمسؤوليته عن تلك التفجيرات.

العلاقات الدولية من منهاج التوازن إلى العمل بمنهاج الأجندة الخاصة، وبالمصالح الأمريكية كسياسة جديدة لنهج جديد لنظام أحادي القطب[1].

إن التنظير الفكري للمحافظين الجدد يسعى للحفاظ على المكتسبات القائمة، وقيم الديمقراطية في المستقبل، والأُطروحات الفكرية للمحافظين الجدد تتحدث عن المستقبليات، وتنظر لها من خلال التنبؤات والتوقعات لعالم ما بعد الحرب الباردة، ولعل أطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ" تتحدث عن مستقبل الإنسانية القادم في النظام العالمي الجديد، والذي يحمل التفاؤل لنهاية البشرية السعيدة مع انتصار الليبرالية. أما أطروحة هانتنغتون "صدام الحضارات"، فتحمل النظرة التشاؤمية لمستقبل النظام العالمي الجديد وتنذر بصراعات جديدة في العالم من خلال التصادم الحضاري. هذه النظرة لمستقبل العالم من قبل المحافظين الجدد تأتي وفق نظرية "الكذب النبيل" والتي يؤمن بها مفكرو المحافظين الجدد الذين استقوها من فلسفة ليو شتراوس. وهذا ما سوف نقوم بتحليله في الفصول القادمة، من خلال البحث في أطروحات فوكوياما وهانتنغتون، والكشف عن فرضياتها الفكرية، ومضمون تلك الأُطروحات الفكرية والنظرة المستقبلية للنظام العالمي الجديد.

في هذا الفصل تبين لنا أن الطرح الفكري لـ "نهاية التاريخ" و "صدام الحضارات" لم يكن وليد أفكار فوكوياما وهانتنغتون، بل كتبت في الغرب نظريات وأُطروحات فكرية عدة تتحدث عن فكرة النهايات. ولعل ما قدمه هيجل في فلسفته

[1] حسام أبو نحل. المحافظون الجدد وتأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: مشروع نشر الديمقراطية نموذجاً، رسالة ماجستير، غزة: جامعة الأزهر بغزة، ٢٠١١، ص: ٢٠.

لنهاية التاريخ هو الأشهر حتى يومنا هذا، وكذلك ما قدمه كارل ماركس في فلسفته لنهاية التاريخ، وهذا لم ينكره فوكوياما، حيث يستند إلى نصوص هيجل وماركس في فرضية "غاية التاريخ ونهايته".

وكذلك كتب المؤرخون الغربيون عن الحضارات وصراعاتها، وقد سبق هانتنغتون في طرح فكرة صراع الحضارات كل من أرنولد توينبي وفرناند بردويل؛ وقدما نماذج فكرية مختلفة تتضمن قوانين وعلل تفسيرية لتاريخ الحضارات. كما حذر برنارد لويس قبل هانتنغتون من التحدي الجديد القادم من الإسلام ضد الحضارة الغربية.

إن أطروحات فوكوياما وهانتنغتون التنظيرية للنظام العالمي الجديد جاءت وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد، التي أدخل عليها تحولات سياسية عدة في عهد الجيل الثاني للمحافظين الجدد، ومن أهم تلك التحولات السياسية التدخل في الشؤون الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الثالث
أطروحة نهاية التاريخ

المبحث الأول: فرضيات أطروحة نهاية التاريخ

المبحث الثاني: نهاية الأيديولوجيا

المبحث الثالث: فلسفة نهاية التاريخ عند فوكوياما

أطروحة نهاية التاريخ:

بعد سقوطِ سور برلين في ٩ نوفمبر١٩٨٩، ونهاية الحرب الباردة. كتب فوكوياما مقالاً في مجلة المصلحة الوطنية[١] The National Interest صيف عام ١٩٨٩، يتساءل فيه عن نهاية التاريخ؟، وكانت له ضجة كبيرة في الولايات المتحدة وخارجها، ويرصد فيه أهم الأحداث السياسية للقرن العشرين بعد هزيمة الفاشية والنازية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وأخيراً سقوط الشيوعية. مضيفاً إلى ذلك أنه قد تشكل الديمقراطية والليبرالية نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية للنظام السياسي في دول العالم.

ويجيب عن السؤال الرئيس الذي يحمله مقاله "هل هي نهاية التاريخ؟" في أُطروحته "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" في العام ١٩٩٢، ويعود فوكوياما لتاريخ الأفكار السياسية ونظريات التاريخ عند كل من كانط، وهيجل، وهوبز، وماركس، وغيرهم، لتبرير فرضياته الفكرية في أُطروحته "نهاية التاريخ"، بشكل أوسع وأشمل عن مقاله الذي حمل الفكرة الأساسية نفسها لأطروحته. غير أنه صرح بأن كتابه لا صلة له بمقاله الأول، فهو أطروحة كاملة لمستقبل العالم الجديد "ليس كتابي هذا إعادة صياغة لمقالي الأصلي، ولا هو محاولة لاستئناف المناقشة مع النقاد والمعلقين،

---

[١] مجلة المصلحة الوطنية:The National Interest مجلة ذات نفوذ كبير في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يمتلكها المحافظون الجدد، أسسها عراب المحافظين الجدد إرفنغ كرستول Irving kristol وأوين هاريس Owen Harris في العام ١٩٨٥، وتهتم المجلة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، للاستزادة انظر موقع المجلة:

http: / /nationalinterest.org.

وهو أبعد ما يكون استهدافاً لشرح نهاية الحرب الباردة، أو أي موضوع ملح آخر من موضوعات السياسة المعاصرة"[1]. المقال والكتاب يحملان الفكرة نفسها، وهي نهاية تاريخ البشرية، غير أن الكتاب يمثل أُطروحته الفكرية بشكل أشمل وأوسع.

وفي هذا الفصل سيتناول البحث أطروحة فوكوياما بشرح وتحليل محتوياتها الفكرية، وعرض لأهم الأفكار التي يطرحها فوكوياما لمستقبل العالم في ظل النظام العالمي الجديد، والدولة المنسجمة التي ستظهر في نهاية التاريخ، ويسكنها خاتم البشر؛ الإنسان الأخير.

---

[1] فرانسيس فوكوياما. نهاية التاريخ وخاتم البشرت حسين أمين، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣، ص: ٩.

المبحث الأول:

فرضيات أطروحة فوكوياما

إن الفكرة الأساسية التي يطرحها فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" هي الديمقراطية الليبرالية التي تشكل نهاية التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، ويستشهد بهيجل وماركس حيث يقول: كان في اعتقاد هيجل وماركس أن تطور المجتمعات البشرية ليس إلى ما لا نهاية، حيث تمثل النهاية عند هيجل بالدولة الليبرالية، وعند ماركس بالمجتمع الشيوعي. ويصرح فوكوياما عن موضوع كتابه "إذا كان من المقبول منا - ونحن نودع القرن العشرين، أن نتحدث مرة أخرى عن تاريخ للبشرية واضح المعالم والأهداف، يتجه بالشطر الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية؟، الإجابة نعم، لسببين: الأول: يتعلق بالاقتصاد، والثاني: يتصل بما يسمى الصراع من أجل نيل التقدير والاحترام"[١].

أفضل النظم السياسية:

إن إشكالية نهاية التاريخ هي محاولة للإجابة عن سؤال قديم، ربما كان الفكر الديني هو السبَّاق في طرحه، لكن نهاية فوكوياما للتاريخ لا يقصد بها الانتهاء المادي، أو الفناء كما ورد في الفكر الديني، بل يقصد بها النهاية الفكرية، التي تمثلها نهاية الأيديولوجيا نتيجة لانتصار الفكر الديمقراطي الليبرالي على الاشتراكية[٢]. إن

---

[١] المرجع السابق، ص: ٩.

[٢] عبد الحميد الصالح. فوكوياما والخطاب الليبرالي في سقوط الأيديولوجيا، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، دمشق: المجلد ١٣، العدد٣، ١٩٩٧، ص: ٧٦.

مسألة "أفضل النظم" هي من أقدم مسائل الفلسفة السياسية، التي أسسها أفلاطون ٤٢٨-٣٤٨ ق. م، فكانت من أهم المواضيع التي عالجها في كتابه "الجمهورية" وقد ظهرت بصور عدة وتراوحت صراحتها عند جميع من خلفوه، وحملت نظرياتهم إجابات متناقضة لأفضل النظم السياسية[١]. ومن ثم فإن طرح مسألة "نهاية التاريخ" على الصعيد الأيديولوجي، ليس جديداً، ولكن الجديد في نهاية فوكوياما للتاريخ هو الاكتمال المقترن بتحقيق الغاية، والوصول إلى الهدف، أو المرحلة الأخيرة من تطور البشرية وتلاشي التناقضات[٢]. ويعني فوكوياما بأن الديمقراطية الليبرالية وصلت لحل المشكلات والتناقضات كافة داخل المجتمعات، وبهذا يكون التاريخ وصل إلى نهايته، ولا يستوجب على المفكرين البحث والسؤال عن المشكلات الإنسانية والعمل على حلها.

سقوط الأيديولوجيات السياسية:

انطلق فوكوياما من فرضية أساسية وهي: هزيمة الأيديولوجيات السياسية التي لا تكتسب الصفة العالمية، كالأيديولوجيا الصينية والإسلامية. وقد جادل في أُطروحته سقوط الأيديولوجيا الاشتراكية التي تكتسب الصفة العالمية، وهي محور رئيس في أُطروحته بعد إسقاط الأيديولوجيات الفرعية كافة، والتي لا تحمل الصفة العالمية من وجهة نظره. وعرض في أُطروحته التناقض في أنظمة الحكم عبر تاريخ

---

[١] كريستيان كامباني. الفلسفة السياسية اليوم أفكار مجادلات رهانات، ت نبيل سعد، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣، ص: ١٦.

[٢] عبد الحميد الصالح، مرجع سابق، ص: ٤٣.

الإنسانية من الملكيات والأرستوقراطيات، إلى الحكومات الدينية الخاضعة لرجال الدين، إلى الدكتاتوريات الفاشية والشيوعية. ويحدد النظام الديمقراطي الليبرالي، نظاماً للحكم في نهاية التاريخ الذي بقي ثابتاً حتى نهاية القرن العشرين. إذاً كيف يفسر فوكوياما سقوط الأيديولوجيات السياسية الأخرى؟.

يفسر فوكوياما سقوط الأيديولوجيات السياسية قائلاً: "هناك إجماع في جميع العالم حول شرعية الديمقراطية كنظام للحكم بعد أن لحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية في الفترة الأخيرة"[١]. إن نص فوكوياما يعترف صراحةً بأن الشرعية التي اكتسبتها الديمقراطية الليبرالية على مستوى العالم جاءت نتيجة الهزيمة التي منيت بها الأيديولوجيات المنافسة، أي أن وراء انتصار الديمقراطية الليبرالية القوة وإرادة الهيمنة والحرب، وليس نتيجة للتطور التاريخي والطبيعي للفكر البشري، أو نتيجة للقناعة البشرية بأن التاريخ سينتهي بصورة حتمية، أو قانونية نحو الديمقراطية الليبرالية[٢]. وبالإضافة لعدم قدرة الأيديولوجيات الفرعية لأن تصبح عالمية، ومن خلال شرح فرضيات فوكوياما سوف نشعر بروح الانتصار، وقوة الولايات المتحدة باعتبارها النموذج العالمي للديمقراطية الليبرالية.

يرى فوكوياما الإسلام بوصفه أيديولوجيا يكاد أن لا يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة، "وإن كان بوسع الإسلام

[١] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ٨.

[٢] عامر فياض وحسن مولد. مرجع سابق، ص: ٤٧.

أن يكسب من جديد ولاء المرتدين عنه، فهو لن يصادف هوى في قلوب شباب برلين، أو طوكيو، أو موسكو، رغم أن بليون نسمة يدينون بدين الإسلام "أي خمس تعداد سكان العالم"، فليس بوسعهم تحدي الديمقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري"[1]. فالإسلام أمام الثورة الليبرالية التي تلت الحرب الباردة في فكر فوكوياما، هو أيديولوجيا فرعية لا تكاد أن تصحو في مناطقها التي انتشرت بها، بل يرى فوكوياما بأن العالم الإسلامي أشد عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من احتمال أن يحدث العكس، ويعيد فوكوياما سبب انتشار "الأصولية الإسلامية[2]" إلى الخطر الملموس من جانب القيم الغربية الليبرالية على المجتمعات الإسلامية التقليدية.

كتابة التاريخ العالمي:

يلجأ الفيلسوف في فلسفة التاريخ إلى اختصار العلل "الأسباب" الجزئية للأحداث التاريخية إلى علة واحدة أو علتين على أبعد تقدير، يفسر على ضوئها التاريخ العالمي، ويقتضي منه إعادة تشكيل وقائع التاريخ، وأحداثه لكي يقدم منها صورة عقلية، يستطيع من خلالها كتابة التاريخ العالمي[3]. إن فلسفة هيجل التاريخية تنطلق من حل كافة التناقضات وتحقيق الوعي المطلق، قد اعتبر الحالة الجدلية هي المحرك للتاريخ. أما ماركس فقد نظر لحل كافة الطبقات الاجتماعية، واعتبر

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٥٦.

[٢] يعني فوكوياما بالأصولية الإسلامية: الإرهاب الديني الذي يصف بعض الحركات الإسلامية المتشددة بالإرهاب.

[٣] رأفت الشيخ. مرجع سابق، ص: ٢٤-٢٥.

الاقتصاد هو المحرك للتاريخ، وأن الاشتراكية هي المرحلة التي سوف توصلنا إلى الشيوعية. لكن فوكوياما يقول:" المسار التاريخي الذي يؤدي لدولة نهاية التاريخ كان يدفعه محركان متساويان: الازدهار المستمر في العلوم الطبيعية الحديثة، والسعي إلى نيل الاعتراف"[1]. وقد أعلن فوكوياما بأن هذين المحركين تم تحقيقهما في دولة الديمقراطية الليبرالية، معلناً عن نهاية التاريخ.

كتب كوندورسية Condorcet ١٧٤٣-١٧٩٤ كتاباً بعنوان "تقديم العقل البشري"، وهو أول عمل لتاريخ عالمي مقسم إلى مراحل، والذي يؤمن بنظرية التقدم في التاريخ، فكتب مراحل التقدم البشري عن الماضي وتاريخ المستقبل، وكانت كتاباته مليئة بالتفاؤل عن التاريخ بوصفه تقدماً مطرداً للبشرية نحو الحق والسعادة[2].

ولعل المقالة التي كتبها كانط Immanuel Kant ١٧٢٤-١٨٠٤ عام ١٧٨٤ "محاولة لكتابة تاريخ عالمي"، أول محاولة جادة في هذا المجال، فبالرغم من عدم تجاوزها ست عشرة صفحة، إلا أنها وضعت الأسس التي قامت عليها فيما بعد محاولات كتابة تاريخ عالمي[3]. وكانت آراء كانط الفلسفية بصدد غائية أفعال الإنسان في التاريخ. وهذه الأفعال مستندة إلى حرية الإرادة، وهذا يتضمن أنها لا تخضع لقوانين، كقوانين الطبيعة. وحرية الإنسان لا تعني أنه يتصرف بحكمة ولا تصدر أفعاله عن تعقل واتزان، فالحرب مثلاً تبدو من نسيج الحماقة وصادرة عن شهوة التدمير. إذن غاية

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١٨٤.

[٢] مصطفى النشار. مرجع سابق، ص: ١٨٧.

[٣] عبد الحميد الصالح، مرجع سابق، ص: ٥٣.

التاريخ عند كانط هي الكشف عن النظام الذي يكمن وراء الفوضى[١].

حركة التاريخ شغلت الفلاسفة التأمليين. وقد قسم فريد سليمان الفلاسفة إلى ثلاث فرق: "هناك من يقول أن التاريخ يلتزم مساراً مستقيماً على طريق التقدم الصاعد أو التدهور. وهناك من يقول أن التاريخ يسير في دورات حضارية تمر بها الإنسانية، وهناك من يقول إن حركة التاريخ لا تلتزم نمطاً معيناً"[٢]. وأنصار الفريق الأول هم من الماركسيين والبرجماتيين أما أنصار التعاقب الدوري للتاريخ "ابن خلدون، وتوينبي"، يريان أن الإنسانية تمر بحلقات تنتقل فيها من طور إلى آخر؛ من البداوة إلى التحضر. ويرى اشبنغلر أن كل حضارة تاريخية هي كيان مستقل ومنعزل تمام العزلة عن غيرها من الحضارات، والتشابه بينهما لا يتعدى إلى الجوهر، لأن كل حضارة تاريخية يربطهما مفهوم متقارب للوجود، فينعكس ذلك على مختلف نشاطاتهما الدينية والسياسية والاقتصادية[٣]. فوكوياما تحدث عن التاريخ الغائي الذي يتحرك في مسار مستقيم، ليصل إلى غايته وهي نهاية التاريخ.

فوكوياما وغائية التاريخ:

يرى فوكوياما أن التاريخ غائي، وأنه يتطور صوب الديمقراطية الليبرالية. وقبل تحليل غائية التاريخ ومآلها عند فوكوياما، لابد من معرفة ما الغائية؟ وكيف يصل فوكوياما إلى غاية التاريخ في أطروحته؟

---

[١] أحمد صبحي. مرجع سابق، ص: ١٩٩.

[٢] فريد سليمان. مرجع سابق، ص: ٣٦.

[٣] المرجع السابق، ص: ٣٦.

الغائية Teleology – finality: "هي النظرية التي تزعم أن كل ما في الطبيعة وما يجري فيها من عمليات، إنما يتجه لتحقيق غاية معينة، فالغائية هي علم الغايات، إذ ترى أن العلة هي الكامنة وراء أنواع التغيرات كلها، حتى السلوك الإنساني الأكثر عقلانية يفسر بأنه خاضع لتأثير الغاية، والطبيعة أيضاً خاضعة للغاية، إلا أن الغاية فيها مزروعة بطريقة غير واعية، أما الإنسان فيحدد غايته بطريقة واعية"[1]. والغائية في موسوعة لا لاند الفلسفية تعني: "كل مذهب يعزو دوراً مهماً إلى الغائية أو المآلية في تفسير العالم، ومعناها باللاتيني نطاق أو حد، والوقف أو الحد: هي النقطة التي يتوقف عندها"[2].

ينطلق فوكوياما لإثبات غاية التاريخ وتطوره في مسار التقدم إلى الديمقراطية الليبرالية، من غائية العلم، "المعرفة هي مفتاح غائية التاريخ، خاصة وأن معارفنا عن الكون الطبيعي التي يمكن للعلم توفيرها لنا، والمجال الوحيد الذي يُجمع الناس على أنه غائي وتراكمي هي المعرفة أي العلوم الطبيعية الحديثة"[3]. ويبرهن فوكوياما غائية العلم وإحداث التغيرات التاريخية بواسطته من خلال وسيلتين هما: تطور العلوم الطبيعية، وتطور الاقتصاد. وفيما يلي سوف نعرض وسائل تحقيق غائية التاريخ.

أولاً: تطور العلوم الطبيعية:

يدلل فوكوياما على غائية التاريخ في البداية من خلال العلم ويستبعد منه

---

[1] الموسوعة العربية. إصدار هيئة الموسوعة العربية، دمشق: المجلد ١٣، ٢٠١١، ص: ٧٧٢.

[2] أندريه لالاند. مرجع سابق، ص: ٤٢٦-٤٢٧.

[3] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٧٧.

فروع عدة من العلوم الإنسانية كالفنون والرسم والشعر، فالعلوم الطبيعية تُبنى على إنجازات الماضي، "الحقائق التي كانت غائبة على إسحاق نيوتن معروفة اليوم لدى أي طالب جامعي يدرس الفيزياء لمجرد أنه ولد بعد نيوتن، فالمعرفة العلمية لا هي بالدورية ولا هي بالعفوية"[١]. من خلال هذه الفرضية يبرهن فوكوياما أن انتشار العلم بين الشعوب والحضارات هي غائية وعالمية في آن واحد. ويضرب مثالاً عن التنافس العسكري في عالم اليوم قائلاً: "الطابع العالمي للعلم يوفر الأساس لتوحيد البشرية كلها بالنظر لانتشار الحروب والصراعات في النظام الدولي، فالعلوم الطبيعية الحديثة اليوم تتيح القوة العسكرية للمجتمعات القادرة على استخدام التكنولوجيا وإنتاجها واستخدامها على أكمل وجه"[٢]. إذن الحرب والتقنية العسكرية عند فوكوياما هي الدافع القوي للدول من أجل تغليب العقلانية في المجتمعات وإقامة بناء اجتماعي متشابه في الدول والحضارات كافة.

ويعني فوكوياما بانتشار العلوم والتكنولوجيا بين الدول والحضارات؛ بأن الدول تسعى لحماية سيادتها السياسية، وبذلك هي مضطرة إلى تبني تكنولوجيا أعدائها ومنافسيها، وينتج عن ذلك إعادة بناء أنظمة الدولة الاجتماعية بحيث تكون أكثر فاعلية في إنتاج التكنولوجيا واستخدامها، وهذا يخلق جواً للوحدة الوطنية لتستطيع الدولة مجابهة أعدائها، فتعمل على هدم أشكال مختلفة من الروابط الإقليمية والأسرية والدينية التي يمكن أن تعرقل مسار الوحدة، وتنهض الدولة بمستوى التعليم من أجل تخريج صفوة قادرة على استخدام التكنولوجيا، وهي بذلك تمنح حقوقاً للطبقات الفقيرة من أجل التعبئة العامة متى شاءت الدولة[٣].

[١] المرجع السابق، ص: ٧٨.

[٢] المرجع السابق، ص: ٧٨.

[٣] المرجع السابق، ص: ٧٩.

ويفرض فوكوياما هذا المسار التاريخي على الدول كافة، ويضرب أمثلة على ذلك من التاريخ، بأن الحروب في القرن السادس والسابع عشر أدت إلى إنهاء الإقطاعيات، وتكوين الإمبراطوريات، فالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي يحدث نتيجة مسايرة التنافس الدولي.

ثانياً: تطور الاقتصاد:

يتزامن التكامل العالمي والسير نحو العولمة مع انتشار نظرية اقتصادية ينصح بها عدد كبير من الخبراء والاستشاريين الاقتصاديين، ويقدمونها للمسؤولين عن إدارة دفة السياسة والاقتصادية على أنها النهج الصحيح: إنها "الليبرالية الجديدة Neoliberalism" والمقولة الأساسية لهذه النظرية هي ببساطة: "ما يفرزه السوق صالح، أما تدخل الدولة فهو طالح". وقد اتخذت في الثمانينيات الغالبية العظمى من الحكومات الغربية هذه الليبرالية مناراً تهتدي به في سياساتها، وأعطى انهيار الاتحاد السوفيتي هذه العقيدة دفعة إضافية، ومنحها القدرة لتصبح ذات أبعاد عالمية[١]. التطورات العالمية الجديدة أدت إلى تطور الرأسمالية العالمية التي يجمعها مصطلح "العولمة"، والتي تطورت عبر تاريخ طويل يبدأ بالقرن السابع عشر في شكل نظريات سياسية على يد توماس هوبز وجون لوك، وانتقلت إلى الاقتصاد الكلاسيكي على يد آدم سميث، ويعاد ظهورها من جديد الآن في شكل ما يسمى بالليبرالية الجديدة[٢].

---

[١] هانس بيتر مارتن وهارالد شومان. فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ت عدنان عباس علي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٨، ص: ٣١.

[٢] أشرف منصور. الليبرالية الجديدة: جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨، ص: ٩.

وقد جاءت آراء فوكوياما الاقتصادية وفق هذه النظرية، حيث يرى أن العلوم وتطوراتها الحديثة تنظم اتجاه النمو الاقتصادي، وهذا الاتجاه الذي يصبح فيه التحول التكنولوجي وثيق الصلة بتنظيم العمالة بمرور الوقت، فالتحسينات التكنولوجية في ميادين عدة كالاتصالات ورصف الطرق وتطوير السفن والموانئ واختراع القطارات وغيرها، تعمل على توسيع السوق وإيجاد وفرة في الإنتاج والحجم الكبير، وهذا يؤدي إلى خلق أسواق كبيرة وتقسيم العمل إلى أبعد مدى[١].

وهذا التوسع في الأسواق وفي الإنتاج عند فوكوياما يؤدي إلى تغيرات جوهرية في البناء الاجتماعي للأفضل. إن التنظيم الرشيد للعمل يفرض تغيرات واسعة النطاق في البناء الاجتماعي، وذلك أن المجتمعات الصناعية لابد أن تكون حضرية الطابع. ويذهب فوكوياما إلى أبعد من ذلك في تحديث البنية الاجتماعية في المجتمع فيقول إن: "النمو الاقتصادي وسوق العمالة يعمل على زعزعة كيان الطوائف الاجتماعية التقليدية كالقبائل والعشائر والعائلات الكبيرة، فتنحسر بسبب افتقار تنظيمها إلى المبادئ العقلانية للكفاءة الاقتصادية، وتفسح المجال أمام الأشكال التنظيمية الراهنة"[٢]. وهذا من الناحية العملية صحيح، حيث تسمح الليبرالية الجديدة بحرية التنقل والحركة للعمالة، وتعلم تكنولوجيا العمل الجديدة، إلا أن الأشكال التنظيمية الراهنة في المجتمع لم تتغير، بل زادت الفجوة بين الطبقات، أي هناك البرجوازية والعمال وفي أحسن أحوال الليبرالية، وقد يكون هناك طبقة متوسطة إلا أنها الأكثر

---

[١] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ٨١-٨٢.

[٢] المرجع السابق، ص: ٨٢.

عرضة لتهديد الأزمات المالية في الغرب.

ويقدم هانس بيتر مارتن Hans - Peter Martin وهارالد شومان Harald Schumann نقداً عملياً لهذه النظرية الاقتصادية والتي يؤمن بأفكارها فوكوياما قائلين: إن الرأسمالية النفاثة التي تبدو الآن كما لو كان انتصارها على المستوى العالمي قد صار أمراً حتمياً، إنما هي في طريقها لهدم الأساس الذي يضمن وجودها، وهي الدولة المتماسكة والاستقرار الديمقراطي. فالتغير وإعادة توزيع السلطة والثروة يقضيان على الفئات الاجتماعية، وأخذت البلدان التي تعتبر بلدان رفاهية تستهلك رأسمالها الاجتماعي، فلو بحثنا في الولايات المتحدة عن الطبقات الاجتماعية، سوف نجد أن معدلات الجريمة اتخذت أبعاداً بحيث صارت وباء واسع الانتشار. ففي ولاية كاليفورنيا- فاق الإنفاق على السجون المجموع الكلي لميزانية التعليم[1]. وهذا يوضح العلاقة العكسية بين الطبقات الاجتماعية في البلدان الليبرالية، فكلما زادت التنمية الاقتصادية من قبل البرجوازية، تزداد قوة الرأسمالية في الدولة، وتستهلك رأسمالها الاجتماعي في الوقت نفسه. فالتغيرات التي تطرأ على أصحاب رؤوس الأموال وشركاتهم تؤثر على الطبقات الاجتماعية الأخرى، فمثلاً التقدم التكنولوجي يؤدي إلى الاستغناء عن العمال، وكذلك الأزمات الاقتصادية تؤدي إلى وقف مصانع أو تخفيض العمل.

---

[1] هانس بيتر مارتن وهارالد شومان. مرجع سابق، ص: ٣١-٣٢.

وعن قوة وهيمنة الشركات متعددة الجنسيات، يقول فوكوياما: "قد أثبت خطأ القول بأن التنمية الصناعية تعني بالضرورة قيام بيروقراطيات متزايدة الحجم أو اتحادات عملاقة من الشركات متعددة الجنسيات"[1]. فالإنتاج الكبير يؤدي إلى عدم الوفرة الناجم عن الاقتصاد الكبير ومن ثم تصبح كفاءة الشركات الأصغر أو المتوسطة أفضل في إنتاجها. وهذا غير صحيح حيث إن في العشرين عاماً الأخيرة تزايدت هيمنة الشركات العملاقة العابرة للقارات، وهذه الهيمنة لم تكن فقط في الجانب الاقتصادي، بل وصلت هيمنتها إلى الجانب السياسي أيضاً.

يرفض جان جاك روسو ١٧١٢-١٧٧٨ في كتابه "مقال في العلوم والفنون عام ١٧٥٠" التقدم العلمي، ويعتبره مفسدة للنفس، ويزعم بأن العلوم والآداب والفنون تكمل ظاهر الإنسان فقط، ولا تكمل باطنه، بل كلما تقدمت أمعنت في إفساده، وهي تولد الرذيلة لأنها تطيل الفراغ وتدفع إلى الترف والتنمية، وهذا الترف والثراء المفرط عند البعض يقابله الفقر المدقع عند البعض الآخر، فأصبح لدينا علماء وفنانون من كل نوع، ولم يبق لدينا مواطنون، فكان من جراء ذلك تفاوت مشؤوم بين الناس[2]. ويشكك روسو في التقدم العلمي والتكنولوجيا ويخرج من هذا الشك من خلال الفضيلة، حيث يقول: "أيها الفضيلة! أنتِ العلم السامي للنفوس الساذجة، أهنالك حاجة لكل هذا العناء وهذه الأدوات لكي نعرفك؟ أليست مبادئك مطبوعة في جميع القلوب؟ أوليس يكفي لتعليم قوانينك أن نخلو إلى أنفسنا ونستمع إلى صوت الضمير

---

[1] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٨٣.

[2] يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢، ص: ٢١٢.

في صمت الأهواء؟ تلك هي الفلسفة الحقة، فلنتعلم ما نقنع بها"[١]. وينتقد فوكوياما رأي روسو الذي يعتبره المصدر الرئيس لمعظم النظريات المعادية للتكنولوجيا، حيث أن روسو يرى إن التقدم الصناعي يعني إضرار البيئة الطبيعية للإنسان، والأهم هو ما يراه روسو وهو أن الفساد في استخدام التكنولوجيا سيؤدي إلى نهاية المجتمع المثالي الذي ينظر له فوكوياما. غير أن فوكوياما يرى أنه من الصعوبة العودة إلى الطبيعة الأولى التي ينظر لها روسو، وترك التكنولوجيا والنمو الاقتصادي الراهن.

ويضيف فوكوياما طرحاً آخر وهو فرض خيار التخلي عن التكنولوجيا كرهاً لا طوعاً، من خلال حرب تدميرية أو انهيار بيئي شامل، ورجوع الحضارة إلى ما قبل العلم، فهو أيضاً يستبعد ذلك فلا يوجد برابرة جاهلون بقوة التكنولوجيا والأسلحة النووية. وبعد عرضه لوسائل التاريخ يتوصل فوكوياما إلى أن التاريخ غائي يتقدم من خلال مسار العلم والتكنولوجيا فيقول: "من غير الممكن أن نتصور تاريخاً دورياً حقيقياً، إلا لو افترضنا إمكان أن تختفي حضارة معينة بصورة كاملة دون أن تترك أي أثر في الحضارة التي تليها... وبهذا يصبح التاريخ غائي بكل ما تحمله من عواقب اقتصادية واجتماعية وسياسية"[٢].

إن تطور العلوم يسفر عن تاريخ غائي وتحولات اجتماعية متجانسة الطابع في مختلف الأمم والحضارات، حيث يرى فوكوياما أن التكنولوجيا والتنظيم للعمل هما من الشروط اللازمة للتصنيع، وكذلك توسيع المدن وتطورها، ومن ثم أدى إلى

---

[١] المرجع السابق، ص: ٢١٢.

[٢] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٩١.

ارتفاع مستوى التعليم، إلا أنه لم ينكر الدول التي تطورت اقتصادياً غير أنها لا هي بالرأسمالية ولا بالديمقراطية كالاتحاد السوفيتي السابق، فقد عرف نمواً اقتصادياً في ثلاثينيات القرن الماضي في عهد ستالين[1] الذي حول البلاد من زراعية إلى صناعية.

غير أن التخطيط المركزي غير فعال فالابتكار التكنولوجي ينطلق في جو من الحرية ويسمح للناس بالتفكير والاتصال، والمكافأة على الابتكارات والصناعات الجديدة، غير أن الاتحاد السوفيتي لم يهتم سوى بعلماء السلاح النووي ولم يهتم بالصناعات الأخرى كالتلفزيون والتسويق وغيرها، إن الاشتراكية لاقت هزيمتها الكبرى في عالم الاقتصاد وخاصة عالم الصناعة الديناميكي شديد التعقيد[2]. وهذا يعني أن الاقتصاد المركزي ونجاحاته غير دائمة وانكشف أمرها مع مرور الزمن وأثبتت فشلها في ظل التطورات الهائلة في الصناعة والتكنولوجيا الصناعية، إلا أن رأي فوكوياما هذا جانبه الصواب في توقعاته للقرن الحادي والعشرين، فالصين اليوم تعتبر من أقوى الدول الصناعية والاقتصادية التي تعتمد على التخطيط المركزي الذي طورته، وأخذت بسياسة الأسواق المفتوحة.

---

[1] جوزيف ستالين ١٨٧٩-١٩٥٣: الاسم الكامل "جوزيف فيساريو نوفيتش ستالين دجوغاشفيلي" ولد في مدينة"جورجي" في جمهورية جورجيا، ستالين الرئيس الثاني للاتحاد السوفيتي خلفاً للينين في العام ١٩٢٣، وقد لجأ إلى العنف والقسوة لتحقيق الأهداف السياسية. للاستزادة انظر: ديمتري فولكوغونوف. ستالين الواقع والأسطورة، ت حازم حجازي، بيروت: دار المشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.

[2] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٩٢-١٠٧.

العلوم الحديثة والديمقراطية:

يجزم فوكوياما بأن العلوم الطبيعية تخلق ميلاً إلى الرأسمالية واقتصاديات السوق، وهناك علاقة وثيقة بين التنمية الاقتصادية ومستوى التعليم والديمقراطية، "العلاقة بين التنمية الاقتصادية والديمقراطية هي أبعد ما تكون مصادفة"[١]. بعد وسائل فوكوياما الذي أثبت أن التاريخ العلمي غائي ومتطور، قد أسقط تطور العلوم الطبيعية على تطور النظام البشري بأكمله من اجتماع واقتصاد ونظم سياسية.

إن الدول التي تتبنى إصلاحات اقتصادية، يطرأ تغيرات على التركيبة الاجتماعية فيها، من خلال التحول من الزراعة إلى الصناعة، وبذلك سوف تتسع المدن وتزداد نسبة التعليم وترتفع الدخول الفردية، ويضرب فوكوياما أمثلة لبلدان العالم التي أدت التنمية الاقتصادية فيها إلى الديمقراطية. إسبانيا بعد حكم فرانكو[٢] عملت على الإصلاحات الاقتصادية وهو ما أدى إلى تغيرات اجتماعية وديمقراطية فيها، وعرفت الأحزاب والحرية الفردية وبلد كاليابان التي فرضت عليها الديمقراطية بالقوة، فقد تجاوزت الديمقراطية الحد الذي يمكن أن توصف بأنها فرضت بالقوة عليها، وكذلك الحال مع كوريا الجنوبية وتايوان.

هذا، ويربط فوكوياما بين التقدم التاريخي وإرساء دعائم الديمقراطية في العالم قائلاً: لو ألقينا نظرة على العالم من حولنا للاحظنا أنه لا تزال ثمة علاقة متبادلة

[١] المرجع السابق، ص: ١٠٨.

[٢] فرانسيسكو فرانكو ١٨٩٢-١٩٧٥: الدكتاتور الإسباني، والوصي على المملكة الإسبانية من العام ١٩٤٧ حتى وفاته.

بالغة القوة بين التحديث الاجتماعي والاقتصادي الزاحف؛ وبزوغ الديمقراطيات الجديدة[١]. بينما يؤكد فوكوياما على فرضياته في حوار أجراه مع عبد العزيز قاسم[٢]، بأن الاقتصاد والتنمية مرتبطان بالديمقراطية المستقرة في الدول، فهناك القليل من الدول الغنية التي ليس بها ديمقراطية ليبرالية، وإن كانت بعض الدول الفقيرة كالهند وكوستاريكا تقدم نموذجاً ناجحاً للديمقراطية، لكن أغلب الدول التي لا تصنف ضمن الدول الغنية هي دول غير ديمقراطية[٣]. ويطرح فوكوياما ثلاث حجج للتدليل على أن التصنيع المتقدم يؤدي إلى الديمقراطية وهي:

١. وظيفة الديمقراطية: الديمقراطية وحدها هي القادرة على التوفيق بين المصالح المتعارضة الناجمة عن طبيعة الاقتصاد، في حالة التصنيع تظهر الطبقات العاملة في مختلف تخصصاتها الصناعية والحرفية، والإداريين وأصحاب رؤوس الأموال، والمهاجرون الذين يسعون للاستفادة من سوق العمل، وهنا تأتي وظيفة الديمقراطية وتثبت كفاءتها لأنها مرنة تسمح للجميع بالتعبير عن نفسه، إلا أن فوكوياما لا ينكر دور الدكتاتوريات بأنها قد تكون قراراتها الاقتصادية أسرع من الديمقراطية، إلا أنها لا تستمر

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١١٠.

[٢] حوار مع فوكوياما على هامش ندوة مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، بمدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية.

وعقدت الندوة في ٨-٩ إبريل ٢٠٠٥، تحت عنوان "وجهة التاريخ: العقل وشروط الوجود الإنساني"، وقدم فوكوياما ورقة عمل لهذه الندوة بعنوان "نهاية التاريخ... بعد مرور ١٦ سنة على إعلانها".

[٣] عبد العزيز قاسم. نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧، ص: ٥٨-٥٩.

طويلاً وخاصة في الدكتاتوريات التي تعمل دون وعي كامل بالمصلحة الاقتصادية للبلاد. أي التي تعمل من أجل النخبة الحاكمة.

٢. الاقتصاد والتحول الديمقراطي: النمو الاقتصادي يؤدي إلى الديمقراطية، فالدكتاتوريات أو نظام الحزب الواحد حينما تحكم شعباً متقدماً علمياً وتكنولوجياً بمرور الزمن تتحول تلك الدكتاتوريات، فالثورة تأتي بزعامة ملهمة تحاول تحقيق كل شيء، غير أنه باختفاء المؤسسيين من الوجود، تتحول تلك الدكتاتوريات أو الحزب الحاكم إلى الصراع على السلطة، ومن ثم تنهار تلك الدكتاتوريات أمام حركة الشعب وتطلعاته الاقتصادية. وقد تحقق الديمقراطية بتحويل نظام الحكم سلمياً أو من خلال انهيار النظام القائم.

٣. التقدم الاقتصادي والتحول الليبرالي: التصنيع الناجح والتقدم الاقتصادي يتيح للطبقة الوسطي المساهمة في الحياة السياسية والمساواة في الحقوق لكل الطبقات بالرغم من التفاوت الكبير في الدخول الفردية، لأن التقدم الاقتصادي يتطلب عمالة كبيرة ومتعلمة، وهذا بدوره يؤدي إلى مطالبة هذه الطبقة بحقوقها والمشاركة في الحياة السياسية.

خلص فوكوياما إلى أن التاريخ غائي وعالمي وليس مقتصراً على الحضارة الغربية وحدها، كما في العصور الوسطى، ففي العصر الحالي تعتبر التجارب الإنسانية ملكاً لكل العالم، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حينما يطبق التقدم العلمي والتجارب الإنسانية على الاقتصاد حيث يعتبر العالم حضارة واحدة تتمثل في الاقتصاد المعولم.

وفي هذا الإطار يقول فوكوياما: "ثمة حضارة عالمية حقيقية قد بزغت خلال القرون القليلة الماضية، محورها النمو الاقتصادي القائم على التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية الرأسمالية اللازمة لتحقيق هذا النمو والحفاظ عليه"[١]. وهذا يعني أن التقدم العلمي والنشاط الاقتصادي الناتج عنه، جعل العالم قرية صغيرة، دون النظر إلى توافق هذا التقدم مع المجتمعات كافة وقبولها للعولمة الاقتصادية.

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١٢٢.

المبحث الثاني:
نهاية الأيديولوجيا

يتساءل فوكوياما إذا ما كان بوسع مسار التاريخ الإنساني أن يستمر إلى الأبد، أم أنه وصل إلى غايته؟ وهل هناك أي تناقضات في النظام الاجتماعي الديمقراطي الليبرالي المعاصر؟ أم أن التاريخ وصل إلى نهايته في النظام الديمقراطي الليبرالي الحالي؟ يجيب فوكوياما عن هذه التساؤلات من خلال العودة لتاريخ الفكر السياسي، وخاصة عند أعلام فلسفة التاريخ هيجل وماركس وتحليل رؤيتهم لمسار التاريخ.

نهاية التاريخ وحل التناقضات:

إن شكل التنظيم السياسي والاجتماعي في حضارة ما يحتوي على تناقضات داخلية تؤدي بمرور الوقت إلى زعزعة هذا التنظيم وإقامة تنظيم آخر أكثر نجاحاً يحتوى هو الآخر على تناقضات، هذه هي الديالكتيكية الهيجليه. ويبحث فوكوياما في الديالكتيكية متسائلاً: هل انتهت هذه التناقضات ووصل التاريخ إلى نهايته؟ يؤكد فوكوياما أن النظام الديمقراطي الليبرالي وصل إلى نهايته بحل التناقضات كافة في المجتمعات الديمقراطية.

إن التناقض الداخلي في المجتمع عند فوكوياما يعني أن هناك سخطاً اجتماعياً يتسبب بانهيار النظام الديمقراطي القائم، ويستبعد المشكلات الرئيسة في المجتمعات الديمقراطية، مثل: التضخم والجريمة والمخدرات، فهذه المشاكل لا تتحول إلى تناقض إلا إذا كان من الخطورة حلها في إطار النظام القائم، فالتناقض يعني زعزعة

شرعية النظام القائم الذي لا يمكن حل هذا التناقض في إطاره الحالي[١]. ويختلف فوكوياما مع ماركس في تحليله للطبقات، حيث يرى ماركس بأن فقر البروليتاريا المطرد هو تناقض قائم، حيث إنه يؤدي إلى وضع ثوري يعصف ببناء المجتمع الرأسمالي كله ويحل محله بناء آخر. أما فوكوياما فيرى العكس من ذلك حيث ينظر لفقر البروليتاريا على أنه مشكلة وليس تناقضاً بل يذهب إلى أن التاريخ وصل إلى نهايته، حيث إن شكل التنظيم السياسي والاجتماعي الراهن مرضٍ للبشر كافة. أي أن مشكلة الفقر عند البروليتاريا قد حُلت وأصبحت طبقة العمال راضية عن وضعها الاجتماعي القائم في ظل النظام الديمقراطي الليبرالي.

ويبرهن فوكوياما على صحة ادعائه بنهاية التناقضات في المجتمع الغربي من خلال محورين، الأول: مسار التاريخ الفعلي للتطور التاريخي، يوضح تفوق شكل معين من المجتمع على الأشكال الأخرى، وهنا ينظر إلى التاريخ الإنساني على أنه حوار وتنافس بين أنظمة أو أشكال مختلفة للتنظيم الاجتماعي، "إن التطورات التاريخية عبر القرون كانت تتجه صوب شكل مفرد من أشكال التنظيم السياسي والاجتماعي "الديمقراطية الليبرالية" ولم تكن هناك بدائل صالحة أخرى للديمقراطية الليبرالية، ولم تعبر الشعوب التي تعيش في ظل الديمقراطيات عن سخط قوي على حياتها، يمكننا إذن القول بأن الحوار وصل إلى خاتمة حاسمة، وسيكون على الفيلسوف التاريخي أن يقبل مزاعم الديمقراطية الليبرالية بأنها الأفضل والغاية النهائية"[٢]. أما الثاني: النهج الذي يتخذ مفهوم الطبيعة أساساً له، ويعني ذلك بأن نحكم على كفاءة

---

[١] المرجع السابق، ص: ١٣٠.

[٢] المرجع السابق، ص: ١٣٠.

الديمقراطية الليبرالية الراهنة من منطلق المفهوم عن الإنسان الذي تجاوز التاريخ، وهذا يعني عند فوكوياما البحث عن الطبيعة البشرية وخصائص الإنسان الدائمة بحكم أنه إنسان، ومن ثم يمكن الحكم على كفاءة الديمقراطية الليبرالية الراهنة على هذا الأساس[1]. بمعنى آخر: الديمقراطية الليبرالية هي الأيديولوجيا الوحيدة القادرة على فهم الإنسان في المجتمع وتطلعاته ومتطلباته.

الصراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير:

تحدثنا فيما سبق عن رؤية فوكوياما حول التقدم العلمي الذي يؤدي إلى التنمية الاقتصادية ومن ثم تركيبة المجتمع في ظل التنمية الاقتصادية ومستوى تعليم عالٍ تتطلب بيئة ديمقراطية، إلا أنه في هذا الجزء يقر بأن الاقتصاد وحده لا يوصل إلى الديمقراطية، بل إن هناك دولاً وصلت إلى الرخاء الاقتصادي دون حرية، وأيضاً الثورات الليبرالية الأمريكية والفرنسية في القرن الثامن عشر لم يكن الهدف منها اقتصادياً محضاً [2]. التطور العلمي والتقدم الاقتصادي ليسا كافيين لتفسير مسار التاريخ، لذا يذهب فوكوياما ليؤكد الحكم الحر الذي يرغب به المجتمع من خلال "نيل الاعتراف والتقدير"، وذلك بالعودة إلى العقل عند هيجل لتفسير التقدم التاريخي، بدلاً من التفسير المادي الذي اعتمد عليه في تفسير التقدم العلمي والاقتصادي.

ويرى مطاع الصفدي أن أطروحة فوكوياما كان يمكن أن تمر مروراً عابراً دون أن تخلف أثراً، في قائمة البيانات الأيديولوجية والجدل السياسي اليومي، غير أنه قام

---

[1] المرجع السابق، ص: ١٣١.

[2] المرجع السابق، ص: ١٣٥-١٣٦.

بقفزة نوعية من مستوى الحدث إلى أوسع المفاهيم الفلسفية، فهو يغير العادة المتبعة في عملية البحث، فبدلاً من اعتماد تراث الواقعية النفعية كما هو عند مؤسسيه جون لوك John Locke وجيرمي بنثام Jeremy Bentham وجون إستيورت ميل John Stuart Mill؛ فإنه يبحث عن المصادر الأوروبية، وبالذات يرجع إلى الفكر الألماني عند أحد أعلامه هيجل، ولم يتوقف عنده بل يمضي قدماً إلى عمق الفكر الإغريقي، ليصل إلى التحليل الأفلاطوني للذات والمدينة والعالم[1]. إذن ما الاعتراف والتقدير؟

يشرح فوكوياما مفهومه عن الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير من خلال العودة إلى تاريخه وأصله الإغريقي عند أفلاطون فيقول:

"الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير مفهوم غربي، خاصة وإن هي وصفت بأنها المحرك الأول للتاريخ البشري، غير أننا لا ننظر إلى الحياة السياسية عادة على أنها صراع من أجل نيل الاعتراف، ففي حديثنا عن السياسية نميل إلى اعتبارها منافسة على السلطة وصراعاً على الثروة وغيرها، ولم يكن هيجل هو الذي اخترع المفهوم بل هو قديم قدم الفلسفة الغربية نفسها، وهو يشير إلى جانب مألوف جداً في الشخصية الإنسانية، غير أنه لم يكن ثمة كلمة واحدة لآلاف السنين تستخدم للإشارة إلى ظاهرة الرغبة السيكلوجية في نيل الاعتراف. فقد تحدث أفلاطون عن الثيموس، وتحدث ميكافيلي عن تعطش الإنسان إلى المجد، وتحدث هوبز عن كبرياء الإنسان، وتحدث روسو عن أنانيته..."[2].

[١] فرانسيس فوكوياما. نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تقديم مطاع صفدي، ت فؤاد شاهين وآخرون، بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٣، ص: ٥-٦.

[٢] فرانسيس فوكوياما. المرجع السابق، ص: ١٥٠.

"الثيموس" كلمة إغريقية الأصل تفيد مركز الانفعالات والتقلب والرغبة، ويمكن أن تعني أيضاً هبوب الحياة ونفس الحياة، وقد ترجمت هذه الكلمة بالروح أحياناً أو بالنفس أحياناً أخرى، وإذا بحثنا عن الثيموس في جمهورية أفلاطون في الكتاب الرابع نجده يتحدث عن أنواع عدة لهذه الرغبة، ويعني الثيموس عند أفلاطون: القلب الشجاع[١]. ويؤكد فوكوياما أن هذه الصفات تشير إلى الإنسان الذي يشعر بالحاجة إلى إسباغ قيمة على الأشياء. والرغبة في الاعتراف هي الجانب السياسي من شخصية الإنسان، لأنها تدفع الناس إلى الحاجة إلى تأكيد أنفسهم في مواجهة الآخرين.

ويحلل مطاع الصفدي مفهوم نيل الاعتراف والتقدير عند فوكوياما قائلاً: "لقد انتزع فوكوياما من الأفلاطونية الترسيمة التبسيطية التي أتى بها مؤسس العقلانية أفلاطون، ليصور من خلالها صراع الميول والقيم في ذات الفرد الإنساني، واختار جانب الميول، أو ما أطلق عليه أفلاطون اسم "الثيموس" "Thimos"، وهو الجزء الراغب من النفس والطامح إلى تأكيد الذات، وانتزاع اعتراف الآخرين بها"[٢]. وأوضح فوكوياما معنى "الصراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير"، من خلال عودته لتفسيرات هيجل عن حياة الإنسان الأول واستناده إليها، فقد وصف هيجل الإنسان الأول البدائي في كتابه "فينومينولوجيا[٣]العقل"، بأنه إنسان يعيش في بداية

---

[١] سيهل عروسي. مأزق الليبرالية: نهاية التاريخ نموذجاً، مجلة الفكر العربي، دمشق: هيئة اتحاد الكتاب العرب، العدد ١٥، ٢٠٠٢، ص: ١٠٧.

[٢] فرانسيس فوكوياما، المرجع السابق، تقديم مطاع صفدي، ص: ٨.

[٣] فنومينولوجيا: هي كلمة تحولت إلى مصطلح فلسفي، وتعني دراسة الظواهر. ويراها فيشته "فقه الظاهرة والظاهر". انظر: غيورغ هيجل. فينومينولوجيا الروح، ت ناجي العونلي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٦، الصفحات: ١٩-٤٠.

التاريخ، ويشترك الإنسان الأول عند هيجل مع الحيوان في حاجاته الأساسية، كالطعام والنوم والمأوى، وفوق كل شيء الحفاظ على حياته، غير أنه مختلف اختلافاً جوهرياً عن الحيوان في أنه لا يشتهي أشياء ملموسة فقط، وإنما يشتهي أشياء غير مادية تماماً، فهو يرغب فوق كل شيء في رغبة الآخرين له، أي في نيل الاعتراف والتقدير[١].

ويعتبر فوكوياما أن فشل التفسير الاقتصادي يعيدنا إلى هيجل، وليس إلى ماركس، لأن هيجل يتناول العملية التاريخية بشكل غير اقتصادي تماماً، كما يعتمد فوكوياما هنا على تفسير الكسندر كوجيف لفلسفة هيجل عن الإنسان الأول، حيث يفسر كوجيف فلسفة هيجل قائلاً: "يمنحنا هيجل فرصة لإعادة التفكير بالديمقراطية الليبرالية الحديثة بتعابير مختلفة عن التعابير المعتادة في الوسط الأنجلوساكسوني[٢] المنبثق عن "هوبز، ولوك". إن هيجل على خلاف هذين الأخيرين يعطينا مفهوماً للمجتمع الليبرالي مرتكزاً على الجانب غير الأناني في الشخصية الإنسانية"[٣]. ويرى فوكوياما أن الاختلاف الجوهري بين هيجل وماركس يتجلى في اختلاف موقفهما من الإنسان الأول، حيث رأى ماركس أن هذا المجتمع ينقسم بدوره إلى طبقات،

---

[١] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ١٣٧-١٣٨.

[٢] الأنجلوسكسونيون Anglo-Saxons: هم القبائل الجرمانية التي سكنت بريطانيا في القرنين الخامس والسادس. وهذه القبائل هي "الأنجل، والسكسون". انظر: Martin Burr. THE ANGLO-SAXON JUDICIARY, A paper read to the British Legal History Conference in Oxford, 2nd - 5th July 200.

[٣] عبد العزيز بومسهولي. مرجع سابق.

على أساس العامل الاقتصادي، فهناك المالك والمزارع، إلا أن هيجل يقسم المجتمع الأول على أساس الموقف من الموت والمخاطرة بالحياة لأجل نيل الاعتراف[1]. ويؤكد فوكوياما أن الإنسان في تطوره التاريخي كان يبحث عن نيل الاعتراف والتقدير، وأن المحرك الأول للتاريخ البشري هو الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير.

"ينقسم المجتمع عند هيجل وماركس إلى طبقات اجتماعية. غير أن هيجل عكس ماركس كان يرى أن أهم الفوارق الطبقية لا يقوم على أساس اقتصادي... وإنما يقوم على أساس موقف الإنسان من الموت العنيف، فالمجتمع ينقسم إلى سادة على استعداد للمخاطرة بحياتهم، وعبيد على غير استعداد للمخاطرة. وربما كان فهم هيجل للنظام الطبقي المبكر أصح تاريخياً من فهم ماركس له، فالكثير من المجتمعات الارستقراطية التقليدية قام أصلاً على أساس من "أخلاقيات المحاربين"... وذلك بسبب تفوقها من حيث الشراسة والقسوة والشجاعة. وقد استقر مقام الاجيال اللاحقة من السادة بعد الغزو الأول، إلى إقامة علاقات اقتصادية بين الملاك والفلاحين "العبيد" وبقي الإحساس بالتفوق نتيجة للاستعداد بالمخاطرة بالحياة"[2].

يبحث هيجل في كتابه "فينومينولوجيا الروح" أول حقائق الوعي بالذات وهى "أن الوعي بالذات إنما يتوصل إلى الإشباع في وعي آخر بالذات"[3].

ويرى هيجل: "أن أهم ميزة تميز الإنسان عن الحيوان، هي رغبته في أن يعترف

---

[١] عبد الحميد الصالح. مرجع سابق، ص: ٦٧.

[٢] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١٣٨-١٣٩.

[٣] محمد الشيخ. فلسفة الحداثة في فكر هيجل، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨، ص: ١٦٦.

به إنسان، ذلك أن ما يشكل هويته، هو قدرته على المخاطرة بحياته، لذا فإن لقاء الإنسان الأول بغيره من البشر يؤدي إلى صراع عنيف، يسعى كل متنافس فيه إلى إجبار الآخرين على الاعتراف به من خلال المخاطرة بحياته[١]. وحتى يستطيع الإنسان أن يحصل على اعتراف الآخرين به، عليه أن يخاطر بحياته حتى يظهر أنه ليس مجرد كائن حي حيوان غافل، وإنما لديه وعي بذاته، وإنسان معترف به مقر له بإنسانيته من الغير، ويثبت هيجل بأن "بغير المجازفة بالحياة لا سبيل إلى الحفاظ على الحرية"[٢].

ولقد استطلع كوجيف من خلال قراءته "للفينومينولوجيا" أن يجعل من "الرغبة" مفهوماً رئيسياً، بل كان نواة لبلورة نظرية فلسفية حول الرغبة، إن الإنسان حسب كوجيف هو وعي بالذات، وعي بكرامته الإنسانية، وتستهدف الرغبة تحقيق القيمة، وإذا كانت القيمة المرغوبة لدى الحيوان هي الحفاظ على حياته، فإن الإنسان لا تتحقق قيمته إلا من خلال تعريض حياته للخطر بهدف الاعتراف به، والإنسان يتحقق إنسانياً بتعريض حياته للخطر من أجل أن يرضي رغبته الإنسانية، من أجل أن يعتبر قيمة معترف بها[٣]. يستخدم فوكوياما فكرة هيجل وكوجيف حول الرغبة في نيل الاعتراف، ويذهب إلى أن هذه الطبيعة لا تقتصر على إنسان هيجل بل هي أيضاً طبيعة الإنسان المعاصر، وأحداث التاريخ تثبت أن: "الصراع من أجل نيل الاعتراف

---

[١] غيورغ هيجل. ب.ت، كما ورد في الصالح. مرجع سابق، ص: ٦٨.

[٢] محمد الشيخ. مرجع سابق، ص: ١٦٩.

[٣] عبد العزيز بومسهولي. مرجع سابق.

والتقدير" واضحة في كل مكان من حولنا[1].

ويسوق فوكوياما أمثلة لحالة الثيموس في الدول الاشتراكية فيقول: "لعبت الرغبة في الاعتراف دوراً حاسماً في إحداث الزلزال المناهض للشيوعية، ومن المؤكد أن الكثيرين في أوروبا الشرقية أرادوا وضع نهاية للنظام الشيوعي لا لاعتبارات اقتصادية سامية، صحيح أن للإصلاحات الاقتصادية في روسيا والصين دوراً إلى حد ما. غير أن الرغبة في الرخاء صحبها مطالبة بالحقوق الديمقراطية والمشاركة السياسية باعتبارها أهدافاً إلى حد ما[2]. كان الإنسان يخاطر بحياته ويدخل الحرب من أجل الاعتراف به إنساناً حراً، هذه العلاقة بين السيد والعبد عند فوكوياما كانت هي نقطة نهاية المرحلة الأولى من تاريخ الإنسانية، "حالة الحرب التي سادت بين السيد والعبد، ولم تكن هذه الحالة مُرضية للسيد وللعبد، بالنظر إلى أنه لا السيد ولا العبد رأيا فيها إشباعاً لرغبتهما، ويمثل هذا الافتقار إلى "تناقض المجتمع" والذي انتهى بدوره بتقدم البشرية والحصول على الاعتراف، وحل التناقضات"[3].

يؤكد فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية الحديثة، جعلت الاعتراف أساساً عاماً لكل المواطنين، بحيث يعترف الجميع بكرامة كل امرئٍ باعتباره إنساناً حراً ومستقلاً، "تعترف الدولة الليبرالية بكافة المواطنين وتمنحهم الحقوق، فأي طفل يولد في الولايات المتحدة أو فرنسا أو أي من الدول الليبرالية الأخرى، يولد وله

---

[1] عبد الحميد الصالح. مرجع سابق، ص: ٦٦.

[2] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١٦١.

[3] المرجع السابق، ص: ١٧٣.

حقوق معينة في المواطنة، سواء أكان فقيراً أم غنياً، أسود أو أبيض، ويكون للطفل بمضي الوقت حق الملكية، وسيكون له حق الخيارات الثيموسية "أي اعتناق الأفكار والآراء الخاصة بالقيمة والقدر الذي يرغبه"، وحين يبلغ سن الرشد له الحق في المشاركة بالعملية الانتخابية، أو المشاركة في العملية السياسية وترشيح نفسه"[١].

تقدير الذات لدى الإنسان هو شعوره بالعدالة حينما يحظى بالقبول والاحترام، وحينما يشعر الإنسان بأن له قيمة، بينما يرى الآخرون أن قيمته أدنى منهم، يشعر بالغضب ويبحث عن منزلته والاعتراف به، ويرفض الإنسان هذا الواقع المعاش، ويثور عليه لينهي حالة التناقض القائمة في المجتمع من خلال التمرد والثورات.

نيل الاعتراف في نهاية التاريخ:

عرض فوكوياما حياة الإنسان الأول، وشرح حالة الصراع لهذا الإنسان كما عرضها "هيجل-كوجيف"، وهذا الصراع جاء لنيل العبد الاعتراف بكرامته من قبل السيد، أما حياة الإنسان الأخير في نهاية التاريخ، فيقر فوكوياما بأنها عندما يشعر الإنسان بقيمته بوصفه إنساناً، ويحصل على اعتراف الآخرين به، "مسألة نهاية التاريخ هي مسألة مستقبل الثيموس"[٢]. ويستند إلى تفسيرات "هيجل - كوجيف" في نهاية التاريخ، ويعتبرها مرجعاً رئيساً في أُطروحته ليبرهن على نهاية التاريخ وظهور الإنسان الأخير، ويصور فوكوياما الإنسان الأخير بأنه الذي يعيش في المجتمعات الديمقراطية الليبرالية، والذي حصل على الاعتراف العام من قبل الدولة.

---

[١] المرجع السابق، ص: ١٨٢.

[٢] المرجع السابق، ص: ٢٥٢.

يقر فوكوياما بأن هناك تحديات تواجه الديمقراطية الليبرالية تقوم على أساس صور أخرى للثيموس من الممكن أن تؤدى إلى حالة عدم المساواة. "إن الديمقراطية الليبرالية في المدى البعيد قد تفسد داخلياً إما بسبب الإفراط في "الميجالوثيميا[١]" أو الإفراط في "الإيسوثيميا[٢]".

إن الفرد يسعى للحصول على الاعتراف الذي يوصلنا إلى الإنسان الأخير، أما المجتمع الذي يسعى للرغبة في الاعتراف المتكافئ "الإيسوثيميا" سوف يسقط لأن هذه الرغبة الجامحة في الاعتراف سوف تصطدم بحدود الطبيعة، وقد يطمح الفرد في المجتمع للاعتراف بالتفوق على الآخرين "الميجالوثيميا" في ظل الديمقراطية الليبرالية.

وهنا نطرح سؤالاً في ظل وجود هذه الرغبات لدى الأفراد، هل وصل التاريخ لنهايته؟ وظهر خاتم البشر فعلاً؟، يناقش فوكوياما هذه القضايا شارحاً كيف يتجاوزها المجتمع في نهاية التاريخ، سوف نطرح هذه المسألة من خلال عرضها

[١] الميجالوثيميا: كلمة ذات أصل إغريقي، تعني القوة الغضبية العارمة، ترغب في نزع الاعتراف بالقوة. وتعتبر الميجالوثيميا نوعاً من "جنون العظمة". انظر: عبد القادر بو عرفة. الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلة إنسانيات، الجزائر: العدد ١١، ٢٠١٣، http://insaniyat.revues.org/7989

[٢] الإيسوثيميا: كلمة ذات أصل إغريقي، تعني نزع الاعتراف بالتساوي والندية، وهذه النزعة مطلب في خطابات الثورات، وغالباً ما تتخذ قيماً أخلاقية، كالكرامة، والاحترام، والمساواة، والعدالة، ويرى فريدريش نيتشه ١٨٤٤-١٩٠٠، هذه القيم بالجوفاء التي صنعها الضعفاء ليحدوا من قوة الأسياد. انظر: عبد القادر بو عرفة. الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلة إنسانيات الجزائر: العدد ١١، ٢٠١٣، http://insaniyat.revues.org/7989

بنقطتين، الأولى: الرغبة في الاعتراف المتكافئ، والثانية: الرغبة بالتفوق على الآخرين.

الرغبة في الاعتراف المتكافئ "الإيسوثيميا":

ينتقد اليسار فكرة الاعتراف العام في المجتمع الليبرالي، ويطرح مفكرو اليسار بأن الديمقراطية الحقيقية غير محققة وأن الاعتراف العام في ظل وجود البرجوازية لا معنى له. ولا يخشى فوكوياما نقد اليساريين للديمقراطية، "سيقول النقاد اليساريون إن الوعد بتوفير الاعتراف العام والمتبادل في المجتمعات الليبرالية غير محقق، بسبب عدم المساواة الاقتصادية الناجم عن الرأسمالية الذي يعني بضرورة اعتراف غير متكافئ"[1]. ولكنه يخشى من انتقاد اليمين، "النقاد اليمينيون يذهبون إلى أن مشكلة المجتمع الليبرالي لا تكمن في افتقار الاعتراف إلى العمومية، وإنما إلى هدف الاعتراف نفسه، حيث إن البشر بطبيعتهم غير متساوين، ومعاملة البشر على أنهم متساوون لا تؤكد إنسانيتهم بل تنفيها"[2].

إن العوائق الطبيعية أمام المساواة تبدأ بالتوزيع غير المتكافئ للقدرات بين الأفراد، "ليس باستطاعة كل شخص أن يكون عازف بيانو... وليس كل الناس لديهم القدرة على جمع الثروة"[3]. وهذا يمنع من الوصول إلى الاعتراف المتكافئ لدى الأفراد في المجتمع، إلا أن فوكوياما يطرح بأن المجتمع الحقيقي يعمل على استئصال هذه العوائق، مؤكداً الأنموذج الأمريكي الذي يمثل مجتمع نهاية التاريخ، ولابد من

[1] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٥٣.

[2] المرجع السابق، ص: ٢٥٣.

[3] المرجع السابق، ص:٢٥٣.

أمركة[1] العالم كي يصل هذا العالم إلى السعادة البشرية في نهاية التاريخ.

كان من المألوف في الماضي أن ينظر المجتمع إلى المعوقين على أساس أن الطبيعة ظلمتهم، وهم يعيشون مع عاهاتهم لوحدهم، وليس لديهم اعتراف متكافئ بإنسان سوي. ويرى فوكوياما المجتمع الأمريكي المعاصر يعمل على حصول المعوقين بالاعتراف وشعورهم بالكرامة، من خلال تعديلات على الحافلات العامة ليتمكنوا من استخدامها، وتخصيص مداخل لهم في المباني العامة، ولم يكن المقصود بكل هذه النفقات من أجل المعوقين لتخفيف من معاناتهم فقط، وإنما المقصود تجنب الإساءة بكرامتهم، وحماية "الثيموس" عندهم من خلال التغلب على عوائق الطبيعة[2]. إن وصف فوكوياما للمعوقين وحماية حقوقهم الإنسانية داخل المجتمعات الغربية يأتي ضمن حماية "الثيموس" وهذا جيد، إلا أن المجتمعات الغربية تطحن وتمتهن كرامة الإنسان غير المعوق، وقد تصنع له الإعاقة بنفسها من خلال حروبها للشعوب الأخرى، وحتى في داخل تلك المجتمعات لم تنته قضية التميز العنصري سوى من عقود قليلة، وكذلك الفروق الشاسعة بين طبقة المالكين وعامة الشعب.

---

[1] أمركة Americanize: تعبير أطلقه الشاعر والكاتب الفرنسي بودلير Baudelaire، وقد طبق الرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية فرانكلين روزفلت Roosevelt Franklin هذا المصطلح، والذي كان يريد لأمريكا أن تسود العالم. انظر: أمين شلبي. أمريكا والعالم متابعات في السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠-٢٠٠٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥.

[2] المرجع السابق، ص: ٢٥٣.

الرغبة بالتفوق على الآخرين "الميجالوثيميا":

حينما يسعى المجتمع إلى الإيسوثيميا من أجل إلغاء الفوارق كافة، سوف يصطدم مع مرور الوقت بنفسه، فلا يمكن إلغاء الفوارق بين القبيح والجميل والتساوي جسمانياً بين إنسان مبتورة ساقه وآخر سوي. حيث يقول فوكوياما: "الطبيعة هي حليف لنا، فإن حاولنا أن نخرجها قسراً من الباب فستعود إلى الدخول إلينا من النافذة"[١]. تحليل فوكوياما للطبيعة يريد أن يقول لنا بأن السعي وراء الاعتراف المتكافئ يقابله السعي من أجل التفوق على الآخرين، والتوازن في هذه الحالة يمثله الاعتراف العام.

فوكوياما يؤيد وجود أفراد تطلب الميجالوثيميا ويؤيد بذلك فكرة نيتشه١٨٤٤[٢]-١٩٠٠، بأن الميجالوثيميا شرط ضروري للحياة ذاتها. ويرى بأن الحضارة التي لا يوجد بها فرد يرغب بنيل الاعتراف بتفوقه على الآخرين، ولا تؤيد مثل هذه الرغبة؛ لن يكون بها غير القليل من الفنون والآداب والموسيقى والحياة الفكرية، وكذلك سوف ينعكس على السياسة والاقتصاد، وسوف تكون هذه

[١] المرجع السابق، ص: ٢٧٣.

[٢] فريدريش نيتشه Friedrich Nietzsche ١٨٤٤-١٩٠٠: فيلسوف ألماني من أشهر فلاسفة القرن التاسع عشر، حول نيتشه الفكر الحديث من ميتافيزيقا العقل بعد موت هيجل إلى ميتافيزيقا الجسد والإرادة والدوافع، فأثر على تيارات عديدة في فلسفة الحياة "فلسفة الوجود، علم النفس الوجودي، الأنثروبولوجيا الفلسفية، التحليل النفسي" وأراد أن يجعل من علم النفس طريقاً لحل المشكلات الأساسية الكبرى في العالم. وله العديد من المؤلفات وأهمها: "هكذا تكلم زرادشت"، و"حياة المسيح"، و"فيما وراء الخير والشر"، و"أصل نشأة الأخلاق". للاستزادة انظر: صفاء جعفر. محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، الصفحات: ١٥-٢٨.

الحضارة عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد الحضارات التي تعرف قدراً أكبر من الميجالوثيميا[1]. إن فكرة نيتشه عن الميجالوثيميا تأتي من خلال تحليله للصراع من أجل المنزلة الخالصة للعبد الظافر، يرى أن الصراع يقوم بين السادة وقيمهم مقابل العبيد وقيمهم، ورغم كثرتهم إلا أن الصراع يؤدي إلى نصرة القلة "الحكام" السادة وقيمهم أمام الكثرة "المحكومين"، وفي نهاية الصراع يظهر العبد الظافر والذي يطلق عليه الإنسان السامي "سوبرمان"[2].

يؤكد فوكوياما أن الرغبة بالتفوق ضرورية في الديمقراطية الليبرالية، رغم غموضها أخلاقياً فقد ينبع منها الشر أو الخير في آن واحد. "الديمقراطية الليبرالية تحتاج إلى الميجالوثيميا ولن تقوم لها قائمة على أساس من الاعتراف العام والمتكافئ وحده"، إن سلامة واستقرار الديمقراطية يعتمد على نوعية الميجالوثيميا المتوفرة لدى المواطنين في الدولة[3]. يحاول فوكوياما أن يتجاوز الأطروحات السابقة لكي يصالح بين مبدأي الثيموس "الميجالوثيميا والإيسوثيميا"، وأن التاريخ في رأيه لا يعرف غايته ولا نهايته إلا بتصالحهما، إذ يصبح الاعتراف بالتساوي مساوياً للاعتراف بالتفوق، عندما يسود العالم نظام أمثل، يتجلى في النظام الديمقراطي الليبرالي؛ كنظام سياسي في الحكم[4]. يناقش فوكوياما مسألة نزع الاعتراف المتكافئ، ونزع الاعتراف بالتفوق، ويسقط هذه النزعات على الحياة العامة في الديمقراطية الليبرالية، ولم يعطِ

---

[1] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٧٤.

[2] علي الجابري. نيتشه بين فلسفة التاريخ والأخلاق، جريدة إكسير السياسية والثقافية، الرباط: ٢٠١٣. http: / /ixiir.com /homepage / ixiir.com /articles

[3] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٧٥.

[4] عبد القادر بوعرفة، مرجع سابق.

اهتماماً للاعتراف المتكافئ، بل أولى اهتمامه بالاعتراف بالتفوق، وجعل منه مبدأ ضرورياً في النظام الديمقراطي الليبرالي الذي ينظر له. ويضرب لنا فوكوياما أمثلة عن نوعية التفوق المطلوبة من الأفراد الطامحين لها، حيث يمكن رؤية صور التفوق في كل النشاطات العامة دون النظر للمجال الاقتصادي أو السياسي، «الرياضة، وتسلق الجبال، وسباق السيارات، وما شابه، فالتنافس الرياضي لا معنى له ولا هدف إن لم يفوز البعض ويخسر البعض"[١].

من خلال عودته للنموذج الأمريكي، وكيفية تعامله مع الميجالوثيميا، يؤكد دور الاعتراف بالتفوق للسياسيين، وأن هذا الاعتراف محكوم بقوانين تنظيمية وقيود على سلطة السياسيين بموجب الدستور. "الحضارة التي ليس بها فرد يريد نيل الاعتراف بتفوقه على الآخرين، والتي لا تؤكد بصورة أو بأخرى صحة مثل هذه الرغبة وفضلها، لن يكون بها غير القليل من الفنون والآداب والموسيقى والحياة الفكرية، وسوف يكون حكامها خالين من الكفاءة... ولن تكون قادرة عن الدفاع عن نفسها ضد الحضارات التي تعرف قدراً أكبر من الميجالوثيميا"[٢]. إن تأكيد على تفوق النظام الديمقراطي الليبرالي بوصفه أفضل النظم السياسية الذي يمثل نهاية التاريخ؛ متمثل في النموذج الأمريكي، وينظر فوكوياما إلى أن تكون أمريكا متفوقة اقتصادياً وسياسياً، بوصفها إمبراطورية عالمية في النظام العالمي الجديد.

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٧٧.

[٢] المرجع السابق، ص: ٢٧٤.

المبحث الثالث:

فلسفة نهاية التاريخ عند فوكوياما

تنبأ فوكوياما بنهاية التاريخ وسقوط الأيديولوجيات السياسية، وعدم حاجة الإنسان لصياغة أفكار سياسية جديدة لحياته في ظل وجود الديمقراطية الليبرالية، وقد حدد فوكوياما طبيعة الإنسان وأسلوب حياته في نهاية التاريخ، وهي اجتياز الدول الليبرالية للتاريخ ووصولها لما بعد التاريخ، واضعاً تصوراً لهذه الحياة التي يعيشها الإنسان، بعد عرض فرضياته، وأعلن أن المجتمع الليبرالي استطاع حل التناقضات كافة بين الطبقات، وحصول الفرد على الاعتراف وتقدير الذات في المجتمع، من خلال نظام الحكم الديمقراطي ومؤسساته السياسية، وقد حدد فوكوياما معالم حياة الإنسان في نهاية التاريخ، من خلال حياته في الدولة العامة والمتجانسة وكذلك العلاقات بين الدول، وحرية الإنسان التي وصل إليها في دولة نهاية التاريخ.

العقل وفلسفة التاريخ:

هناك اختلافات فكرية بين أفلاطون وهيجل وماركس من جانب، وفوكوياما من جانب آخر، ولا نستطيع في سطور مناقشة الاختلافات الفكرية كافة لديهم بشكل عام، وإنما نبحث في عقل الإنسان الأخير، من خلال أطروحة فوكوياما وكيف فلسف العقل والوعي في نهاية التاريخ.

إن أفلاطون كان يعني بالوظيفة الثالثة للثيموس "الغضب" بجانب "الميجالوثيميا والإيسوثيميا"، والغضب كان له دور عند أفلاطون، ليتمكن من

الفضيلة والأخلاق ويساعد العقل على مواجهة صعوبة الحياة. يقول أفلاطون: "ألا يوجد في النفس قسم ثالث هو الغضب يساعد بالطبع العقل عندما لم يكن قد فسد بتربية غير صالحة"[1]. أي أن يغضب الإنسان لنفسه ولوعيه كي يكون إنساناً صالحاً ذا عقل واعٍ. كرس هيجل فلسفته التاريخية على فكرتي "المعقولية والغائية" في كتابه "العقل في التاريخ" فغائية التاريخ هي دراسته من خلال الفكر. فالعقل هو الذي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، والعقل هو الذي يسيطر على العالم، وأن تاريخ العالم يتمثل أمامنا بوصفه مساراً عقلياً[2].

إن فكر هيجل ليس مبسطاً ينظر إلى الأشياء متفرقة وفي تتابع يخل بعلاقاتها ووحدتها، فهو على حد تعبير ألكسندر هرتزن[3] Alexander Herzen ١٨١٢-١٨٧٠، "كان آخر النجوم اللامعة بين المفكرين"، إن ذهن هيجل يستطيع أن يلتقط الأشياء في ترابطها وتعانقها وتشابكها وتعقدها، ويستطيع في الوقت نفسه أن يحافظ في عرضه على الترابطية والمعانقة والتشابكية والتعقيد، كان يفكر دائماً ولديه حس بالأضداد شأنه شأن هيرقليطس[4]Heraclitus. وقد انطلق هيجل في فلسفته من

---

[١] سهيل عروسي. مرجع سابق، ص: ١٠٧.

[٢] فريد سليمان. مرجع سابق، ص: ١١.

[٣] ألكسندر هرتزن Alexander Herzen: ديمقراطي ثوري روسي ومفكر مادي، مؤسس الحركة الشعبية "نارودنيك" في روسيا، قام ببحث مهم في التفسير لجدل هيجل، سمي فيما بعد "جبر الثورة"، وقد اعترف لينين أن هرتزن "وصل دفعة واحدة إلى المادية الجدلية". انظر:
فاروق القاضي. آفاق التمرد: قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي الإسلامي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، ص: ٢٢٢.

[٤] هيرقليطس Heraclitus ٥٣٥-٤٧٥ ق.م: فيلسوف يوناني، قبل سقراط، كان من الأسرة الحاكمة "الارستقراطية". انظر: مجاهد مجاهد. معارك نقدية هيجل قلعة الحرية، القاهرة: سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص: ١٥.

الواقع الألماني، أما فوكوياما فقدم تحليلات جزئية محاولاً ربط هذه التحليلات ليكون نظرية فكرية جوهرها نهاية الفكر السياسي، وقد انطلق في تحليلاته وفقاً لمعتقدات الآخر "الاشتراكية" ولم ينطلق من قضايا مجتمعه وتصوراته لمجتمع عالمي.

لقد تبنى هيجل "الثيموس"، ولكن ليس معزولاً عن بقية قوى النفس وخاصة منها الوعي، ولم يرَ فوكوياما في العملية الجدلية عند هيجل سوى صورتها البسيطة التي استعارها هيجل من أفلاطون، كما أن هيجل استخدم العقل بجانب الثيموس[١]. ويرى عبد الحميد الصالح أن" فكرة نهاية التاريخ، تناقض الأفكار التي سبق أن طرحها هيجل، حين ربط بين التاريخ والعقل؛ فالعقل لا يجد مجاله إلا في التاريخ، وخروج العقل من التاريخ يعني موت العقل، كما أن نهاية التاريخ هي الأخرى تمثل نهاية العقل وموته ذلك أن العقل يسعى دائماً إلى الكمال... التاريخ يقود للفكرة المطلقة من خلال الصراع الجدلي بين الأفكار والمتناقضات"[٢].

تمحورت فلسفة التاريخ عند كل من هيجل وماركس في الصراع التاريخي من أجل نيل الاعتراف بالإنسان ونيل حقوقه الاجتماعية والسياسية، فكان هناك اختلاف في التفسير والتقاء في الغاية. حيث يرى هيجل أن المجتمع يقوم على صراع الأفكار بين الطبقات الاجتماعية المتناقضة، والتي ينتج عنها حالة جدلية تنهار فيها الطبقة الأضعف وتنتصر الأقوى، مكونة حالة جدلية أخرى يكون فيها تناقضاتها الفكرية والتي تنتقل هي الأخرى لحالة جديدة "الديالكتيك الهيجلي"، بمعنى آخر:

---

[١] سهيل عروسي. مرجع سابق، ص: ١٠٧.

[٢] عبد الحميد الصالح. مرجع سابق، ص: ٧٧.

الصراع الفكري في المجتمع يؤدي إلى حل التناقض القديم وقيام طبقات اجتماعية جديدة فيها تناقضاتها، وينتهي التاريخ عند هيجل بحل التناقضات كافة. وقد أوضح هيجل فلسفته للتاريخ حينما تحدث عن تاريخ الحضارات، فقد نظر بدءاً بالحضارات الأولى حينما كان المجتمع مكوناً من ملك وعبيد "الملك الإله والناس عبيد"، ثم انتقل المجتمع إلى "الملك مفوض بالسلطة وسادة وعبيد"، إلى أن وصل المجتمع إلى "ملك وإقطاع وعامة الناس" وهكذا. وكانت عناية هيجل بالتاريخ محور فلسفته السياسية والاجتماعية فدرس تاريخ الحضارة الغربية وتاريخ الأديان وتاريخ الفلسفة وتاريخ القانون، والذي أكدته فلسفة هيجل هو المنهج التاريخي حين أصبح التاريخ على يديه منهجاً لدراسة كل هذه النظم الفكرية. فقد افترض هيجل أن تاريخ الإنسانية قد تطور من الصور الناقصة للحرية إلى الصور الأكثر اكتمالاً وتقدماً "صراع الأفكار"[1]. وفلسفة التاريخ عند هيجل لا تفهم إلا على أساس هذا التطور الديناميكي للحرية، ففي العالم الشرقي القديم لم تتحقق حرية واعية لدى الأفراد، وفي العالم اليوناني والروماني تحققت صورة أكمل من الحرية لدى عدد أكبر من الأفراد، ولكن في العالم الجرماني تحققت أكمل صور الحرية[2].

أما فلسفة التاريخ عند كارل ماركس فقد ارتكزت على "المادية الجدلية"، حيث يرى ماركس أن المجتمع يقوم على الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية. إن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنساني، وهذه القوانين حتمية، أي أنها

---

[١] أميرة مطر. الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ط٥، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥، ص: ٨٤-٨٨.

[٢] المرجع السابق، ص: ٨٨.

تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه، وهذه القوانين ليست مثل قوانين العلوم البحتة وإنما هي حقائق متعلقة بطبيعة العمل والإنتاج وطريقة توزيع الثروة بين المواطنين، فإن الثروة تنتج عن العمل، والعمل يقوم به من يعملون بأيديهم فلابد أن تعود ثمرته حتماً إلى أولئك العاملين أنفسهم، فإذا استولت عليه البرجوازية اختل توازن المجتمع[١]. الاقتصاد عند ماركس هو الذي يحدد طبيعة المجتمع ونظامه السياسي وطبيعة عقيدته الدينية والفنية والفكرية، فقد أرجع كل الأسباب والعلل في المجتمع إلى العامل الاقتصادي.

إن فلسفة ماركس للتاريخ تتبع نظرية الصراع، الذي رفض نموذج التوازن في المجتمع باعتباره أساساً لفهم المجتمع المعاصر[٢]. وكذلك رفض هيجل التوازن في المجتمع واعتبر نهاية التناقض هي نهاية التاريخ. أما فوكوياما الذي أنهى التاريخ بحصول الفرد على الاعتراف الكامل بإنسانيته، ومن ثم رضا الطبقات الاجتماعية كافة بمكانتها وحصولها على حقوقها الاجتماعية والسياسية، وأن الفكر الإنساني لن ينتج أي أفكار أفضل من الليبرالية الديمقراطية، وكذلك أقر فوكوياما بوجود حالة من التوازن في المجتمع بين الاعتراف المتكافئ والاعتراف بالتفوق، وبذلك وصل التاريخ إلى نهايته بحل التناقضات كافة في المجتمع وأعلن عن نهايته. وبهذا تكون فلسفة التاريخ عند فوكوياما مختلفة في جوهرها عن تفسير وفلسفة هيجل وماركس للتاريخ.

---

[١] بدري فهد. مرجع سابق، ص: ٣٨.

[٢] حمد الفرا. محاضرات في الحركات والأحزاب السياسية لطلبة العلوم السياسية، غزة: جامعة الأزهر بغزة، ٢٠٠٤، ص: ٢٩.

بينما يفسر عبد القادر بوعرفة الفرق بين فلسفة التاريخ عند أفلاطون وهيجل وماركس من جانب، وفلسفة التاريخ عند فوكوياما من جانب آخر قائلاً: "إن فكرة النهاية عند فوكوياما مبنية على الفكر الأسطوري وليست على الفكر العقلاني، فهي فكرة تغييب العقل والوعي، وهي تسعى لجعل غاية التاريخ مرتبطة بتحقيق شهوة عقيمة تمليها الميجالوثيميا "الاعتراف بالتفوق"، إن محاولة تهيئة العالم لقبول فكرة انتصار الغرب، لا تخرج عن محاولة للإنسان الغربي من أجل انتزاع التفوق الوهمي من الآخر[١]. أما مطاع الصفدي فيرى أن فوكوياما استخدم الفلسفات السابقة متماشياً مع أطروحته تاركاً سواها، "براهين فوكوياما المتعلقة بالثيموس، تحتوي على تناقضات صارخة، في الوقت الذي يؤكد فيه على الثيموس عند الإنسان، يصرف النظر عن القبول والرفض لهذا الثيموس المتمثل بالعقل، ويعتبر الثيموس وحده هو محرك التاريخ وليس العقل، ويؤكد فوكوياما بأن مبدأ الصراع الفردي والجماعي يتمثل في الاعتراف وتأكيد الذات، لكنه في نفس الوقت يكون سبباً للصراع والاقتتال"[٢]. لم يكن العقل والوعي المطلق بالتاريخ هو محور أطروحة فوكوياما، بل الثيموس ومبادئه، التي نظر لها، وكانت متمثلة في الولايات المتحدة، بوصفها دولة فوقية معترفاً بتفوقها.

---

[١] عبد القادر بو عرفة. مرجع سابق.

[٢] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، تقديم مطاع الصفدي، ص: ٢٥٢.

الحرية والمساواة في نهاية التاريخ:

إن التاريخ في مساره وتحولاته يحمل التقدم المستمر، وقد تساءل فوكوياما "هل يمكن كتابة تاريخ عالمي؟"، وأجاب بنعم، وذلك لأن التاريخ غائي وتحولاته أخذت البشرية إلى التقدم، وهذا التقدم يأخذ بشكل أو بآخر نحو الديمقراطية. وذلك بفضل مبادئ وخصائص الديمقراطية الليبرالية التي تقوم عليها كالحرية والمساواة.

وكتب فوكوياما التاريخ العالمي من خلال مسارين تاريخيين متوازيين، الأول: تطور العلوم الطبيعية الحديثة "الرغبة"، والثاني: الصراع من أجل نيل الاعتراف "الثيموس". ويؤكد نهاية التاريخ قائلاً: "لقد كانت نهاية المسارين واحدة لحسن الحظ، ألا وهي الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية"[١]. المساواة السياسية في المجتمعات الغربية تضمنها وتكفلها الدساتير، وكذلك من خلال الممارسة العملية للديمقراطية، أما المساواة الاقتصادية فهي من القضايا الشائكة في تلك المجتمعات بسبب توحش رؤوس الأموال والشركات متعددة الجنسيات.

ويحاول فوكوياما تهميش معضلة المساواة الاقتصادية قائلاً: "دينامية الاقتصاديات الرأسمالية تميل إلى الإطاحة بالكثير من العوائق التقليدية والثقافية في سبيل المساواة بفضل التغير الدائب في طلبها للأيدي العاملة"[٢]. ولو كان ما يطرحه فوكوياما صحيحاً، لماذا توجد نسب بطالة عالية في الدول الليبرالية في الوقت الراهن؟، ولو كانت المساواة الاقتصادية متساوية في المجتمعات الليبرالية لما كانت

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٥٢.

[٢] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٥٤.

نسب بطالة عالية ومختلفة في تلك المجتمعات، وخاصة في ظل الأزمة المالية العالمية.

وعلى ضوء تحليلاته للمساواة الاجتماعية، يقر فوكوياما بأن المجتمعات الليبرالية، تحمل في آثارها الاجتماعية مساواة عالية لكل أفرادها من خلال الأنشطة الاجتماعية المختلفة، فهي تقدر المواهب لا الامتيازات، والمجتمعات الديمقراطية تنظم النشاط التجاري والصناعي، لتعيد توزيع الدخل بين الغني والفقير. ويؤكد فوكوياما النموذج الأمريكي لما يقدمه للشعب من الضمان الاجتماعي والصحي. وإن محصلة المساواة الاجتماعية صنعت ما يسمى بمجتمعات الطبقة المتوسطة. "لم يعد هناك اليوم غير القليلين من نقاد المجتمعات الليبرالية المستعدين للمطالبة بالتخلي الكامل عن المبادئ الليبرالية، سواء في حقل السياسة أو الحقل الاقتصادي... من أجل التغلب على عدم المساواة القائم في مجال الاقتصاد"[١].

ويعطي فوكوياما دليلاً آخر للمساواة في المجتمعات الليبرالية قائلاً: حب المساواة في الدول الديمقراطية عاطفة أعمق وأثبت من حب الحرية، إذ يمكن نيل الحرية دون ديمقراطية، أما المساواة فهي الخاصة المميزة للعصور الديمقراطية[٢]. لا ينتقص فوكوياما من حرية الفرد، إلا أنه يدلل هنا على قبول المجتمع للمساواة رغم عدمها في الجانب الاقتصادي، وإن الطبقات في المجتمع الليبرالي راغبة بمبادئ الديمقراطية بصورها وأشكالها كافة.

[١] المرجع السابق، ص: ٢٥٧.

[٢] المرجع السابق، ص: ٢٥٧.

الدولة والعلاقات الدولية في نهاية التاريخ:

يطرح فوكوياما في نهاية أطروحته شكل الدولة ونظام الحكم الذي توصل إليه عبر تطور التاريخ الغائي، ومن ثم يطرح شكل العلاقات الدولية بين الدول في نهاية التاريخ، ويضع تصوراً لتلك العلاقة بين الدول بعد تحديد العلاقة بين الأفراد في الدولة وحصولهم على الاعتراف المتبادل.

الدولة في نهاية التاريخ:

يصف هيجل الدولة العامة المتجانسة فيقول: "الدولة هي المعقول في ذاته ولذاته، من حيث أنها الحقيقة الواقعية للإرادة الجوهرية، تلك الحقيقة التي هي تملكها في الوعي الذاتي الخاص مرفوعة إلى كليتها. وهذه الوحدة الجوهرية هدف في حد ذاته، مطلق، ثابت، فيه تصل الحرية إلى حقها الأسمى، كما أن هذا الهدف يملك الحق الأسمى تجاه الأفراد الذين من واجبهم الأسمى هو أن يكونوا أعضاء في الدولة"[1]. يؤكد هيجل على أن الدولة مهمتها الحفاظ على الأفراد، وتأمين حماية الملكية الخاصة والحرية الشخصية، لذلك فإن مصلحة الفرد أن يكون عضواً في الدولة.

الدولة العامة عند هيجل هي الدولة المتجانسة التي تحقق التسوية التامة للتناقض القائم في العلاقة بين السيد والعبد، وهذه الدولة تجعل العبد السابق سيد نفسه، ولن يعود السيد معترفاً به من كائنات أقل منه درجة، وسوف يكون كل فرد

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص: ١٦٥.

حراً[١]. فوكوياما يستند إلى فلسفة هيجل ليؤكد على الدولة في نهاية التاريخ ويختلف مع ماركس ونيتشه حول تصورهم لنهاية التاريخ، ففي فلسفة النهاية عند ماركس وهيجل سوف يكون هناك اعتراف عام لدى الأفراد، إلا أن ماركس يرى أن هذا الاعتراف العام لا يمكن أن يتحقق في ظل وجود الطبقات الاجتماعية.

ماركس يتفق مع هيجل في إمكانية انتهاء التاريخ مع اختلافهما في نوع المجتمع الذي يؤول إليه التاريخ، فالدولة بالنسبة لماركس فشلت في حل الصراع الطبقي بين البرجوازية والبروليتارية، مؤكداً أن الدولة الليبرالية لا تمثل شمول الحرية بل انتصارها لطبقة البرجوازية، إن الدولة التي نظر لها ماركس هي الدولة غير السياسية[٢]. وينتقد فوكوياما فلسفة نيتشه ويعتبرها عدواً صريحاً للديمقراطية، وللاعتراف العام الذي تقوم عليها، ونظر نيتشه إلى أخلاق جديدة تنصر الأقوياء على الضعفاء، وتزيد اللامساواة الاجتماعية، ويرى نيتشه أن نوعية الاعتراف أهم من عموميته، وجوهر خاتم البشر عند نيتشه هو العبد الظافر[٣]. فلسفة نيتشه تبحث في التاريخ من خلال الأخلاق، فالتاريخ كله عند هذا الفيلسوف يسير مدفوعاً بإرادة الظفر خلال قوة لا تعرف الرحمة، سعى نيتشه من وراء ذلك إلى ممارسة عملية الهدم ليتسنى له البناء، فجاء ملخص رأيه في العبارة التالية: "قيمة الأشياء ليست في ذاتها، وإنما الإنسان هو الذي يصنع القيم للأشياء، فخالق القيم إذن هو الإنسان"[٤].

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٦٢.

[٢] نهاوند العلوي. مرجع سابق، ص: ٧٣.

[٣] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٦٣-٢٦٦.

[٤] علي الجابري. مرجع سابق.

إن فلسفة هيجل تحققت عبر سياستين كبيرتين ومتعارضتين تمام التعارض في القرن العشرين: سياسة الدولة الشمولية، وسياسة الدولة الديمقراطية الغربية السياسة الهيجلية أصبحت واقعاً تاريخياً من خلال الستالينية، فالستالينية بوصفها منظومة عملية أثبتت حقيقة فلسفة هيجل ولم تثبت نظرية ماركس حول دور الدولة، فهيجل مسؤول عن قيام الدولة الشمولية الستالينية في القرن العشرين[١]. واليوم يسعى فوكوياما لتحقيق فلسفة هيجل سياسياً في أطروحته، مستنداً على فلسفته المتماشية مع نهاية التاريخ التي يرغب فيها فوكوياما، وليس كما يطرح هيجل، وكذلك لم يعود إلى هيجل مباشرة، لقد استند إلى "هيجل - كوجيف" لإعطاء الأطروحة طابعاً فلسفياً.

ينظر فوكوياما إلى الدولة بأنها: "الدولة العامة والمتجانسة التي ستظهر في نهاية التاريخ باعتبارها قائمة على أساسين: الاقتصاد والاعتراف"[٢]، والتي تستند إلى النظام السياسي الليبرالي، والتي صمدت عبر تاريخها على غيرها من النظريات السياسية. بينما يرى مطاع الصفدي أن فكرة كمال التاريخ وعلى النطاق العالمي عبر الحكومة الشمولية المنسجمة، تقبلها في منطق هيجل وتطور التاريخ عبر حل التناقضات كافة، لكنها تظل الشعار الذي يستخدمه فوكوياما، لجعل التاريخ ينتهي عند أمريكا، وهنا يظهر "الفخ الأيديولوجي"[٣]. هذا بالإضافة إلى أن الانتصار الذي

---

[١] وائل غالي. نهاية الفلسفة دراسة في فكر هيجل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص: ٢٥٦.

[٢] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١٨٤.

[٣] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، تقديم مطاع صفدي، ص: ١٠.

يتحدث عنه فوكوياما قائم على صمود الأيديولوجيا الرأسمالية أمام الاشتراكية،وفي حال قامت الاشتراكية من جديد أو أيديولوجيا أخرى. هل سوف يبقى هذا الانتصار والنهاية؟، إن نجاح الرأسمالية لابد أن يكون من الداخل، والتجانس في الدولة بين الطبقات بالاعتراف العام والرضى العام.

العلاقات الدولية في نهاية التاريخ:

تؤكد فلسفة فوكوياما أن التاريخ غائي وتطوره النهائي أوصلنا إلى الدولة الديمقراطية ومؤسساتها السياسية والاجتماعية، وهذه الدولة المتجانسة التي يحصل كل أفرادها على الاعتراف العام والمتبادل، سوف تنعكس نتائجها على العلاقات بين الدول في النظام العالمي، "فلو كان تحقيق الدولة العامة والمتجانسة يعني ترسيخ الاعتراف العقلاني على مستوى الأفراد في مجتمع معين... فإن انتشار هذا النوع من الدولة في النظام العالمي للدول سيعني انتهاء علاقات السيد بالعبد بين الدول أيضاً، أي نهاية الإمبريالية، وسيقلل احتمال نشوب الحروب بسبب الامبريالية"[1].

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢١٧.

وينتقد فوكوياما النظرية الواقعية[1]، والتي تعتبر الإطار الغالب لفهم العلاقات الدولية المعاصرة، ويرفض النظرية، لأن العالم يتمتع بازدواجية من وجهة نظره فيقول: "تتمثل الازدواجية في انتصار الدولة العامة مع استمرار اختلاف الشعوب، فمن ناحية نلمس تجانس البشرية الناجم عن الاقتصاديات الحديثة والتكنولوجيا، وانتشار فكرة الاعتراف العقلاني باعتبارها الأساس الوحيد للحكم في العالم، غير أننا نلمس من ناحية أخرى مقاومة في كل مكان لهذا التجانس، والتأكيد على الهويات الثقافية المختلفة مما يعزز الحواجز المختلفة بين الأمم والشعوب"[2]. الليبرالية تسعى لتعميم مبادئها وقيمها على العالم، ويأتي فوكوياما ويؤكد ذلك من خلال أطروحته لنموذج الدولة الأمريكية وتعميمه في دول العالم، وحينها تعمم هذه

---

[1] الواقعية Realism: هي مقاربة الواقع كما هو عليه، بموضوعية دون تدخل الذات، من حيث أن جهاز إدراك الواقع ورؤيته متحقق في نفس الذات، فإن الذات هي التي ترى الواقع في النهاية. ومن حيث الممارسة العملية أي التدخل في حيثيات الواقع وتغييره، فإن الواقعية تعني الانطلاق في اتخاذ القرار السياسي، الذي يوصف بالمتغير والأقل تطرفاً، أي يتجنب الاصطدام بالواقع، والاحتيال على هذا الواقع والانسجام مع الظروف الراهنة بما لا ينعكس سلباً على الذات. انظر: هادي قبيسي. مرجع سابق، ص: ٧١.

وتشدد المدرسة الواقعية على أن الدول القومية هي الفاعل الرئيس في السياسة الدولية، في ظل وجودها في نظام دولي فوضوي تنافسي، تحكمه الصراعات والتنافس بين وحداته، ولا توجد سلطة عليا تمارس ضغوطاً على الحكومات الوطنية وإرغامها على تبني سياسات بعينها، ولا تهم الدول سوى تحقيق وضمان أمنها من خلال حيازتها على القوة المادية. انظر: أحمد أبو زيد. نظرية العلاقات الدولية: عرض تحليلي، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٦، ٢٠١٢، ص: ٤٧.

[2] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢١٦.

الدولة سوف تصبح دول العالم كافة دولاً عقلانية متجانسة، فهو يدعو لنشر قيم ومبادئ الديمقراطية الليبرالية في العالم.

ويفرق أحمد أبو زيد بين المدرسة "الواقعية" و"المدرسة الليبرالية"، من خلال دراسة وتفسير الدولة وتأثيرها في العلاقات الدولية. المدرسة الواقعية ترى: "الدول تتحرك في الأساس من أجل توفير الأمن، الذي يعرف لديهم في إطار القوة المادية والمصالح والمكانة الدولية، وأساس اهتمامها هو الأمن والاستقرار الداخلي"، بينما المدرسة الليبرالية ترى: "أن الدول يحركها إيمانها بالعمل لضمان الحرية والقيم الإنسانية، وتهتم في الأساس بتصدير نموذجها السياسي، وقيمها ومبادئها "الأيديولوجيا" إلى المحيط الخارجي"[١].

ويرد الفيلسوف جاك ديريدا ١٩٣٠-[٢]٢٠٠٤ على طرح فوكوياما من خلال الواقع الفعلي للسياسة في أوروبا مع بداية القرن الحادي والعشرين، بعدم الوصول للدولة العامة والمتجانسة قائلاً: "كل الشهادات التي تظهر بكثافة أنه لا الولايات المتحدة ولا المجموعة الأوروبية لم يصلوا إلى كمال الدولة العالمية أو إلى الديمقراطية الليبرالية، وأنهم لم يقتربوا منها ولو من بعيد، إذا جاز لنا قول ذلك. وكيف نتجاهل الحرب الاقتصادية التي تحرق الأخضر واليابس بين هاتين الكتلتين في داخل المجموعة الأوروبية؟ وكيف نقلل من شأن صراعات الأقمار الصناعية،

---

[١] أحمد أبو زيد. مرجع سابق، ص: ٦٠-٦١.

[٢] جاك ديريدا Jacques Derrida (١٩٣٠-٢٠٠٤): فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر، وصاحب نظرية التفكيك، وكان من أشد المعارضين لأطروحة فوكوياما، ورد على أطروحة فوكوياما في كتاب بعنوان "أطياف ماركس"..

وكذلك الحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة واليابان"[1].

هناك دراسات عدة ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة بشكل لافت للنظر، وهذه الدراسات تحدثت عن الشكل الذي سوف يقوم عليه النظام الدولي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، وانتصار الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما جعلها المهيمن على النظام الدولي، ومنها أطروحات فوكوياما وهانتنغتون. ويرى خليل حسن أن هذه الدراسات منقسمة إلى قسمين، الأول: يرى بأن الولايات المتحدة لابد أن تقوم بدور "الإمبراطورية الطيبة"Benevolent Empire، بعد تقلدها لمنصب القطب الواحد على الساحة الدولية، أما القسم الثاني: فيرى أن الولايات المتحدة جزء لا يتجزأ من نظام عالمي يقوم على الاعتماد المتبادل وبخاصة في المجال الاقتصادي، باعتبار أن عناصر القوة التي تتميز بها الولايات المتحدة الامريكية ليست دائمة[2]. فوكوياما في أطروحته جعل من الإمبراطورية الأمريكية النموذج العالمي الذي لابد لدول العالم أن تطبقه، أي أن تأخذ النظام الديمقراطي الليبرالي بكل مبادئه. بينما يرى ريتشارد هاسRichard N. Haass[3] أنه لابد من بلورة نظام دولي يتصف

[1] جاك ديريدا. أطياف ماركس، ت منذر عياشي، ط٢، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٦، ص: ١٢٥.

[2] خليل حسين. العلاقات الدولية النظرية والواقع- الأشخاص والقضايا، بيروت: دار الحلبي الحقوقية، ٢٠١١، ص: ٦٥٣.

[3] ريتشارد هاس Richard N. Haass: هو رئيس مجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية، وشغل هذا المنصب في ٢٠٠٣، وعمل مستشاراً أول لوزير الخارجية "كولن باول"، وقد عمل في مناصب حكومية عدة، من أبرزها أنه كان مساعداً خاصاً للرئيس جورج بوش في الفترة ما بين ١٩٨٩-١٩٩٣، وله عدة مؤلفات من أهمها "حرب الضرورة، وحرب الاختيار: مذكرات حربين عراقيتين". انظر: موقع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

بالتعددية، والتي بالرغم من أنها تحد من نفوذ الولايات المتحدة، إلا أنها سوف تؤدي إلى تحقيق مصالح الولايات المتحدة بشكل أفضل[١].

فوكوياما وتقسيمات العالم

قسم فوكوياما العالم إلى قسمين، الأول: عالم ما بعد التاريخ، وهي الدول التي تعتمد النظام السياسي الديمقراطي الليبرالي، أما الثاني: دول التاريخ، وهي الدول التي لم تتجاوز نهاية التاريخ، والتي لا تطبق النظام السياسي الديمقراطي الليبرالي. ويرى فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية هي قمة الصعود إلى نهاية التاريخ، فهي خالية من التناقضات التي أدت إلى فشل النظم الأخرى، ولذلك هي غير مؤهلة للسقوط كسابقاتها من الأيديولوجيات[٢]."لا تزال سياسة القوة هي السائدة بين الدول التي لا تأخذ بالديمقراطية الليبرالية، وسيؤدي التأخر النسبي في وصول التصنيع والقومية في دول العالم الثالث، إلى اختلاف حاد بين سلوك الكثير من دول العالم الثالث من جهة، وبين سلوك الديمقراطيات الصناعية من جهة أخرى. وسينقسم العالم في المستقبل المرئي إلى شطر قد تخطى التاريخ، وشطر لا يزال غارقاً في التاريخ"[٣]. فوكوياما يريد أن يؤكد أن الصراعات والحروب سوف تكون مقترنة بالعالم الثالث، لأن هذا العالم ما زال يتخبط في التاريخ، وسوف يكون التنافس اقتصادياً بين الدول الأوروبية التي تخطت التاريخ، ولكن منطق السلم هو الذي

---

[١] خليل حسين. مرجع سابق، ص: ٦٣٥.

[٢] نهاوند العلوي، مرجع سابق، ص: ٨٠.

[٣] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ٢٤٢.

سيطبع العلاقات بين الدول الديمقراطية الليبرالية[١].

يحاول فوكوياما فلسفة انهيار الكتلة الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة تاريخياً، وإعلان انتصار الديمقراطية الليبرالية بأنها نهاية التاريخ، وأن سيادة الغرب الديمقراطي الليبرالي باتت نهائية ولا مجال لتغييرات جذرية عميقة في التاريخ القادم للإنسان، ولن تعدو التغيرات القائمة أن تكون إلا تفاصيل أو فرصة للشعوب الأخرى للاستجابة والتمثل للنموذج النهائي[٢]. وكان ذلك بمنزلة التأسيس الأيديولوجي للنظام العالمي الجديد، كما نظر له فوكوياما في نهاية التاريخ.

يؤكد فوكوياما الفصل بين العالمين، "هذا الخط الفاصل ما بين العالم التاريخي والعالم ما بعد التاريخي، يتغير بسرعة فإنه من الصعب تحديده، فالاتحاد السوفيتي يتنقل من معسكر إلى معسكر آخر، وسيؤدي تقسيمه إلى دول تنجح في الانتقال إلى الديمقراطية الليبرالية، ويفشل بعضها الآخر"[٣]. فوكوياما وبجزمه التقسيمي، يعبر عن نزعة تحقيرية للآخر، إن هذه الحتمية التي فرضها لدول التاريخ وما بعد التاريخ، تؤكد قيادة الشمال وطليعته وتقدمه، وتترسخ في المقابل تبعية الجنوب، وتجبره على المرور بمراحل الغرب التاريخية، فهي مضطرة إلى ذلك كي تصل لذروة التقدم التي

---

[١] إبراهيم محمود. فلسفة نهاية التاريخ الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٤، ١٩٩٢، ص: ١٣٥.

[٢] محمد عطوان. أوليات الفكر السياسي الغربي المعاصر، مجلة دراسات تاريخية، البصرة: جامعة البصرة، الإصدار ٢، ٢٠٠٩، ص: ٣٢.

[٣] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ٢٤٢.

وصلها الغرب، ما دام العالم سيغدو عالمين[١]. ويؤكد فوكوياما أن العالمين قائمان جنباً إلى جنب، ولكنهما منفصلان. وقد يكون بينهما تفاعل ولكن هذا التفاعل في حدود ضيقة، وأهم هذه المحاور التي قد يشترك بها العالمان، هو النفط، لأنه لا يزال مركزاً في العالم التاريخي، أما القضية الثانية التي يشترك بها العالمان الهجرة السكانية[٢]. النفط يعتبر نقطة أساسية في الاقتصاد الليبرالي الذي نظر له فوكوياما، فالاقتصاد سوف يكون محور التنافس لا السياسة في العالم ما بعد التاريخي، فهو يؤكد على اقتصاد السوق والعولمة[٣].

وأخيراً يعطي فوكوياما صورة للنظام العالمي الجديد وللبشرية أثناء تطورها التاريخي، "لن تكون البشرية عندئذ ألف زهرة تتفتح في صور وأشكال متباينة"، بمعنى آخر لن يكون هناك أنظمة حكم مختلفة بل نظام واحد، وتتمثل رؤيته لنهاية التاريخ في العبارة التالية: "البشرية ستكون بمثابة قافلة طويلة من عربات متشابهة. قد يتجه بعض العربات صوب المدينة في حركة حادة ومفاجئة، وقد يعود بعضها إلى الصحراء، وقد تتعطل عجلات بعضها أثناء صعودها الجبال.... وقد تتعب عربة أو

[١] سهيل عروسي. مرجع سابق، ص: ١٢٠.

[٢] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ٢٤٣.

[٣] العولمة Globalization: مصطلح يعني تسارع وتكثيف آليات وعمليات ونشاطات تعمل على تعزيز التبعية العالمية المتبادلة، وهو مفهوم ثوري يتضمن إزالة الإقليمية عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وتتضمن العولمة إدراكاً متزايداً لكون العالم مكاناً واحداً. وينعكس هذا الأمر في جمل مثل "القرية العالمية" و"الاقتصاد العالمي". انظر: مارتن غريفيش وتيري أوكالاهان. المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ت مركز الخليج للأبحاث، دبي: مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٢، ص: ٢١٦.

عربتان من الرحلة فيقرر ركابها الإقامة الدائمة في معسكرات على الطريق. وقد يجد آخرون طرقاً بديلة إلى الطريق الرئيس، رغم أنهم سيكتشفون أنهم من أجل اجتياز السلسلة الأخيرة من الجبال عليهم أن يستخدموا نفس النفق الذي سيستخدمه غيرهم. غير أن الغالبية العظمى من العربات ستمضي في رحلتها البطيئة إلى المدينة، وسيصل معظمها إليها"[١].

هذه المدينة التي سوف تصل إليها البشرية، هي الدولة العامة المتجانسة التي تتمثل بدولة نهاية التاريخ، وأن غالبية الدول بالرغم من تخلفها سوف تسير إلى المدينة، وأنه لا يوجد سوى طريق واحد، بمعنى آخر نظام سياسي واحد وهو الذي يمثل أفضل النظم السياسية "النظام الديمقراطي الليبرالي"، الذي أوصلنا إلى نهاية التاريخ. بهذه العبارة ختم فوكوياما أُطروحته نهاية التاريخ. وعلى الدول أن تسير وفقها كي تصل إلى نهاية التاريخ، وسيظهر الإنسان الأخير الذي يعيش في هذه الدولة. وبالرغم من وصول الدول الأوروبية إلى النهاية، إلا أن العالم التاريخي سوف يتحرك نحو المدينة بالرغم من تأخر الكثير من الدول، لكن سوف تصل غالبيتها إلى نهاية التاريخ.

أنهى فوكوياما عمل الأيديولوجيا السياسية من التاريخ الإنساني، وحدد شكل المجتمع ونظامه السياسي بالليبرالية الديمقراطية واعتبرها أفضل النظم السياسية التي شكلت نهاية تطور الفكر الإنساني، معلناً عن نهاية تاريخ الفكر السياسي والأيديولوجي في المستقبل، وقد اختلف فوكوياما في تفسير التاريخ مع

[١] فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص: ٢٩٣-٢٩٤.

هيجل وماركس اللذان تمحورت فلسفتهما السياسية حول الحالة الجدلية الصراعية، أما فوكوياما فقد أنهى الحالة الصراعية في المجتمع وأكد أن الفرد حظى بالاعتراف العام ونيل حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد بحث الفرضيات والمسلمات التي يطرحها في أُطروحته مع أعلام فلسفة التاريخ "هيجل وماركس" التي أثبتها، ومن ثم أصبح الحديث عن نظرية سياسية تفسيرية للنظام العالمي الجديد من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية. كما فسر فوكوياما مسار التاريخ من خلال سببين، اعتبرهما محركين للتاريخ البشري وهم: التطور المستمر في العلوم الطبيعية، والسعي لنيل الاعتراف، ومن ثم وصل التاريخ إلى نهايته من خلال الوصول إلى حل هذه العلل. وبذلك تختلف نهاية التاريخ عند فوكوياما مع هيجل الذي بشر بالنهاية عندما تنتهى التناقضات كافة في المجتمع ولم يصل لها، والذي فسر التاريخ من خلال سبب واحد وهو صراع الأفكار. أما ماركس الذي يدحض فوكوياما رؤيته الفكرية لأنها تنفي بقاء الرأسمالية فهو الآخر بشربالنهاية، وقد فسر التاريخ من خلال علة واحدة، وهي الصراع الاقتصادي.

وأكد فوكوياما أن الولايات المتحدة الأمريكية تجسد اليوم أفضل النظم السياسية، وجعل منها النموذج الذي لابد لدول العالم كافة من تطبيقه، وحث على نشر الديمقراطية الأمريكية في العالم، بينما يرى أن دول العالم قاطبة سوف تتحول تدريجياً وتدخل في عالم ما بعد التاريخ من خلال تحول أنظمة حكمها إلى الديمقراطية الليبرالية.

الفصل الرابع

أطروحة «صدام الحضارات»

المبحث الأول: فرضيات أطروحة هانتنغتون

المبحث الثاني: نهاية الأيديولوجيا

المبحث الثالث: فلسفة صدام الحضارات عند هانتنغتون

أطروحة "صدام الحضارات":

أنهى سقوط الاتحاد السوفيتي السابق الحرب الباردة وأوجد نظاماً عالمياً جديداً، وبدأت التنظيرات الفكرية لهذا النظام بأطروحة "نهاية التاريخ" لفوكوياما التي ناقشناها في الفصل السابق، ثم تبعتها أطروحة "صدام الحضارات" لهانتنغتون. إن أطروحة هانتنغتون تحمل بناءً شاملاً يشرح نزاع الحاضر والمستقبل، وكذلك الملامح الرئيسة للنظام العالمي الجديد، كما أنه يتنبأ بمستقبل العالم والسياسات الدولية في القرن الحادي والعشرين، مركزاً على الحضارات بوصفها وحدة التحليل الأساسية[١]. وتعود أطروحة "صدام الحضارات" إلى مقالة هانتنغتون التي نشرت في مجلة الشؤون الخارجية[٢] Foreign Affairs في العام ١٩٩٣، وبعد ثلاثة أعوام ألف كتاباً يحمل العنوان ذاته. فقد ناقش مضامين مقالته من خلال أُطروحته التي تحمل شرحاً واسعاً، وكذلك تفاصيل ومضامين فكرية لما بعد الحرب الباردة.

فالمقالة التي كان عنوانها "صدام الحضارات؟" جاءت على صيغة سؤال، ويجيب هانتنغتون في أُطروحته عن هذا السؤال قائلاً: "الغرض من هذا الكتاب هو

[١] محمد حسين. مرجع سابق، ص: ٢٥٩.

[٢] مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs: هذه المجلة ذات نفوذ كبير تهتم بالمصالح الخارجية للولايات المتحدة كما تراها نخبة صانعي السياسة الأمريكية، وهي منبر مفتوح لكبار الدبلوماسيين للتعبير عن وجهات نظرهم فيما يخص السياسة الخارجية الأمريكية، وكذلك هي مقربة من مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية. انظر: فائز محمود وسجى زيدان. الأطاريح الفكرية في عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، تكريت: جامعة تكريت، المجلد ٥، العدد ١٨، ٢٠١٣، ص: ٣١٧.

تقديم إجابة أشمل وأعمق عن سؤال المقال. وهنا أحاول أن أفصل وأنقح وأضيف، واصفاً أحياناً الأفكار التي جاءت بالمقال، كما طور أفكاراً أخرى كثيرة وأغطي موضوعات عدة لم يتناولها المقال أو ربما تناولها على نحو سريع"[١].

وهذا الفصل سوف يتناول أطروحة هانتنغتون بشرح وتحليل محتوياتها الفكرية، وعرض لأهم الأفكار التي يطرحها هانتنغتون لمستقبل العالم في ظل النظام العالمي الجديد، والصراع الحضاري الذي يتمحور حول الثقافة.

[١] صمويل هانتنغتون. صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ت طلعت الشايب، ط٢، القاهرة: سطور، ١٩٩٩، ٢٩.

المبحث الأول:
فرضيات أطروحة هانتنغتون

قبل البدء بتحليل أطروحة "صدام الحضارات"، لابد لنا من معرفة جذور الصراع الحضاري في العالم. يقول سايمون ميردينSimon Murden : "التجربة الإنسانية هي تجربة ثقافات، والفروق الثقافية هي صلب السلوكيات الإنسانية على مدى تاريخ السياسة الدولية، ومع نهاية القرن العشرين شهد تجديد التأكيد على أهمية الثقافة من حيث إعادة النظر في النظام العالمي، وكان ذلك نتيجة انتهاء الحرب الباردة"[1]. ويرى كثير من مفكري الغرب أن الصراع ظاهرة طبيعية في حياة الإنسان، وفي حياة المؤسسات جميعاً، فبدءاً بالأسرة مروراً بالقبيلة والأمة والدولة، فإن قانون الصراع هو من يحكم هذه المؤسسات، وقد يكون هذا الصراع ناعماً وقد يصل إلى حد الحروب والصدام[2]. ظاهرة الصراع بين الأمم والحضارات موجودة منذ فجر التاريخ، ولكن الصراع متعدد الأبعاد والعوامل، ولا يشمل البعد الثقافي فقط.

إن الفكر السياسي عند الفلاسفة والمفكرين أكد أهمية الصراع الاجتماعي، فقد كان فكر توماس هوبز T. Hobbes ١٥٨٨-١٦٧٩ يقول: "بأن المجتمع البشري هو في حالة صراع وتنافس مستمر، وذلك لأن كل إنسان لا تحركه سوى اعتباراته الذاتية

---

[1] سايمون ميردين. الصراع الثقافي في العلاقات الدولية: الغرب والإسلام، الإعداد والتحرير: جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ت مركز الخليج للأبحاث، دبي: مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٤، ص: ٧٨٣.

[2] أنور زناتي. الطريق إلى صدام الحضارات مع دراسة لتاريخ الصراع في العالم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦، ص: ١٨.

المتعلقة بأمنه وقوته، إن النتيجة التي تترتب على ذلك هي الحرب الدائمة"[١]. وفي الفصل الثاني تحدثنا عن فلسفة التاريخ عند كل من هيجل وماركس والتي تمحورت حول الصراع، حيث تقوم فلسفة هيجل للتاريخ على صراع المتناقضات في المجتمع، بمعنى آخر: بالحالة الجدلية في المجتمع هي صراع بين الأفكار المختلفة "الديالكتيك الهيجلي". وأخذ كارل ماركس الديالكتيك الهيجلي الذي وصفه بالمثالي، وأستند إليه في تفسير مسار التاريخ، والذي كان في جوهره صراعاً طبقياً "الديالكتيك المادي"، وهذا يوضح لنا مدى أهمية الصراع في الفكر السياسي عند الفلاسفة والمفكرين قبل طرح فلسفة صدام الحضارات عند هانتنغتون.

وخلال العقدين السابقين وخاصة بعد نهاية الحرب الباردة، برز البعد القيمي في العلاقات الدولية من ناحية، وصعود الأبعاد الثقافية الحضارية في سياسات وأيديولوجيا العولمة من ناحية أخرى، لذا تجدد الاهتمام بموضوعات "الدين، الثقافة، الحضارة" وتأثيراتها على العلاقات الدولية، ويرجع السبب إلى انتهاء الصراع الأيديولوجي، وصعود دور الأديان، وتهاوي الحدود بين الداخلي والخارجي، وبعد تحقق الهيمنة الغربية في مجالات الاقتصاد والجيش، فلم يتبق إلا اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي[٢].

لم يكن هانتنغتون أول من كتب عن فلسفة "الصدام الحضاري". فقد تنبأ أرنولد توينبي في مقالة بعنوان "الصراع بين الحضارات"، المنشورة في مجلة هاربر

---

[١] عبد الرضا الطعان. تاريخ الفكر السياسي الحديث، بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٩٢، ص: ١١٢.

[٢] نادية مصطفى. جدالات حوار/ صراع الحضارات: إشكالية العلاقة بين السياسي - الثقافي في خطابات عربية وإسلامية، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٦، ص: ١.

بعددها الصادر في إبريل ١٩٤٧، والتي نشرت فيها بعد مع مقالات أخرى عدة في كتابه "الحضارة في الميزان"[١]؛ تتنبأ بأن الأمر الذي سوف يشغل مؤرخي المستقبل هو "صدام الحضارة الغربية بسائر الحضارات الأخرى". كما أن المؤرخ برنارد لويس Bernard Lewis تحدث عن الصدام الحضاري بين الغرب والعالم الإسلامي في مقالته "جذور السخط الإسلامي"، واصفاً العالم الإسلامي بالرجعي والغوغائي "ينبغي أن يكون من الواضح أمامنا أن الحركة الكونية تتجاوز بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات، هذا ليس أقل من صراع حضارات"[٢]. توينبي يرى صدام الحضارات يحدث بين الحضارة الغربية وأي حضارة أخرى، وربما يكون الصدام بين حضارات عدة، وليس فقط بين حضارتين. أما برنارد لويس فيرى الصدام أنه صدام بين حضارتين: الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية[٣]. إن فكر برنارد لويس متحامل على الحضارة الإسلامية، ويصورها بأنها تحمل في قيمها صفة العداء نحو الغرب الكافر.

ويؤكد إدوارد سعيد أن أطروحة هانتنغتون "صدام الحضارات" مستمدة من برنارد لويس في مقالته المذكورة سابقاً[٤]. إن كان هانتنغتون استلهم فكرة صدام

---

[١] أرنولد توينبي. الحضارة في الميزان، ت أمين محمود الشريف، ط٢، القاهرة: آفاق ثقافية، ٢٠٠٦، ص: ٨.

[2] Bernard Lewis. The Roots of Muslim Rage The Atlantic Online,1990, p: 8.

[٣] قيس راهي. مرجع سابق، ص: ٢٥٩.

[٤] إدوارد سعيد. صدام المفاهيم، مجلة الكرمل فصلية دورية، ت منى أنيس، بيروت: مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد ٥٣، ١٩٩٧، ص: ٥٠.

الحضارات من لويس أو من توينبي، فقد كانت فكرته الرئيسة في أُطروحته للنظام العالمي الجديد هي الاختلافات الثقافية بين الحضارات العالمية، التي تؤدي إلى الصدام الحتمي بين الحضارات.

هانتنغتون والحضارات العالمية

ينطلق هانتنغتون في أُطروحته من فرضية رئيسة وهي: الثقافة والهويات الثقافية، التي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة[١]. وقبل أن يعرف هانتنغتون الحضارة، يعرض تعريفات عدة لمفكري وعلماء التاريخ الذين كتبوا في تاريخ الحضارات الإنسانية، من بينهم ماكس فيبر، وإميل دوركهايم، وأرنولد توينبي، وفرناند بردويل وغيرهم.

ويُعرف هانتنغتون الحضارة بأنها: "الكيان الثقافي الأوسع، القرى والمناطق والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية... كلها لديها ثقافات محددة وعلى مستويات مختلفة من التمايز الثقافي"[٢]. وباختصار شديد يعرف هانتنغتون الحضارة في خاتمة أُطروحته بأنها: "مقابل للبربرية"[٣]. ويضرب مثالًا "ثقافة قرية في جنوب إيطاليا قد تختلف عن ثقافة قرية في شمالها، ولكنهما تشتركان في ثقافة إيطالية عامة تميزهما عن القرى الألمانية، والمجتمعات الأوروبية، بالتالي ستشترك في ملامح ثقافية

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٧.

[٢] المرجع السابق، ص: ٧١.

[٣] المرجع السابق. ص: ٥١٩-٥٢٠.

تميزها عن المجتمعات الصينية أو الهندية"[١].

ويضيف قائلاً: الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يُميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. والحضارة تعرف: "بكل العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس"[٢]. من خلال تعريف هانتنغتون للحضارة يقر بفرضية "أن لكل حضارة حدود جغرافية معروفة المعالم جيداً، وهي من وجهة نظر هانتنغتون حدود الصدام الحضاري"[٣]. إن تعريف هانتنغتون للحضارة ينبع من الحدود الجغرافية في الأساس، ثم تابع تعريفه من التعريفات الموضوعية للحضارة. إلا أنه يعتمد على التعريف الجغرافي، ليكون منسجماً مع أُطروحته.

ويقسم هانتنغتون حضارات العالم إلى سبع حضارات رئيسة، بالإضافة إلى احتمال قيام الثامنة وهي: الروسية الأرثوذوكسية، الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، الأمريكية اللاتينية، الإفريقية "احتمال". واستند هانتنغتون إلى "الثقافات" بوصفها أساساً في تقسيم العالم إلى أنماط حضارية، والتي بدورها تقود إلى حتمية صدام الحضارات، واختار "الدين" أساساً للمجموع الحضاري، في حين أن الفضاء الديني لم يحدد نوع الثقافة، لأن هناك فضاء الدولة الوطنية، وفضاء الأقاليم

[١] المرجع السابق. ص: ٧١.

[٢] المرجع السابق. ص: ٧١.

[٣] مصطفى أبو صوي. صراع الحضارات، في كتاب: أهل الكتاب والعيش المشترك، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ٢٠١١، ص: ١٠.

المتجانسة الاقتصادية وفضاء الأنظمة السياسية[١].

ويصنف علي ليلة أطروحة هانتنغتون ضمن نظريات الصراع في علم الاجتماع، والتي ترى أن الصراع يعتبر من العلميات الاجتماعية التي تعلب دوراً محورياً في بناء المجتمع، إما لفض التناقضات الاجتماعية كما هي الحال عند كارل ماركس، أو لأن الصراع بين الوحدات الخارجية، أياً كان مستواها، يؤدي بطبيعته إلى تأكيد التماسك الداخلي للجماعة، وفي هذه الحالة فإن أطروحة هانتنغتون إلى جانب أنها تستهدف إعادة بناء العلاقات الدولية، فهي تصور الصراع الذي يؤدي وظيفة بناء الولايات المتحدة من الداخل[٢].

هانتنغتون والنظام العالمي الجديد:

يعتمد هانتنغتون في أُطروحته على "الصراع" أو "الصدام" بوصفها أسساً جديدة للصراع في المستقبل مبنية على الاختلاف الثقافي والديني لعالم ما بعد الحرب الباردة، والذي تفردت الولايات المتحدة الأمريكية فيه بالهيمنة العالمية، وبذلك يستبدل هانتنغتون الحدود السياسية للدول القومية في قضايا الصراع بحدود امتداد الحضارات[٣]. ويصف هانتنغتون النظام العالمي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بأنه

---

[١] محمد حسن. الجيو بوليتك ونظرية صدام الحضارات لهانتغتون، المجلة السياسية والدولية المستنصرية: الجامعة المستنصرية، العدد ١٦، ٢٠٠٨، ص: ١٩.

[٢] علي ليلة. تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع، القاهرة: شركة الحرير للطباعة، ٢٠٠٦، ص: ٧٩.

[٣] مصطفى أبو صوي. مرجع سابق، ص: ٨.

متعدد الأقطاب، "في عالم ما بعد الحرب الباردة ولأول مرة في التاريخ أصبحت السياسة الكونية متعددة الأقطاب متعددة الحضارات"[١]. وكان النظام العالمي أثناء الحرب الباردة مقسم إلى ثلاثة أجزاء، وهي: الكتلة الشرقية، والكتلة الغربية، ودول عدم الانحياز.

ويعارض هانتنغتون الأطروحات الفكرية السائدة لتفسير النظام العالمي الجديد، وأهم تلك الأطروحات هي أطروحة فوكوياما «نهاية التاريخ»، ويعتبرها غير قادرة على تفسير النظام العالمي الجديد. ويستشهد هانتنغتون بفكر توماس كون Tomas Kohn في كتابه "بنية الثورات العلمية"، حيث يؤكد توماس أن التقدم الفكري والعلمي يؤديان إلى حذف نموذج قديم وإحلال نموذج أكثر قدرة على تفسير العلاقات الدولية بطريقة أكثر مقبولية[٢]. ويرى كون أن التقدم التاريخي في العلوم كافة يؤدي إلى تطور العلوم "إن التنافس بين قطاعات المجتمع العلمي هو العملية التاريخية الوحيدة التي تفضي عملياً، دائماً وأبداً، إلى رفض نظرية كانت موضوع قبول وتسليم في الماضي وإقرار نظرية أخرى"[٣].

وانتقد هانتنغتون أربع أُطروحات فكرية تمحورت أفكارها حول تفسير النظام العالمي الجديد، وهي:

١. أطروحة نهاية التاريخ: ينتقد هانتنغتون أطروحة فوكوياما الذي انتابه الشعور بالفرح بعد نهاية الحرب الباردة، وتصور وجود عالم منسجم خالٍ

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٨.

[٢] المرجع السابق، ص: ٤٩.

[٣] توماس كون. مرجع سابق، ص: ٣٧.

من الصراعات الكونية، وخطأ أطروحة فوكوياما كما يراها هانتنغتون: "وهم التوافق سرعان ما تبدد بسبب تضاعف الصراعات العرقية، وبروز أشكال جديدة من التحالفات والصراعات في العالم"[١].

٢. أطروحة عالمان "نحن" و "هم": وهي موجودة قبل نهاية الحرب الباردة وهي منذ القدم في التاريخ الإنساني. إن الباحثين يقسمون أنفسهم على أساس: شرق وغرب، وشمال وجنوب، المركز والمحيط، والمسلمون يقسمون العالم إلى دار السلام ودار الحرب. وينتقد هانتنغتون هذه الأطروحة لكونها لا تعكس الواقع بشكل مطلق، حيث يعتبرها تحمل القصور في النظام العالمي الجديد، لأن العالم كان مقسماً من منظور أيديولوجي إلى شرق وغرب، إلا أنه لا يوجد منظور ثقافي وحيد. هانتنغتون حسب تقسيماته للحضارات يؤكد أنه يوجد في العالم ثماني ثقافات "من الملائم أن نتكلم عن الغرب والآخرين"[٢].

٣. الواقعية: وهي التي تعتمد على الدولة بوصفها لاعباً رئيساً في العلاقات الدولية، وهذه الدولة تسعى لامتلاك القوة من أجل تحقيق مصالحها. ويبدي هانتنغتون إعجابه بفكر الواقعية "هذه الصورة الواقعية للعالم هي نقطة بداية مفيدة لدرجة كبيرة من أجل تحليل الشؤون الدولية، كما أنها تفسر سلوك الدولة"[٣].

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٥٣.

[٢] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٥٥.

[٣] المرجع السابق. ص: ٥٦.

هانتنغتون لا يدحض الواقعية في تحليل النظام العالمي الجديد كما فعل فوكوياما في أُطروحته "نموذج الدولة في النظرية الواقعية يقدم لنا في السياسة الكونية أكثر مما يقدمه نموذج عالم الواحد "نهاية التاريخ" أو عالمين"[١]. بالرغم من انتقاد هانتنغتون لها، إلا أنها تفترض إدراك جميع الدول لمصلحتها بالدرجة نفسها، بالإضافة إلى فقدان السيادة الكاملة لدى الدولة في ظل المؤسسات الدولية، والتدخل الدولي في الشؤون الداخلية للدول.

٤. الفوضى: ضعف الدول وظهور "الدولة الواهنة"، يسهم في رسم صورة رابعة لعالم غارق في الفوضى، وصاحب هذه النظرة إلى العالم هو زبيجينيو بريجنسكي[٢] Zbigniew Brzezinski، والتي تؤكد أن انهيار السلطة الحكومية وتفكك الدول يعني اتساع نطاق الصراعات القبلية والعرقية والدينية[٣]. هانتنغتون يؤيد نصف الفكرة ويرفض نصفها الآخر، حيث يعتبر أن العالم قد يغرق في فوضى وصراعات، لكن هذه الصراعات لا تكون شاملة العالم "قد يكون العالم في حالة فوضى لكنه ليس دون نظام بالكلية"[٤].

---

[١] المرجع السابق. ص: ٥٦.

[٢] زبيجينيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski: مفكر استراتيجي أمريكي، عمل مستشاراً للأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس السابق جيمي كارتر، وهو من الأوائل الذين أنذروا بحدوث فوضى عالمية في كتابه "عالم خارج عن السيطرة". انظر: جريدة الشرق الأوسط، http: //www. aawsat.com

[٣] المرجع السابق. ص: ٥٨.

[٤] المرجع السابق. ص: ٥٩.

بعد عرض الأطروحات الفكرية لتفسير النظام العالمي، التي ذكرها هانتنغتون ورأيه فيها، يعرض أُطروحته التي تفسر الأحداث الكونية بشكل أفضل من الأطروحات السابقة كافة، ويتكامل معها من أجل التفسير الدقيق للأحداث العالمية في النظام العالمي الجديد، بل أطروحة "صدام الحضارات" مبنية على الأطُروحات الفكرية السابقة.

"إن النظر إلى العالم باعتباره سبع حضارات أو ثماني، يجعلنا نتجنب الكثير من الصعاب، ولا يضحي بالحقيقة لحساب الاقتصاد الشديد كما هي الحال في نموذج عالم واحد أو عالمين، إلا أنه كذلك لا يضحي بالاقتصاد الشديد من أجل الحقيقة كما هي الحال في نموذج الدولة أو نموذج الفوضى. إنه يقدم لنا إطار عمل مفهوم أوسهل الاستيعاب لفهم العالم، وتمييز المهم من غير المهم بين الصراعات الكثيرة، ويتنبأ بالصراعات المستقبلية، ويقدم الخطوط العادية لصانعي السياسة، كما أنه يبني على النماذج الأخرى ويتكامل معها، وهو أكثر تناغماً معها أكثر مما هي مع بعضها الآخر"[١].

اقتصر هانتنغتون على هذه الأطروحات دون سواها، فهناك نظريات عدة في العلاقات الدولية ما زالت تعمل بها السياسة الأمريكية، كسياسة الاحتواء. كما أنه ظهرت أُطروحات جديدة بعد هذا التاريخ، مثل أطروحة بول كينيدي[٢] Paul

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٦٠.

[٢] بول كينيدي Paul Kennedy: مؤرخ أمريكي، يدرس التاريخ في الجامعات الأمريكية. وقد تنبأ بسقوط الإمبراطورية الأمريكية نتيجة عوامل بنيوية داخلية، ونظراً لصعود قوى عظمى منافسة مثل الصين في كتابه "سقوط وصعود القوى العظمى" في العام ١٩٨٧، والذي بحث فيه عن الإمبراطوريات من عام ٥٠٠ إلى عام ٢٠٠٠. انظر: جريدة الحياة الجديدة - فلسطين. يسين السيد. صعود وسقوط القوى العظمى، فلسطين: الضفة الغربية، العدد ٥٤١٣، ٢٠١٠، ص: ٢٩.

Kennedy وإريك هوبزباوم Eric Hobsbawm[1]، وهي أطروحات تسعى إلى تفحص الأوضاع الدولية على مشارف الألفية الثالثة، بشكل أكثر دقة ومسؤولية، وذلك في إطار محاولة للبحث عن سبل لتجنب إمكانات الصراعات المستقبلية في الألفية الثالثة[2]. وإن كان مفيداً لأطروحة هانتنغتون إلقاء نظرة لأول مرة على قضية الثقافة على المستوى الدولي، فإنه من المعيب أن يقدم نقداً لأطروحات سابقة، كان لها قوة تفسيرية في عصور سابقة، فمن السهل ذكر أمثلة دون وجود حجة مقنعة لنقد الأطروحات الأخرى[3].

---

[1] إريك هوبزباوم Eric Hobsbawm ١٩١٧-٢٠١٢: مؤرخ بريطاني من أصل يهودي، صدر له مؤلفات عدة وأهمها "عصر التطرفات" والذي تنبأ فيه بأن الشرق الأوسط منطقة مزعزعة من الوجهة الاجتماعية، ومشكلات الشرق الأوسط لا يمكن حلها أو السيطرة عليها حتى من قبل الولايات المتحدة، وإن أراد مفكرو الولايات المتحدة وضع بداية لهيمنة أمريكا على العالم، فإنهم سيفكرون في الحرب على العراق، وإن قدر لمشكلات الشرق الأوسط أن تحل فلن يتم ذلك على أيدي قوى خارجية، وإنما عن طريق القوى الداخلية للمنطقة. انظر: إريك هوبزباوم. عصر التطرفات القرن العشرون الوجيز، ت فايز الصايغ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١، ص: ٢٤.

[2] إدوارد سعيد. مرجع سابق، ص: ٤٨.

[3] Jonathan Fox. Ethnic Minorities and the Clash of Civilizations: A Quantitative Analysis of Huntington Thesis, British Journal of Political Science London: vol. 32, issue. 3, 2002, p: 418-419.

العلاقات بين الحضارات في النظام العالمي الجديد

العلاقات بين البشر وجدت منذ أن خلق الله الإنسان، وذلك لأنه إنسان اجتماعي بطبعه، ومن الصعب عليه أن يعيش وحيداً، وتطورت العلاقات الدولية بتطور نظم الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية[١]. وبتطورها ظهرت الدبلوماسية والتنظيم الدولي، من أجل تنظيم العلاقات بين الدول. والمقصود باصطلاح العلاقات الدولية: تلك العلاقات القائمة بين الدول المختلفة، وتنقسم بدورها إلى قسمين: علاقات سلم، وعلاقات حرب. ففي حالة الحرب تكون العلاقات بين الدول هي علاقة عداء، أما في أوقات السلم فقد تظهر العلاقات السياسية والدبلوماسية[٢].

يستعرض هانتنغتون مراحل الصراع الحضاري في تاريخ العلاقات بين الحضارات، والتي مرت عبر تاريخها بثلاث مراحل: "مرت العلاقات بين الحضارات في مرحلتين، وهي الآن في الثالثة"[٣]. ففي المرحلة الأولى: كانت العلاقات غير موجودة أو محدودة، وذلك بسبب المسافات التي كانت تقيد من العلاقات بين الحضارات. أما المرحلة الثانية: فبدأت بظهور العالم الغربي في القرن الخامس، وكانت الصراعات تقوم بين الأمراء والأباطرة لبسط النفوذ والسيطرة على مساحات جديدة من الأراضي، وفي القرن الثامن بدأت حروب الشعوب مثل الثورة الروسية ١٩١٧، بالإضافة إلى الصراع الأيديولوجي، أما المرحلة الثالثة: التي أتت بعد الحرب الباردة

[١] هايل طشطوش. مقدمة في العلاقات الدولية، عمان، جامعة اليرموك، ٢٠١٠، ص: ٩-١٠.

[٢] جمال حجر وعمر عبد العزيز عمر. صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤، ص: ٩.

[٣] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٨٠.

فهي الصراعات الحضارية. إذن كيف يرى هانتنغتون العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد؟

إن أطروحة صدام الحضارات لـ هانتنغتون، لم تناقش سوى الصراعات الدولية والتنبؤ بها في المستقبل، وصورة هذه العلاقات بين الحضارات الثماني، التي تعد هي الأقطاب الرئيسة في النظام العالمي الجديد "لن تكون الصراعات المهمة والملحة بين الطبقات الاجتماعية، أو بين الغني والفقير، أو بين أي جماعات أخرى محددة اقتصادياً، الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة"[١]. ويتجه هانتنغتون إلى بلورة فكرة معينة ومضمونها أن الحضارات تركيبات خاصة، تشترط رد فعل الجماعات البشرية التي تتبناها، وأن العلاقة بين هذه الحضارات هي علاقات صراع أو تنافس، وبذلك يصبح المضمون الحقيقي للفترة التاريخية التي نعيشها هو "التصادم" بين الجماعات المنتمية إلى حضارات مختلفة[٢]. ويؤكد هانتنغتون في أطروحته تقسيم العالم إلى حضارات، وهذه الحضارات في علاقاتها وتفاعلاتها تكون علاقات صراعية وليست حوارية، ويتنبأ بمستقبل صراعي بين الغرب وبقية الحضارات وخاصة الحضارة الإسلامية.

ويرى إدوارد سعيد أن أطروحة هانتنغتون تتميز بميزة واحدة وهي أهمية العنصر الثقافي في دراسة العلاقات الدولية: "تبقى لمقولة هانتنغتون ميزة واحدة وهي أنها تؤكد على أهمية العنصر الثقافي في صياغة العلاقات الدولية بين الدول والتقاليد

---

[١] المرجع السابق. ص: ٤٦.

[٢] فائز محمود وسجى زيدان. مرجع سابق، ص: ٣١٨.

والشعوب المختلفة"[١]. إن البعد الحضاري والثقافي في دراسة العلاقات الدولية، يعني الاتجاه نحو الأبعاد المتصلة بآثار اختلاف الثقافات والحضارات في العالم، والذي يؤدي إلى اختلاف الرؤى والقيم وقواعد السلوك والأخلاق، ومن ثم تؤثر مباشرة في العلاقات الدولية مثل التفاعلات الدولية، وكذلك يقدم عنصراً تفسيرياً أو تبريرياً للتحالفات الدولية والتي تكوّن موازين القوة[٢].

[١] إدوار سعيد. مرجع سابق، ص: ٤٩.

[٢] نادية مصطفى. مرجع سابق، ص: ١.

المبحث الثاني:

نهاية الأيديولوجيا

أنهى هانتنغتون الأيديولوجيا السياسية ولم ينه التاريخ، فإن التاريخ سوف يستمر، وتنبأ بنهاية الصراع الأيديولوجي وبداية الصراع الثقافي بين الحضارات، "في عالم ما بعد الحرب الباردة، الثقافة قوة مفرقة ومجمعة في الوقت نفسه، الشعوب التي تفصل بينها الأيديولوجيا، تجمع بينها الثقافة وتقرب بينها، كما فعلت الألمانيتان والكوريتان"[1].

"في أواخر الثمانينيات انهار العالم الشيوعي، وأصبح نظام الحرب الباردة العالمي في ذمة التاريخ. وفي عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المائزة بين الشعوب، أيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية.. وإنما هي فروق ثقافية"[2]. إن نقطة الانطلاق في تحليل أطروحة هانتنغتون هي سقوط جدار برلين، ففي ظل الحرب الباردة كانت السياسة الدولية واضحة، هناك قوتان دوليتان "نظام ثنائي القطبية"، بينما يصطف باقي الدول على مسافة تبعد أو تقترب من القوتين، وبنهاية هذه الحقبة الزمنية وظهور النظام العالمي الجديد، يشخص هانتنغتون هذه الحقبة بأنه لم يعد هناك كتل أيديولوجية أو سياسية تتواجه، وإنما مناطق ثقافية[3].

ويؤكد هانتنغتون نهاية الأيديولوجيا على مستوى العالم، فكان العالم مقسماً

---

[1] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٤٧.

[2] المرجع السابق. ص: ٣٩.

[3] تزفيتان تودوروف. مرجع سابق، ص: ٩٢

أيديولوجياً إلى ليبرالي غربي، واشتراكي شرقي "المجتمعات التي اتحدت عن طريق الأيديولوجيا ولكنها مقسمة بسبب الحضارات، إما أنها تفتت كما حدث للاتحاد السوفيتي، أو تتعرض لتوتر شديد كما هو الحال في أوكرانيا، فالدول التي بينها صلات قربى ثقافية تتعاون اقتصادياً وسياسياً المنظمات الدولية التي تعتمد على دول بينها عناصر ثقافية مشتركة، مثل الاتحاد الأوروبي، أكثر نجاحاً من تلك التي تحاول أن تتجاوز الثقافة"[١]. وهذا يعني أن العالم اليوم عند هانتنغتون بعد نهاية الأيديولوجيا ظهرت فيه العوامل الثقافية والحضارية، والتي بدورها تحدد التحالفات الثقافية على مستوى الدول والحضارات، ومن ثم تتحدد نوعية العلاقة بين هذه الحضارات، والتي تنبأ هانتنغتون بأنها سوف تكون علاقات تنافس وصراع.

الثقافات الحضارية والنظام العالمي الجديد:

يصرح هانتنغتون بأن العالم اليوم يتم إعادة تشكليه وفقاً لاعتبارات الثقافة في السياسة الكونية "السياسة الكونية يُعاد تشكليها الآن على امتداد الخطوط الثقافية، مدفوعة بعملية التحديث. الشعوب والدول ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد، الانحيازيات التي تعتمد على الأيديولوجيا والعلاقات مع القوى الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة"[٢]. ومن ثم يتم إعادة رسم الأحلاف الدولية في ظل النظام العالمي الجديد وذلك من خلال التقسيم الحضاري الذي وضعة هانتنغتون "المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة". والحدود الفاصلة بين الحضارات هي خطوط الصراعات الحضارية في النظام العالمي الجديد.

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٤٧.

[٢] المرجع السابق. ص: ٢٠٣.

ويوضح هانتنغتون صورة التكوين الثقافي التي تشكل السياسة الكونية الحالية، من خلال العودة للحرب الباردة، حيث كان الخيار لدول العالم، كانت دول العالم إما أنها تدور في فلك الأيديولوجيا الليبرالية تحت قيادة الولايات المتحدة، أو تدور في فلك الأيديولوجيا الاشتراكية تحت قيادة الاتحاد السوفيتي سابقاً، وهناك مجموعة من الدول كانت تشكل مجموعة دول عدم الانحياز. حيث كان يحدث ذلك على ضوء إدراك المصلحة العليا للدولة، بالإضافة إلى خياراتهم الأيديولوجية. أما اليوم، وفي ظل النظام العالمي الجديد، يؤكد هانتنغتون أن الهوية الثقافية هي العامل الرئيس في تحديد صداقات دولة ما أو عداوتها بينها كان بمقدور الدولة أن تتجنب ذلك أثناء الحرب الباردة وتنحاز حسب خياراتها الأيديولوجية بدون أن تفقد هويتها.

لقد شهدت حقبة التسعينيات انفجار أزمة هوية في بلدان عدة، وراود الناس سؤال "من نحن؟"، و"لمن ننتمي؟"، وكان ذلك لعامة الدول بعد الحرب الباردة التي أرادت إنشاء دول قومية جديدة كما في يوغوسلافيا السابقة[١]. إن الثقافة لها دوران، على مستوى السياسة في عالم ما بعد الحرب الباردة، الدور الأول: الضم والاندماج؛ والذي يجمع الدول التي تنتمي لثقافة حضارية واحدة، فقد كانت السويد تمثل أكبر وأهم دولة في مجموعة دول عدم الانحياز "النمسا وفنلندة والسويد، الذين هم ثقافياً جزء من الغرب، حيث أنهم كانوا محايدين في الحرب الباردة، والآن يستطيعون الالتحاق بعشيرتهم الثقافية في الاتحاد الأوروبي"[٢].

[١] المرجع السابق. ص: ٢٠٤.

[٢] المرجع السابق. ص: ٢٠٤.

أما الدور الثاني للثقافة: التباعد والاختلاف، الدول المختلفة ثقافياً ودينياً تتباعد وتنضم لمن هم يحملون العقيدة والثقافة نفسيهما "الدول الأوروبية يظهرون صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية مثل "تركيا" في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم أن تكون دولة إسلامية أخرى مثل "البوسنة" في القارة الأوروبية"[1]. وبهذه الفرضية يؤكد هانتنغتون أن الحضارات الرئيسة في العالم قد تتصادم بسبب الاختلافات الثقافية. ويحدد أسباباً عدة تنمي هذه الاختلافات التي تؤدي إلى الصراعات وهي:

١. إن لكل فرد هويات متعددة قد تتنافس مع بعضها، وقد يقوي بعضها بعضها الآخر. الفرد قد يتوحد ثقافياً مع قريته، جنسيته، دينه، حضارته. الانتماء للهوية الثقافية الدنيا يعزز الانتماء للهوية الثقافية العليا "الحضارة" إن الاتساع في التميز حسب الثقافة الحضارية يؤدي إلى تزايد أهميتها، فالحضارات هي الكيانات الثقافية الأوسع، والصراعات بين جماعات من حضارات مختلفة تصبح مركزية في السياسة الكونية.

٢. البروز المتزايد للهوية الثقافية: إن عملية التحديث في العالم تتطلب هويات أكثر معنى. إن العالم يتطور باستمرار وهذا التطور قد يعصف بالهوية الوطنية، إن تطور الاقتصاد العالمي وجعل العالم قرية واحدة "العولمة" يؤثر سلباً على اقتصاديات الدول النامية.

٣. الهوية على أي مستوى، "شخصي، قبلي، عرقي، حضاري" يمكن أن

[1] المرجع السابق. ص: ٢٠٤.

تعرف فقط من خلال علاقتها بـ "الآخر". جدلية "الأنا" و"الآخر" في الحضارة تعرف هويتها من خلال معاملتها مع الحضارات الأخرى، ومن خلال سلوكها الموجه للآخر.

٤. مصادر الصراع بين الدول والجماعات التي تنتمي لحضارات مختلفة. الصراعات بين الجماعات لها مسببات عدة وقد تتضمن قضايا ثقافية.

٥. كلية وجود الصراع، الكره شيء إنساني، دائماً تتولد الصراعات والكشف عن أعداء جدد، وهذه النزعة تسمى الـ "نحن" والـ "هم".

لا تقتصر النزعة الثقافية عند هانتنغتون على الجوانب السياسية والدينية والجغرافية في الحضارات، وإنما الثقافة لها أهميتها في الجانب الاقتصادي قد يكون دور الثقافة مسبباً للانفصال، والاختلاف في التعاون الاقتصادي بين الحضارات، وقد يكون العكس.

في بداية التسعينيات، كان اصطلاح الإقليمية يتردد على الساحة الدولية، وإن الصراعات الإقليمية حلت محل الصراع الكوني على جدول أعمال مجلس الأمن الدولي، إن الدول الرئيسة مثل "روسيا والولايات المتحدة" بالإضافة إلى القوى الثانوية مثل "السويد وتركيا" أعادت تعريف مصالحها على أساس إقليمي واضح[١].

إن القرب المكاني للأقاليم إذا كان بعيداً عن الثقافة لا ينتج عوامل مشتركة، التحالفات العسكرية والارتباطات الاقتصادية تتطلب تعاوناً بين الأعضاء، والتعاون

[١] المرجع السابق. ص: ٢١٢.

يعتمد على الثقة، والثقة تنبع بسهولة من القيم والثقافة المشتركة[١]. إن المنظمات ذات الحضارات الواحدة تحقق الأهداف أكثر من المنظمات المكونة من ثقافات حضارية عدة. ويرصد هانتنغتون بعناية عمل المنظمات الإقليمية. حيث يرى المنظمات التي تقوم على حضارة واحدة هي منظمات ناجحة وفاعلة، مثل حلف "الناتو" فهي منظمة الدول الأوروبية ذات القيم والافتراضات الفلسفية المشتركة. بينما ينظر هانتنغتون إلى منظمة آسيان[٢] "ASEAN" بوصفها نموذجاً للمنظمة ذات الثقافات المتعددة والفاعلة في الوقت نفسه، غير أن الأعضاء يتعاملون فيما بينهم بشكل ثنائي وخاصة في الجانب العسكري. كل دولة عضو تسعى لبناء قواتها العسكرية، دون أن يكون هناك قوات مشتركة؛ مثل القوات الموجودة في الاتحاد الأوروبي ذات الحضارة الواحدة.

يقر هانتنغتون في أكثر من موقع، في كتابه بأن الثقافة الحضارية هي التجمع الأكبر والانتماء الفكري الجديد على مستوى الدول في النظام العالمي الجديد، وهذا

---

[١] المرجع السابق. ص: ٢٠٤.

[٢] منظمة أسيان ASEAN: نجحت الدول الآسيوية في تطوير ونمو اقتصادياتها في العام ١٩٦٧، حيث انطلق نجاحها بأربع دول متمثلة في: تايوان وهونغ كونغ وكوريا الجنوبية وسنغافورة. وأطلق عليها مصطلح النمور الآسيوية والآن هي اتحاد لدول جنوب شرق أسيا المعروف بآسيان اختصاراً لـ "The Association of Southeast Asian Nations"، وزادت عضوية الأسيان إلى عشر دول بالإضافة إلى توقيع اتفاق عام ٢٠٠٤ يخص التجارة الحرة مع الصين، هذا وتحضر دول غير أعضاء قمم المنظمة وقد يزداد العدد مستقبلاً. تعتبر من أهم التكتلات الاقتصادية في العالم وأهمها في القارة الآسيوية تهدف إلى تحقيق تكامل أمتن بما يتماشى مع متطلبات وتحديات القرن الحادي والعشرين، انظر: خالقي عبد الوهاب ورميدي عبد الوهاب. رابطة دول جنوب شرق آسيا «نموذج الدول النامية للإقليمية المنفتحة»، الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، ٢٠٠٩، ص: ٢١٤-٢١٥.

يعني أن دور الدولة في نظام الحضارات الناشئ ضعيف مقارنة بدور الحضارة في السياسة الكونية.

لم ينكر هانتنغتون أن الدول القومية لها دور في شؤون العالم، إلا أن الدول تشكل حضارة بانحيازاتها الثقافية وبما هو مشترك بينها، وعلى الرغم من أن للدولة دوراً في السياسة الكونية إلا أنه يقر "بأن الحضارات السبعة أو الثمانية هي أهم التجمعات". إن الهوية الوطنية على مستوى الدول تتوحد في الهوية الحضارية "الفرد يتوحد ثقافياً مع قبيلته، جماعته، جنسيته، دينية، حضارته. البروز المتزايد للهوية الوطنية "الدول" في المستويات الدنيا، يعزز ويقوي "الحضارة" على المستويات العليا"[١]. إن تقليل هانتنغتون من دور الدولة في السياسة العالمية نابع من تعاظم دور الحضارات من وجهة نظره. وفي هذا يقول فؤاد عجمي[٢] :"إن هانتنغتون يرى أن الدول ستحارب من أجل الروابط والولاءات الحضارية، في حين أنها تتدافع من أجل حصتها في السوق وتتعلم كيف تنافس في اقتصاد عالمي لا يعرف الرحمة.... فقد مل الناس من الطوباوية وأصبحوا أكثر نفوراً من الحملات التي تستند إلى المبادئ والمعتقدات الأيديولوجية"[٣]. ويصف إيف لاكوست Yves Lacoste أطروحة هانتنغتون

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٢٠٨.

[٢] فؤاد عجمي: أمريكي من أصول لبنانية، وهو محاضر وباحث في معهد الدراسات الدولية في جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins، وهو من الأصوات التي ساندت المحافظين الجدد في غزو العراق عام ٢٠٠٣. انظر: جريدة الأهرام – مصر. فؤاد عجمي شر المستعربين!. القاهرة: مؤسسة الأهرام، العدد ٤٦٣٠٤، ٢٠١٣، www.ahram.org.eg/News/943/11/231924

[٣] قيس راهي. مرجع سابق، ص: ٢٦٠

بأنها مبنية على اعتقاد أن كل الحضارات تشكل كتلة متجانسة في مواجهة كتلة متجانسة أخرى. وقد شبه الأطروحة بنظرية" تشكُّل بنية الأرض" حيث قال: "كأن الحضارات شبيهة بالصفائح الجيولوجية التي تؤلف القشرة الأرضية والتي تتحرك قطعة واحدة تحت تأثير القوى الموجودة في الأعماق. بعض هذه الصفائح تتراكب مع صفائح أخرى فتندفع بها إلى الأعماق حيث تختفي تدريجياً، وبعضها في المقابل يبتعد بهدوء عن الصفائح الأخرى.... ليس هانتنغتون صاحب هذه الملاحظات الجيولوجية التي تجعل من صراع الحضارات ظاهرة طبيعية"[١].

ليست الثقافة وحدها هي التي تجعل الدول تجتمع تحت راية الحضارة، فالمعتقدات والأيديولوجيا المشتركة تجعل من أسلوب الحياة في الدول التي تنتمي لحضارة واحدة موحداً كالسياسة والاقتصاد والحقوق وغيرها. مشاركة الدول العربية في حرب الخليج الثانية "عاصفة الصحراء" عام ١٩٩١، والغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، ومبيعات الأسلحة الصينية أو الكورية لإيران وسورية، ليس له علاقة بالحضارات بقدر ما هو مصلحة الدول، الدول تتحالف مع أي حضارة أو دولة ما دام ذلك يحقق مصلحتها، وهذا ما يتجاهله هانتنغتون[٢]. والآن تجري التحالفات العربية مع الدول الغربية من أجل تغير الأنظمة العربية، وهذا ما جرى في ليبيا عام ٢٠١١.

---

[١] إيف لاكوست. الجغرافيا السياسية للمتوسط، ت زهيدة جبور، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث- كلمة، ٢٠١٠، ص: ٤٦.

[٢] قيس راهي. مرجع سابق، ص: ٢٦١.

الدول تعمل وفق سياسات المصلحة، ولو كانت تعمل وفق مصلحة حضارتها فلماذا تختلط الحضارة الغربية بالحضارات الأخرى؟ فهي ليست بحاجة للحضارات الأخرى على الصعيد الأيديولوجي أو الثقافي. ينكر هانتنغتون دور الدولة في السياسة العالمية، وفي الوقت نفسه يشيد بأهمية دورها لكن في إطار الحضارة التي تنتمي إليها، والهدف من ذلك تأكيد دور الحضارات في السياسة العالمية[١]. ولم ينكر هانتنغتون سياسات المصلحة "الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى، ولها القدرة على التأثير على سياسة وأمن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى"[٢]. هل يقصد هانتنغتون الدول كافة في الحضارة الغربية؟ أم أنه يقصد الدول الغربية الكبرى التي تؤثر في النظام العالمي الجديد وخاصة "الإمبراطورية الأمريكية".

تركيبة الحضارات في النظام العالمي الجديد:

يعرض هانتنغتون بنية النظام العالمي أثناء الحرب الباردة، حيث كانت علاقة الدول بالقوتين العظميين على النحو التالي: إما حلفاء، أو توابع، أو عملاء، أو محايدون، أو غير منحازين. أما في النظام العالمي الجديد فيصف هانتنغتون بنية

---

[١] المرجع السابق. ص: ٢٦٢.

[٢] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ١٣٢.

الحضارات بأنها: إما دول أعضاء، أو دول مركز[١]، أو دول مصدوعة[٢]، أو دول ممزقة[٣]. أو دول وحيدة[٤].

ويصنف هانتنغتون هذه الدول داخل الحضارات "الحضارة يمكن أن تضم أُناساً يشتركون في نفس الثقافة ويتوحدون بها، ولكنهم يعيشون في دول يسيطر عليها أناس من حضارة أخرى، والحضارات لها مكان يراه أعضاؤها المصدر الرئيسي لثقافة تلك الحضارات. هذه المصادر غالباً ما تكون موجودة في داخل دولة المركز في تلك الحضارة... ويختلف دور وعدد دول المركز من حضارة إلى أخرى، وقد يتغير بتغير الزمن"[٥]. ويعطي أمثلة لبنية الحضارات من الداخل، الحضارة اليابانية متطابقة مع

[١] دول المركز: وهي الدولة المركزية في حضارة معينة، والتي يكون لها توابع وهي الدول الأعضاء في هذه الحضارة، والتي تمتلك القوة العسكرية والثروة الاقتصادية، دول المركز كالولايات المتحدة في الغرب، والصين للحضارة الكونفوشية. أما الدول الأعضاء فهي الدول التابعة لدولة المركز، كفلسطين التي هي جزء من الحضارة الإسلامية.

[٢] دول مصدوعة: وهي الدول التي ينتمي أفرادها لحضارات مختلفة، وتعتبر دول الصدع هي الدول الحدودية بين الحضارات، بمعنى آخر مناطق التماس بين الحضارات، وهذه الدول تواجه مشكلات خاصة للحفاظ على وحدتها. انظر: صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٢٢٤ وما يليها.

[٣] دول ممزقة: وهي الدولة المفككة والتي لا تمتلك مؤسسات دولة، مع نهاية الحرب الباردة أصبحت روسيا مرة أخرى دولة ممزقة، إذ إن روسيا ليس لديها مؤسسات تستطيع من خلالها توظيف السوق وليس لديها نظام ضرائب. انظر: قيس راهي. مرجع سابق، ص: ٢٦٣ وما يليها.

[٤] دول وحيدة: وهي الدول التي تفتقر إلى التماثل أو التجانس الثقافي مع مجتمعات أخرى، فتبقى منفردة في الإقليم أو المنطقة، أثيوبيا على سبيل المثال هي دولة وحيدة معزولة ثقافياً بلغتها الأمهرية والديانة الأرثوذوكسية القبطية، تاريخها الاستعماري، يفصلها عن الشعوب المسلمة الكبيرة المحيطة بها. انظر: قيس راهي، مرجع سابق. ص: ٢٦٣ وما يليها.

[٥] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٢٢٠.

الدولة المركزية الوحيدة، الحضارات الصينية والأرثوذوكسية والهندوسية، لكل منها دور مركز ودول أعضاء. وأناس مرتبطون بحضارتهم في دول يسيطر عليها أُناس من حضارات أخرى، والغرب تاريخياً كان له دول مركز عديدة، والآن الولايات المتحدة وألمانيا. أما ما تبقى من الحضارات، كالإسلام وأمريكا اللاتينية وإفريقيا، فلا يوجد لهذه الحضارات دول مركز، ويرجح هانتنغتون السبب إلى استعمار القوى الغربية لهذه الحضارات.

المركز والمحيط في النظام العالمي الجديد:

قسم هانتنغتون العالم إلى قسمين، بينهما علاقات استعارها أو نقلها من "نظرية التبعية"، وهي العلاقات التي تصورها هذه النظرية بين دول المركز والمحيط، حيث يعتبرها هانتنغتون تلك العلاقات التي تقوم بين الحضارة الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، والحضارات الأخرى[١]. ويتوصل هانتنغتون في أطروحته إلى تصنيف جديد للعالم يؤكد فيه تفوق الغرب وسيادته، بعدما رأى أن تصنيفات الدول في عالم الحرب الباردة فقدت معناها، ومن ثم عرض تصنيفاً جديداً لفهم النظام العالمي الجديد، وقد قسم العالم إلى مراكز وأطراف. والمركز: هو كتلة من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم. أما الأطراف: فهي مجموعة الدول الأضعف من النواحي الصناعية والمالية والسياسية تتحرك ضمن نمط من العلاقات

[١] علي ليله. تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع، القاهرة: جامعة عين شمس، الحريري للطباعة والنشر، ٢٠٠٦، ص: ٧٩.

يشكلها المركز في المقام الأول[1].

ويعرض هانتنغتون التحولات في السياسة الكونية للعالم الجديد: "تحل دول المركز في الحضارات الرئيسة محل القوى الكبرى في الحرب الباردة، وتصبح هي أقطاب الجذب والطرد بالنسبة للدول الأخرى"[2]. ومن ثم يصبح هناك تجمعات حضارية تضم دول مركز ودول أعضاء. ويرى هانتنغتون أن التكتلات الحضارية هذه تتشكل حسب العوامل الثقافية، حيث الشعوب في الدول المجاورة تتحد وتكون دوائر متحدة المركز حول دولة أو دول المركز، ويحدد هانتنغتون وظيفة دولة المركز في النظام العالمي الجديد: "دول المركز تجذب أولئك الذين يشبهونها ثقافياً وتطرد المختلفين عنها"[3]. إن وسيلتي "الجذب والطرد" التي تقوم بها دولة المركز، تؤدي إلى تقسيم العالم ثقافياً، ومن ثم إلى حضارات متصارعة، بسبب الثقافة والوعي المشترك بين الدول ودولة المركز في كل حضارة. إذن ما مكانة دولة المركز في النظام العالمي الجديد؟

بالإضافة لوظيفة دولة المركز في ظل السياسة الكونية الجديدة "الجذب والطرد" يعتبر هانتنغتون "دول المركز في الحضارات هي مصادر النظام"[4]. حيث تلعب دوراً داخل الحضارة ثم بين الحضارات الأخرى، عن طريق التفاوض مع دول المركز في الحضارات كافة.

---

[1] فائز محمود وسجى زيدان. مرجع سابق، ص: ٣١٨-٣١٩.
[2] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٢٥٣.
[3] المرجع السابق. ص: ٢٥٣.
[4] المرجع السابق. ص: ٢٥٤.

حدود الحضارات ودول المركز:

أثناء الحرب الباردة كانت غالبية دول العالم موزعة على الكتلتين[١] "الغربية والشرقية". تقود الولايات المتحدة "العالم الحر" الكتلة الغربية، أما الاتحاد السوفيتي "العالم الاشتراكي" فيقود الكتلة الشرقية. وكانت الدول موزعة على هاتين التكتلين دون النظر للثقافة، أي أن الكتلة الواحدة كانت تقام على دول عدة من حضارات مختلفة.

ويرى هانتنغتون أن تلك التكتلات تفتت بنهاية الحرب الباردة، والعالم يتم إعادة تشكيله وفق الاعتبارات الثقافية "ذوبان الاتحاد السوفيتي، وبخاصة حلف وارسو، تم بشكل درامي، "العالم الحر" المتعدد الحضارات، والذي كان موجوداً أثناء الحرب الباردة، يتم إعادة تشكيله بطريقة مشابهة، وإن كان ببطء، في تجمع جديد ممتد مع الحضارة الأوروبية تقريباً". ويحدد هانتنغتون حدود الحضارات ودول المركز، كي يوضح النظام الناشئ الذي يتكون من الحضارات ودول المركز. وقد جاء تعيين حدود الحضارات ودول المركز عند هانتنغتون كالتالي:

---

[١] الكتلة الغربية كانت تضم أثناء الحرب الباردة الدول الغربية بالإضافة إلى دول متنوعة مثل: تركيا واليونان واليابان وكوريا والفلبين وإسرائيل، وإلى حد ما دولاً أخرى مثل تايوان وتايلاند وباكستان. وكذلك الكتلة الشرقية كانت تضم أيضاً دول متنوعة مثل: البلاد الأرثوذكسية باستثناء اليونان وعديد من الدول التي كانت غربية تاريخياً، فيتنام وكوبا. انظر: صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٢٥٦.

أولاً: الحضارة الغربية: في ظل وجود الاشتراكية بوصفها أيديولوجيا كانت حدود الحضارة الغربية غير واضحة، وذلك لوجود دول عدة في أوروبا تعمل وفق الأيديولوجيا الاشتراكية وتدور في فلك الاتحاد السوفيتي السابق، والسؤال الذي يطرحه هانتنغتون: ما أوروبا؟ وقد أجاب بأن حدود أوروبا الشمالية والغربية والجنوبية، هي الماء فهي واضحة وثابتة. ولكن تكمن مشكلة في الخط الفاصل، فالحضارة الغربية والحضارة الروسية والإسلامية هي الحدود الشرقية، ويجيب هانتنغتون عن هذا التساؤل من خلال الدين، حيث تنتهي الحضارة الغربية، حيث ينتهي الدين المسيحي ويبدأ الإسلام والأرثوذوكسية.

ثانياً: الحضارة الأرثوذوكسية روسيا: كتلة حضارية تشبه في جوانب كثيرة منها كتلة الغرب في أوروبا وهي التي خلفت الإمبراطورية القيصرية والاشتراكية، ومركز هذه الحضارة هي روسيا. وتضم روسيا دولتين ذات الأغلبية الأرثوذوكسية وهي: بيلاروسيا "روسيا البيضاء" ومالدافيا، وكذلك دولاً عدة لها امتداد أرثودوكسي وثقافي لروسيا مثل: كازاخستان التي يبلغ نسبة الروس فيها ٤٠٪، وأرمينيا الحليف التاريخي لروسيا، هذا بالإضافة إلى علاقاتها العميقة مع الدول الأرثوذوكسية في آسيا.

إن خط التقسيم الحضاري[١] يمر في دولة أوكرانيا التي يعتبرها هانتنغتون دولة مصدوعة "في الماضي كانت أوكرانيا الغربية جزءاً من بولندة أو ليتوانيا أو الإمبراطورية النمساوية - المجرية، كقطاع كبير من سكانها يتبعون الكنيسة الشرقية

[١] خطوط التقسيم الحضاري: وهو الخط الفاصل بين دول الجوار المنتمية إلى حضارات مختلفة، أو بين جماعات ثقافية تنتمي لحضارات مختلفة داخل دولة ما، وكذلك بين جماعات تحاول إقامة دول جديدة، كما حدث للاتحاد السوفيتي السابق بعد تفككه، ويوغسلافيا السابقة. انظر: المرجع السابق، ص: ٣٣٦.

التي تمارس الشعائر الأرثوذكسية، ولكنها تعترف بسلطة البابا"[١]. دولة أوكرانيا تدين بالمسيحية البرستانتينة والأرثوذوكسية فالشعب يحمل الثقافة الغربية والشرقية في آن واحد، لذا هي دولة صدع.

ثالثاً: الحضارة الصينية[٢]: يصف هانتنغتون الحضارة الصينية من خلال

[١] المرجع السابق. ص: ٢٧٠.

[٢] كانت محور مهم في أطروحات فوكوياما وهانتنغتون، فقد اعتبر فوكوياما الحضارة الصينية حضارة ثانوية، ولا يمكن تعميمها بوصفها أيديولوجيا عالمية، ومن ثم يؤكد تفوق الأيديولوجيا الليبرالية عالمياً، أما هانتنغتون فقد اعتبرها "محرك للشر"، لأنها تدعم الحضارة الإسلامية بالسلاح والمشاريع الاقتصادية، وأن هناك تقارباً صينياً إسلامياً ضد الغرب.

الحضارة الكونفوشية: سميت بهذا الاسم نسبة للفيلسوف كونفوشيوس٥٥١ ق.م- ٤٧٩ ق.م، الذي عاش في عصر إضراب دولة "لو lu" وهي إحدى ولايات الصين القديمة، فكرس نفسه لتصحيح مسار المجتمع من خلال فلسفته الإنسانية، فقد حدد مبادئ عدة تجعل من البشر مخلوقات إنسانية.

جون كولر. الفكر الشرقي القديم، ت كامل حسين الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥، ص٣٣٣-٣٣٥.

وقد وضع العالم الأمريكي مايكل هارت "كونفوشيوس" من بين أعظم مائة شخصية ذات تأثير على التاريخ الإنساني، وكان تصنيفه في المركز الخامس، ويعيد ذلك لعدة أسباب أهمها: كونفوشيوس هو أول فيلسوف يضع مذهباً لكل الأفكار الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى، وقد ظلت أفكاره تتحكم في سلوك الناس أكثر من ألف سنه.

أنيس منصور. الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨، ص٣١.

أما في عالم اليوم الصين فتعتبر قوة اقتصادية عالمية، وتريد أن تصبح قوة سياسية وعسكرية عظمى، وفي المقابل يتراجع معدل التصنيع والانتاج في أوروبا وأمريكا واليابان فولفجانج هيرون. التحدي الصيني، ت محمد حسين، كتاب العربية ١٤،الرياض: وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية، ٢٠١١، ص٧.

نموذجين، الأول تاريخي: كانت الصين تاريخياً تضم منطقة صينية كبيرة تشمل كوبا وفيتنام وجزر ليوشيو وأحياناً اليابان، بالإضافة إلى المناطق الداخلية في آسيا مثل المغول والأيغور والأتراك وسكان التبت. أما الثاني حضاري: وهي الحضارة الصينية المعاصرة والتي أصبحت تتكون من الصين والأقاليم البعيدة، والتي هي جزء من الصين رغم أنها تتبع لحضارات مختلفة، كالتبت وجين جيانج، وبكين التي قد تكون جزءاً من الصين، وكذلك هناك دول تشترك مع الصين في الثقافة كتايلاند وفيتنام وماليزيا وإندونيسيا والفلبين وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، هذه الدول تشترك مع الصين في الثقافة الكونفوشية. يؤكد هانتنغتون أن الهوية الصينية تتحد على أساس جنسي، بمعنى آخر: الصينيون هم من نفس الجنس والدم والثقافة. يمكن القول إن الحضارة الصينية وفقاً لمعيار هانتنغتون تتحدد وفق الجنس وليس الدين كما في الحضارة الغربية والحضارة الشرقية.

رابعاً: الحضارة الإسلامية: إن الحضارة الإسلامية عكس الحضارة الغربية من وجهة نظر هانتنغتون، حيث إن قمة الولاء السياسي في الحضارة الغربية هي الدولة القومية، أما في الحضارة الإسلامية في القبيلة والعشيرة. يرى هانتنغتون الدول العربية الحالية هي دول اعتباطية لأن حدودها لا تتطابق مع حدود الجماعات الإثنية مثل البربر والأكراد، وجاءت هذه الحدود نتيجة الاستعمار بعد نهاية الإمبراطورية العثمانية التي تركت الحضارة العربية دون دولة مركز "غياب دولة مركز إسلامية عامل مساعد وأساسي على الصراعات الخارجية والداخلية المستمرة التي تميز الإسلام، وعلى الوعي دون تماسك، كما أنه مصدر ضعف بالنسبة للإسلام ومصدر تهديد

للحضارات الأخرى"[١]. لم تكن الحضارة الإسلامية دون دولة مركز عبر تاريخها فقد كانت تحت قيادة الخليفة، أما في العالم المعاصر فكانت تحت قيادة الإمبراطورية العثمانية، وبعد تفكك الخلافة العثمانية، واستعمار الغرب للدول العربية، بقيت دون دولة مركز. وتجاهل هانتنغتون عرض دور الحضارات الباقية في النظام العالمي الجديد التي ذكرها في بداية أطروحته وهي: اليابانية، الهندية، أمريكا اللاتينية، إفريقيا. وقد ركز على الحضارات التي قد تؤثر على الحضارة الغربية في المستقبل.

إن رؤية هانتنغتون للحضارات وصدامها مقروناً بعلاقتها مع الغرب، حيث إنه لا يرى أي تأثير لليابان، فاليابانيون وإن كان لهم حضارة متميزة إلا أنهم أصبحوا جزءاً من الغرب، أما الحضارة الروسية فالكثير من الدول التي استقلت، تعتبر جزءاً من الغرب، وكذلك الحال بالنسبة لأمريكا اللاتينية، أما الحضارة الهندية فهي تعاني من تمزق داخلي بسبب الطوائف والأقليات، والحضارة الإفريقية ليست في حسابات هانتنغتون، وتبقى الحضارة الصينية والإسلامية التي سوف تتواجه مع الغرب[٢].

وينتقد جونثان فوكس Jonathan Fox تقسيم الحضارات في أطروحة هانتنغتون، حيث ينص في أجزاء عدة من أطروحته، وبشكل واضح، أن هناك حضارة بوذية، وفي تقسيماته للحضارات نجد أنه ينفي وجود البوذية بوصفها حضارة[٣].

[١] المرجع السابق. ص: ٢٨٩.

[٢] فائز محمود وسجى زيدان. مرجع سابق، ص: ٣٢٠.

[3] Jonathan Fox. previous reference, p:421.

إن ما يلفت الانتباه في تصنيف هانتنغتون للحضارات هو عدم التزام مقياس واحد للتصنيف: فالحضارة الغربية نسبة للغرب وهو من جهة جغرافية، والحضارة الكونفوشية نسبة إلى الفيلسوف كونفوشيوس، والحضارة اليابانية نسبة للبلد، والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين، والحضارة السلافية الأورثوذكسية نسبة إلى عرق ودين في آن واحد، أما الحضارة اللاتينية والإفريقية نسبة إلى قارة وعرق[١]. وهذا يعتبر إخلالاً في المنهجية العلمية، حيث إن "المنهجية العلمية تتطلب تحديد المعايير والمفاهيم، وبالتالي كان على هانتنغتون أن يصنف جميع الحضارات باستخدام معيار واحد فقط"[٢]. التنوع في المعايير عند هانتنغتون يتماشى مع أطروحته، وذلك لإبراز دول المركز والدول التابعة لها.

---

[١] محمد الجابري. مرجع سابق، ص: ١٠٣.

[٢] أنور زناتي. مرجع سابق، ص: ٢٣٣.

المبحث الثالث:

فلسفة صدام الحضارات عند هانتنغتون

تصنيف الحضارات ودول مراكزها الذي ذكره هانتنغتون، يتنبأ من خلاله بأن الحضارات سوف تتصادم في النظام العالمي الجديد. في هذا المبحث سوف نتناول هذه الصراعات الناشئة بين الحضارات وخطوط التقسيم بينها، وكيفية حدوث هذه الصراعات في النظام العالمي الجديد، وفقاً لرؤية هانتنغتون. ومن ثم تحليل هذه الرؤية التي جاءت للبحث عن أعداء جدد للإمبراطورية الأمريكية. فقد قسم الأعداء للحضارة الغربية والإمبراطورية الأمريكية إلى ثلاثة مستويات وهي: حضارات التحدي، ومدى تطبيق حقوق الإنسان والديمقراطية، والهجرة إلى الحضارات الغربية. فيقول هانتنغتون واصفاً العالم الناشئ:

"في العالم الناشئ، لن تكون العلاقات بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة علاقات وثيقة، بل غالباً ما ستكون عدائية، يبد أن هناك علاقات أكثر عرضة للصراع من غيرها، فعلى المستوى الأصغر، فإن أشد خطوط التقسيم الحضاري عنفاً هي تلك الموجودة بين الإسلام وجيرانه الأرثوذكس والأفارقة والمسيحيين الغربيين. وعلى المستوى الأكبر، فإن التقسيم السائد هو بين الغرب والآخرين، مع أشد الصراعات القائمة بين المجتمعات الإسلامية وبعضها من جهة، والمجتمعات الإسلامية والغرب من جهة أخرى. ومن المرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني"[1].

---

[1] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٢٩٣.

يعود هانتنغتون للعلاقات الدولية، مستخدماً مستوياتها لتقسيم الحضارات، فالمستوى الأصغر لديه هو العلاقات الإقليمية، أما المستوى الأكبر فهي العلاقات الدولية في النظام العالمي. والتكتلات القادمة في النظام العالمي نابعة من الحضارات، الدول التي من الثقافة نفسها سوف تكون بينها علاقات جيدة لأنها من حضارة واحدة "كتلة واحدة"، أما الحضارات الأخرى فسوف تكون العلاقات عدائية لأنها ستكون من تكتلات مختلفة. بينما يعرض أشد الحضارات عدائية بالنسبة للغرب هي الحضارة الإسلامية والصينية ضد الحضارة الغربية، وهذا ما سوف نتعرف إليه في عرضنا للحضارات وعلاقاتها الناشئة.

الحضارة الغربية والحضارات الأخرى:

يرى هانتنغتون أن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة التي كان لها تأثير على جميع الحضارات وأحياناً مدمر نتيجة التوسع الاستعماري وتبعياته الثقافية والفكرية. العلاقة بين قوة وثقافة الغرب وقوة وثقافة الحضارات الأخرى هي السمة البارزة لصدام الحضارات، لأن الحضارات الأخرى تزداد ثقة الشعوب بثقافتها الأصلية. والمشكلة الرئيسة بين الغرب والباقي، ومن ثم هذا التنافر بين جهود الغرب في نشر الثقافة الغربية، بوصفها ثقافة عالمية، وانخفاض قدرته على تحقيق ذلك[1].

وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي يعتقد بعض مفكري الغرب وعلى رأسهم فوكوياما بأن الثقافة والفكر الغربي سوف ينتشر، على خلاف تنبؤ هانتنغتون الذي أوجد نظام الحضارات. إن فرض الحضارة عن طريق القوة سيجعل الحضارات

---

[١] المرجع السابق. ص: ٢٩٣.

الأخرى رهينة لهذه الحضارة، رافضين كل تجلياتها، فما بالنا إذا كانت هذه الحضارة ليست سوى تكنولوجيا، والروح التي تعتمد عليها الحضارة الغربية "الأمريكية" هي الروح السيادية والفوقية[١]. ويؤكد هانتنغتون قوة الحضارة الغربية: "الغرب الآن مسيطر بشكل طاغ وسيظل رقم واحد من ناحية القوة والنفوذ في القرن الواحد والعشرين"[٢]. ويعتقد أن الحضارة الغربية بدأت تنهار مقارنة بالحضارات الأخرى، التي نصيبها من القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية في هبوط بالنسبة لنصيب الحضارات الأخرى. إلا أنه يطرح بأن هذا الانهيار لا يسير في خط مستقيم، لأن الحضارة الغربية لديها إمكانيات عظيمة للتجدد. ويحدد مصادر التجدد والقوة في الحضارة الغربية بالبحث العلمي والإبداع التكنولوجي في المجالات كافة.

ومن خلال عرضه للحضارات العالمية وعلاقتها بالحضارة الغربية، يكون قد حدد هانتنغتون هدف أطروحته، وهو البحث عن الحضارة التي تتحدى الحضارة الغربية، وتسعى لمنافستها في السياسة الكونية الجديدة لما بعد الحرب الباردة، وقد أوجد هذا العدو من خلال تحليلاته للحضارات العالمية ومدى تأثيرها على الحضارة الغربية، والحقيقة التي يؤكدها هانتنغتون أن ضعف المسلمين وتفككهم هو الذي يؤدي إلى العنف، ويستبعد بشكل قاطع أن يكون الغرب سبباً لغضب المسلمين، ويظهر الحضارة الغربية بمظهر العم الطيب.

---

[١] حسن الباش. صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟، ط٢، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص: ٣٢.

[٢] صمويل هانتنغتون. ص: ١٣٥.

الغرب وحضارات التحدي:

يؤكد هانتنغتون في أُطروحته أن الحضارات التي تتحدى الحضارة الغربية هي: الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية "علاقات الغرب بالإسلام والصين متوترة على نحو ثابت، وعدائية جداً في معظم الأحوال"[١]. يرى هانتنغتون أن علاقة أمريكا اللاتينية وإفريقيا هما أضعف من مجابهة الغرب ومعتمدتان عليه، بينما يرى أن علاقات روسيا واليابان والهند بالغرب من المرجح أن تكون وسطاً بين العلاقات من المجموعتين السابقتين، ويطلق عليهم حضارات "التأرجح".

تحليل هانتنغتون وتأكيده على خطوط نزاع سياسية محددة، أضعف أطروحته، إذ يرى فيها وراء النطاق العربي حدثين مهمين: أحداهما "شهادة إثبات آسيوية" بمعنى: الصعود الاقتصادي والسياسي لشرق وجنوب شرق آسيا شكلا معاً محور جاذبية جديد للسياسة العالمية. والثاني النهضة الإسلامية، بمعنى إحياء الإسلام بوصفه قوة سياسية، ويقيم هانتنغتون علاقة تواطؤ تضم "الكونفوشية والإسلام" تجمع قوى الحضارتين في نزاعتهما مع الغرب[٢].

يحصر هانتنغتون الصدام الحضاري ليكون ثنائي الأطراف، الغرب من جهة والإسلام والصين من جهة أخرى، بالرغم من الاختلافات الثقافية بين الإسلام والصين، إلا أن هانتنغتون يؤكد أن العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة للإسلام

---

[١] المرجع السابق. ص: ٢٩٥.

[٢] ديتر سنغاس. الصدام داخل الحضارات "التفاهم بشأن الصراعات الثقافية"، ت شوقي جلال، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث- كلمة، ٢٠٠٨، ص: ١٣٧.

والصين. ويعتمد في تحليلاته على إبراز المخاطر المحتملة على الحضارة الغربية. بينما يرى فائز محمود وسجى زيدان التحدي بين الغرب والحضارات العالمية يأتي حسب إمكانية اندماج الحضارات في الحضارة الغربية، فالحضارات كافة تسعى للانضمام إلى الغرب وليس لها أي تأثير مستقبلاً على الحضارة الغربية، إذن العدو المستقبلي للغرب سوف يكون إما الحضارة الصينية أو الحضارة الإسلامية[1].

موقف هانتنغتون من الحضارة الإسلامية:

في حديث هانتنغتون عن الحضارات، ذكر بأن الحضارة الإسلامية لا يوجد لها دولة مركز، والعالم الإسلامي والعربي منذ استقلاله من الاحتلال الأوروبي وهو قائم على الأمن القُطري بالرغم من وجود كافة العوامل التي تساعد على قيام وحدة عربية مثل: "اللغة، الدين، الإقليم، الثقافة". ففي ظل الحالة العربية الراهنة يعتبر هانتنغتون الحضارة الإسلامية حضارة تحدي للحضارة الغربية، بل تشكل الحضارة الإسلامية الخطر الأكبر للعالم الغربي في نظام الحضارات الناشئ. إذن لماذا يرى هانتنغتون الحضارة الإسلامية هي الخطر القادم؟ وكيف يفسر التحدي الإسلامي للحضارة الغربية بالشراكة مع الصين؟

يعتبر هانتنغتون التحولات منذ السبعينيات في العلاقات بين الحضارة الإسلامية والغربية تحمل معادة للغرب، ومن علاماته صعود الأصولية وتحولات القوة داخل الدول الإسلامية، من حكومات أكثر موالاة للغرب إلى حكومات أكثر عداء له، وكذلك ضعف العلاقات الأمنية التي كانت قائمة بين بعض الدول

[١] فائز محمود وسجى زيدان. مرجع سابق، ص: ٣٢٠.

الإسلامية والولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة. ويفسر العلاقات الجيدة مع بعض الدول العربية والولايات المتحدة بعدم وجود دولة مركز للحضارة الإسلامية، ولهذا تتباين العلاقات من دولة عربية إلى أخرى.

إن السعي وراء امتلاك القوة العسكرية من قبل الدول الإسلامية والكونفوشية يعتبره هانتنغتون تحدياً للغرب والولايات المتحدة التي تمتلك أكبر ترسانة عسكرية، التي تستوردها من الصين، ويؤكد امتلاك أسلحة بيولوجية ونووية لدى الدول الإسلامية "العراق لديها إمكانيات حرب كيماوية كبيرة، وكانت تبذل جهوداً واسعة للحصول على أسلحة بيولوجية ونووية"[١]. يعتبر هانتنغتون أن نشر الأسلحة موجود حيث يوجد الاتصال الكونفوشي- الإسلامي، وخاصة إيران وباكستان والعراق، وتعتبر هذه الدول من أكبر متلقي الأسلحة الصينية، ولا يخشى هانتنغتون فقط التسلح التقليدي، بل يركز على مساعدة الصين للدول العربية في امتلاك أسلحة نووية، والولايات المتحدة لا تملك إلا سياسة التعويق على انتشار الأسلحة بين الصين والدول الإسلامية، أو عبر المؤسسات الدولية. هانتنغتون يخشى على الغرب من الصلة الإسلامية - الكونفوشيوسية، في إشارة إلى التعاون النووي بين الصين وبعض الدول الإسلامية، ويرى أن الأصولية[٢] النامية في العالم الإسلامي قد تضع

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٠١.

[٢] الأصولية الإسلامية: هي العودة إلى الأصول في العقيدة الإسلامية. ولكن الغرب ركز على هذا المصطلح تسميةً لبعض الحركات الإسلامية المتصادمة مع بعض أنظمة الحكم، ولبعض الحركات الإسلامية في فلسطين ولبنان باعتبارها تقاتل الكيان الصهيوني، وراح الغرب يكيل لهذه الحركات الإسلامية الهجوم تلو الهجوم حتى أصبح مفهوم الأصولية من أخطر المفاهيم وأصحابها من أخطر الناس على الديمقراطية الغربية والحرية والسلام. انظر: حسن الباش. مرجع سابق، ص: ٨٥ وما يليها.

نهاية لتطلعات الغرب، ولن تتعامل مع الغرب إلا في إطار العداء التقليدي[١].

كان هانتنغتون يولي الإسلام اهتماماً أكبر من ذلك الذي يوليه لأي حضارة أخرى، وحاول أن يكرس حتمية الصراع، من خلال استخدام اللغة بشكل بلاغي، لكي يبرز الفارق بين "عالمنا" نحن الأناس الطبيعيين المنطقيين المقبولين، وعالم الإسلام ذي الحدود الدموية والأبعاد الناشئة حسب تعبيره، ولا يحلل هانتنغتون لا يحلل السياسة العالمية بقدر ما يتحدث عن مجموعة أفكار محددة مسبقاً؛ وهي التي تخلق الصدام بين الحضارات[٢]. ويؤكد هانتنغتون أن حقوق الإنسان والديمقراطية من التحديات الكبرى للعالم الغربي: "في السبعينيات والثمانينات، تحول أكثر من ثلاثين دولة من أنظمة سياسية سلطوية إلى أنظمة ديمقراطية، موجة التحول وراءها أسباب كثيرة، العامل الاقتصادي كان بلا شك العامل الرئيسي"[٣]. وقد بحث هانتنغتون في كتاب له بعنوان " الموجة الثالثة للديمقراطية،١٩٩١"، مسألة انتشار الديمقراطية. وبهذا يتفق هانتنغتون مع فوكوياما في أن الاقتصاد وتطوراته تؤدي إلى انتشار الديمقراطية، واختلف معه في قابلية انتشارها، حيث يرجع انتشارها لعوامل ثقافية دينية، "كان التحول الديمقراطي ناجحاً حيث كانت المؤثرات المسيحية والغربية قوية"[٤]. بينما يؤكد أن الديمقراطية في الدول الإسلامية غير واضحة، «أكبر مقاومة لجهود التحول الديمقراطي جاءت من الإسلام ومن آسيا وكانت هذه

[١] أنور زناتي. مرجع سابق، ص: ٢٢٨.

[٢] محمد حسن. مرجع سابق، ص: ٢٩.

[٣] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٠٩.

[٤] المرجع السابق. ص: ٣٠٩.

المقاومة عميقة الجذور في الحركات العريضة للتوكيد الثقافي المتجسد في الصحوة الإسلامية والإصرار الآسيوي».

ويمكن الرد على رأي هانتنغتون المتحامل على الإسلام، بأن الإسلام جاء بالعدل والمساواة والديمقراطية قبل ١٤٠٠عام، الدين الإسلامي أقر العدل في الحكم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، وجاء اتخاذ القرار في الإسلام من خلال الشورى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران: ١٥٩]. وفي ذلك الوقت كانت أوروبا تغرق بالجهل والاستبداد، وإذا كان هناك خطأ في ممارسة الشورى والديمقراطية في البلدان الإسلامية، فإن هذا لا يعني بأن الإسلام هو العقبة الأساسية أمام الديمقراطية، فهذا عيب في المسلمين وليس في الإسلام. وقد أقر الإسلام العلاقات بين الحضارات من خلال التعاون والحوار، وليس كما يدعي هانتنغتون بأن العلاقات بين الحضارات هي صدام وتحد، وخاصة بين الغرب والإسلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن هذا التصور لدى هانتنغتون يظهر النزعة والتمييز والثنائية بصورة بليغة في الإدراك الغربي، وخصوصاً بعد أن جعل مركزية الغرب هي المعيار في الفكر والوجود، وحاول تبعاً لذلك اختراع العدو عبر تقسيم العالم إلى أقسام جغرافية وسياسية وفكرية[١].

---

[١] محمد عطوان. مرجع سابق، ص: ٢٤٥.

يرى هانتنغتون أن الحضارة الإسلامية مرتبطة بالاستبداد ولا تدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان، الموجودة في الثقافة الغربية[1]. فعندما نتحدث عن العدالة والحريات والممارسة الفعلية لها، نجد أن عداء الغرب للإسلام والمسلمين هو عداء للحرية الجوهرية للإنسان، وهو عداء للمساواة، فهل يقبل الغرب التخلي عن مصالحه الاستراتيجية في بترول الأرض العربية وثرواتها وموقعها الاستراتيجي، هل يستطيع الغرب أن يمنح التكنولوجيا المتطورة للمسلمين، حتى يتسنى له إنهاء الصدام وفتح أفق للحوار[2].

إن الإسلام جاء بالحقوق الإنسانية قبل الغرب بقرون، بل هناك حقوق حفظها الإسلام ولم يحفظها الغرب للإنسان حتى اليوم، كالميراث وحقوق الجنين، فالقرآن الكريم حفظ حقوق الإنسان قبل ١٤٠٠ عام، والغرب أقر حقوق الإنسان في "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" عام ١٩٤٨.

[1] Jonathan Fox. previous reference, p:420.

[٢] حسن الباش. مرجع سابق، ص: ٨٧.

الهجرة والتضخم الديمغرافي:

الهجرة هي التحدي الأخير الذي يواجه الحضارة الغربية بقوة في النظام العالمي الجديد، خاصة الهجرات العربية على الدول الأوروبية وحضارتها، "إذا كانت الديموغرافيا قدراً، فإن حركة السكان هي محرك التاريخ"[1]. فبالرغم من أن أوروبا شكلت أكبر غزو ديمغرافي في القرن التاسع عشر، وخاصة في قارة أمريكا، فلماذا يخشى هانتنغتون الهجرة في تحليلاته لنظام الحضارات الناشئ؟

يعتبر هانتنغتون الغزو الديمغرافي خطراً قائماً على الحضارة الغربية لعدم اندماج المهاجرين في حضارة الوافدين إليها المجتمعات الإسلامية، سواء التركية في ألمانيا أو الجزائرية في فرنسا، لم يتم اندماجها في الثقافات المضيفة. ومن ناحية أخرى قلق هانتنغتون الشديد من الهجرة وخاصة الإسلامية إلى الحضارة الغربية هو قلق مستقبلي على التركيبة السكانية في الغرب، "القضية ليست ما إذا كانت أوروبا سوف تتحول إلى الإسلام أو الولايات المتحدة إلى الإسبانية، القضية هي أن أوروبا وأمريكا ستصبحان مجتمعات مشقوقة أو مصدوعة تضم مجتمعين متمايزين ومنفصلين من حضارتين مختلفتين إلى حد كبير"[2]. والحل عند هانتنغتون لهذه القضية يتوقف على عدد المهاجرين ومدى استيعابهم في الثقافة الغربية.

هناك كثير من المفكرين والمنظرين الغربيين الذين كانت لهم آراء حول الإسلام وخطره على الغرب، وجاء التنظير الأكثر أهمية حول الانفجار الديمغرافي

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣١٨.

[٢] المرجع السابق. ص: ٣٢٩.

في المجتمعات الإسلامية، ووجود أعداد كبيرة من الشباب الذكور بين "١٥ و٣٠" سنه والعاطلين غالباً عن العمل، وهذه البطالة مصدر طبيعي لعدم الاستقرار داخل الإسلام أو ضد غير المسلمين محمود وزيدان، ٢٠١٣، ص٣٢٥. بينما يرى إيف لاكوست أن مفاد أطروحة هانتنغتون، هو إلى حد كبير نتيجة للتضخم الديمغرافي في العالم الإسلامي حيث ازداد عدد السكان بنسبة ثلاثة أضعاف خلال حوالي أربعين سنة. وهذا يشكل في زعمه السبب الذي سيجعل العالم الإسلامي يتوسع على حساب العالم المسيحي، وهذا يعني أن مفاد نظرة هانتنغتون نتيجة لضغوطات ديمغرافية غير متكافئة لاكوست، ٢٠١٠، ص٤٨. وهذا ما أكده في كتابه الجديد "من نحن؟[١]" عام ٢٠٠٤، فبعد تحذيره من خطر الحضارة الإسلامية والصينية، عاد ليؤكد على الهوية الأمريكية ومدى تأثيرها من الهجرات الوافدة إليها.

من خلال قراءة أمين شلبي لكتاب هانتنغتون الجديد "من نحن" يقول: "يحذر هانتنغتون من الخطر الذي تتعرض له الهوية والثقافة الأمريكية، كما تشكلت على مدى ثلاثة قرون وجوهرها الأنجلوبرتستانتي، من القوة المتعاظمة من الأمريكيين من أصول لاتينية وخاصة المكسيكيين، حيث باتوا يشكلون أكبر أقلية في الولايات المتحدة وأصبح تعدادهم حوالي ٤٠ مليون نسمة، وبشكل أصبح يهدد بانقسام ثقافي ولغوي في المجتمع الأمريكي"[٢]. لذا يشعر هانتنغتون بالخطر المستقبلي على

[١] من نحن؟: Who Are we? ٢٠٠٤ كتاب هانتنغتون الصادر عام ٢٠٠٤، والذي يبحث عن أزمة الهوية الأمريكية خاصة بعد أحداث ١١أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وأثر الهجرات المستمرة للولايات المتحدة.

[٢] أمين شلبي. أمريكا والعالم متابعات في السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠- ٢٠٠٥، القاهرة: نشر وتوزيع عالم الكتب، ٢٠٠٥، ص: ١٥٧.

الولايات المتحدة من الداخل، وكذلك تعاظم العداء للولايات المتحدة من خلال ممارسة سياستها الانفرادية في النظام العالمي الجديد.

الصراعات الحضارية الناشئة:

"الحضارات هي القبائل الإنسانية النهائية، وصدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق كوني. في العالم الناشئ"[1]. يرى هانتنغتون الصدام بين الحضارات هو الصراع الأخير في الكون، ويؤكد أن العلاقات بين الحضارات المختلفة هي علاقات مصالح ضد حضارة ثالثة، ومن ثم لن تكون العلاقات بين الحضارات المختلفة وثيقة، مؤكداً أن العلاقات بين الحضارات هي صراع وتنافس. الصدام بين الحضارات هو أحدث مرحلة في تطور النزاعات في العالم الحديث، وهذه النزاعات كانت، في المقام الأول، نزاعات داخل الحضارة الغربية حيث كانت حروباً بين الدول الغربية، ومع انتهاء الحرب الباردة انتقلت السياسات العالمية من طورها الغربي ليصبح محورها الأساس التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى[2].

شهد العالم صراعات دامية على مدى تاريخ البشرية، إلا أن النصف الأول من القرن العشرين شهد نشوب حربين عالميتين، وكانت أكثر دموية من أي حروب أخرى شهدها العالم. فقد التهمت هاتان الحربان أكثر من ٥٠ مليون من البشر، بما يقترب من أعداد ضحايا حروب العالم السابقة في التاريخ المعروف، وما يثير الانتباه

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٣٥.

[٢] قيس راهي. مرجع سابق، ص: ٢٥٥.

أن الحربين لم تكونا بين حضارتين مختلفتين، بل كانت داخل الحضارة الغربية[١]. وهذا يؤكد أن الصراع لا يكون بين ثقافات مختلفة، وإنما بين مصالح سياسية مختلفة تسعى لفرض هيمنتها على قوى أخرى. وبالعودة لتاريخ أوروبا الوسيط نستطيع أن نقرأ طبيعة الحياة الدينية التي انعكست على الحياة العامة والسياسية وفرض سيطرة الكنيسة على الدولة. ويرى صلاح قنصوه أن هانتنغتون يسقط تاريخ أوروبا من الذاكرة والحروب الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت، وكأنها نوع من المشاجرات والخلافات ولم يذكر لنا لماذا نشأت البروتستانتية[٢] في القرن السادس عشر بالذات؟، ويضيف صلاح قنصوه أن المسيحية ليست ابتكاراً غربياً، بحيث يمكن أن نجعل منها

---

[١] أنور زناتي. مرجع سابق، ص: ١٩٩.

[٢] البروتستانت Protestant: في أوائل القرن السادس عشر ظهر في العالم المسيحي طائفة جديدة أطلق على معتنقيها "البروتستانت"، وهي كلمة لاتينية تعني المحتجين أو المعترضين، والتي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر. وترجع جذور النشأة إلى الانحلال الديني في العصور الوسطى والفساد الذي بدأ في الكنيسة وطقوسها، وفرض رأي الكنيسة في الأمور غير الدينية، كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة والشؤون السياسية ونظام الحكم، انظر: سليمان الخراشي. الكاثوليك.. الأرثوذوكس.. المارون.. البروتستانت، موقع صيد الفوائد www.saaid.net لهذه الأسباب ظهرت حركة الإصلاح الديني ومن أهم دعاتها: مارتن لوثر ١٤٨٣-١٥٤٦، الذي رفض "صكوك الغفران" وعلق احتجاجاً على باب الكنيسة في ألمانيا. وكالفن ١٥٠٩-١٥٦٤، بعد وفاة لوثر دعي كالفن إلى البروتستانتية ومن خلال كتاباته ورسائله التي نشرت يعتبر هو من كتب مبادئ البروتستانت. إن حركة الإصلاح الديني بمضمونها تعبر عن التوفيق بين متطلبات عصر النهضة ومتطلبات العالم القديم، وقد استجابت لمتطلبات عصر النهضة وأكدت أهمية الإنسان ودورة الفاعل في الحياة العامة. انظر: عبد الرضا الطعان. مرجع سابق، الصفحات: ٢٢٩-٢٤٠.
ومنذ عصر النهضة إلى اليوم انتشرت البروتستانتية في أوروبا الغربية التي مجدت الإنسان بالتوافق مع ظهور البرجوازية التي مجدت من حريته الفردية.

سمه فارقة للغرب[1]. فقد اعتبر هانتنغتون المسيحية الغربية سبباً رئيساً في التحول الديمقراطي لأنظمة الحكم في الدول في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين. بينما يبحث هانتنغتون تاريخ العداء بين الإسلام والمسيحية منذ فجر الإسلام وبداية الرسالة المحمدية "العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثوذوكسية أو الغربية كانت عاصفة غالباً... صراع القرن العشرين بين الديمقراطية والليبرالية والماركسية اللينينية، ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية".

أما في أواخر القرن العشرين، فتحدث هانتنغتون عن زيادة وتيرة الصراع بين الإسلام والغرب "في منتصف التسعينات كان هناك ١٩ صراعاً بين المسلمين والمسيحيين من مجمل ٢٨ صراعاً بين المسلمين وغير المسلمين عبر خطوط التقسيم الحضاري، إن واحداً فقط من هذه الصراعات العنيفة هو ذلك الذي حدث مباشرة بين "الكروات والبوسنيين" على طول خط التقسيم بين الغرب والإسلام"[2]. بالإضافة إلى الصراعات في آسيا "من المرجح أن تظل الهند مع باكستان متصارعة حول كشمير"[3]. يصنف هانتنغتون كافة النزاعات والقضايا الحدودية التي كانت موجودة منذ زمن الحرب الباردة على أنها صراع حضارات.

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ١٣-١٤.

[٢] المرجع السابق. ص: ٣٤٣.

[٣] المرجع السابق. ص: ٣٩٥.

يحدد هانتنغتون مجموعة من العوامل التي تزيد من حدة الصراع بين الإسلام والغرب، وهي:

١. النمو السكاني في الحضارة الإسلامية، أدى إلى زيادة نسبة العاطلين عن العمل والمجندين للقضايا الدينية والراغبين في الهجرة للدول الغربية.

٢. العودة للدين الإسلامي زادت من الثقة لدى المسلمين في حضارتهم وقيمهم مقارنة بالحضارة الغربية.

٣. تعميم النموذج الغربي والتفوق العسكري والاقتصادي، والتدخل في الصراعات الدولية ولد استياءً شديداً لدى المسلمين.

٤. سقوط الشيوعية أزال عدواً مشتركاً للغرب وللمسلمين وترك كلاً منهما كي يصبح الخطر المتصور على الآخر، وهذا من الناحية الواقعية غير صحيح، لأن هناك دولاً عربية تحكم وفق نظام اشتراكي حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وكذلك ما زالت العلاقات بين روسيا الاتحادية ودول عربية قوية حتى لو كانت هذه العلاقة قائمة على المصالح.

٥. التداخل والاختلاط بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين إحساساً بهويته الخاصة.

مقياس الصدام بين الغرب والإسلام، ليس العدد السكاني أو مقياس القدرة العسكرية التدميرية، إنما هو مقياس صدام القيم الإنسانية الإسلامية مع الفكر

العنصري الرأسمالي الذي يريد سحق الشعوب ليسود نمط شعب آخر اعتبروه متحضراً يستحق قيادة العالم[1]. يرى المراقبون والمفكرون الغربيون أن المشكلة مع الإسلام، قد تبدو هي الندرة الملحوظة للحريات: حرية البحث، والتحرر من التلقين والقيود، والتحرر من الفساد الاقتصادي وسوء الإدارة المستشري. لهذا فإن الواقع لهذا السبب هو الطريق إلى الديمقراطية المحررة الذي يقدمونه باعتباره علاجاً شافياً لكل العلل، والذي تكثر فيه الشراك الأيديولوجية والمؤسسية[2].

ووفقاً لما يقوله سهيل هاشمي: "الصحوة الإسلامية كانت خليطاً متداخلاً من العناصر التي تشتمل على ما تفرد به العالم الإسلامي وما اشترك به مع مجتمعات أخرى تجاوزت مرحلة الاستعمار والاستيطان، وإننا نقلل من أهمية التحدي الإسلامي لو عزونا أسبابه إلى مجرد الاستياء من قوة الغرب وثروته"[3]. إن الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي تعيشها بلدان العالم الإسلامي، ما بين دول غنية ودول فقيرة من جهة، ودول متخلفة ودول إلى حد ما متقدمة من جهة أخرى، ساعدت في الصحوة الإسلامية لدى الأفراد والحركات التي ترى في الدين أيديولوجيا الخلاص.

---

[1] حسن الباش. مرجع سابق، ص: ٢٦٣.

[2] جين هيك. عندما تتصادم العوالم بحث الأسس الأيديولوجية والسياسية لصدام الحضارات، ت أحمد محمود، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث- كلمة، ٢٠١٠، ص: ١٨٤.

[3] سايمون ميردين. مرجع سابق، ص: ٧٩٨

آسيا حلبة صراع الحضارات:

آسيا هي أتون الحضارات، وشرق آسيا وحده يضم مجتمعات تنتمي إلى ست حضارات: اليابانية والصينية والأرثوذوكسية والبوذية والإسلامية والغربية، وجنوب آسيا يضيف إليها الهندوسية. وتضم أيضاً أربع دول مركز: اليابان، الصين، روسيا، الولايات المتحدة. بالإضافة إلى الهند وإندونيسيا، القوة الإسلامية الصاعدة. ويرى هانتنغتون طبيعة آسيا والعلاقات التي تربط بين الحضارات والاختلافات السياسية والاقتصادية تزيد من حدة التناقض والصراع بينها. بالرغم من النمو الاقتصادي في شرق آسيا، إلا أن هانتنغتون تنبأ بمستقبل صراعي بين هذه الحضارات، وذلك نتيجة اختلافات أنظمة الحكم مقارنة بأوروبا الغربية التي يوجد بها ديمقراطيات مستقرة وتكامل اقتصادي متوج بالاتحاد الأوروبي. مع أن دول شرق أسيا يوجد بينها منظمتان للبحث في سبل التنمية الاقتصادية وطريق البداية في تكامل اقتصادي أسيوي كمنظمة آسيان ASEAN.

ويؤكد هانتنغتون وجود صراعات في دول شرق آسيا ويحتمل أن تنشب حرب بين الكوريتين إلا أنه احتمال ضعيف، واحتمالات أن يحارب الصينيون تايوان إذا تخلت تايوان عن هويتها الصينية وأعلنت استقلالها. آسيا هي منطقة حرب باردة بين دول تنتمي لحضارات مختلفة، فهناك الكثير من النزعات الإقليمية في شرق آسيا لم تحل، كتلك التي بين روسيا واليابان على الجزر الشمالية، وبين الصين واليابان، وبين فيتنام والفلبين.

تنبأ هانتنغتون بأن التطورات المستقبلية لصدام الحضارات سوف يكون في آسيا في أوائل القرن الحادي والعشرين، "العلاقات التعاونية والمتصارعة شديدة التعقيد، تضم معظم القوى الكبرى والقوى ذات المستوى المتوسط في المنطقة، أو قد تشكل قوة رئيسة، ونظام دول متعدد الأقطاب ليضم الصين واليابان والولايات المتحدة وروسيا، وربما الهند الذين يتوازنون ويتنافسون مع بعضهم البعض"[١]. يرى هانتنغتون أن تاريخ الصين وحضاراتها وحجمها، تجبرها على اتخاذ وضع هيمنة في المستقبل، وخاصة بعد النمو الاقتصادي السريع في القرن الحالي، بالرغم من الأزمة الاقتصادية العالمية التي لم تؤثر على اقتصاد الصين، بل زادت من تقدمها في السوق الدولية، بالمقارنة مع الدول الغربية التي عصفت بها الأزمة المالية وباقتصادها.

حروب الحضارات:

في ظل النظام العالمي الجديد، ومع انتهاء الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، لم تنتهِ الحروب بل تغيرت عواملها وخواصها، هانتنغتون في أطروحته يوضح أن الحرب الباردة انتهت من السياسة الكونية وبدأت حقبة جديدة وهي حروب الحضارات، والتي يرى أنها آخر مراحل الصراع بين الدول. رغم أن هانتنغتون يستبعد احتمال حرب كونية بين الحضارات ودول مراكزها، إلا أن هذا الفرض لديه ليس مستحيلاً، والواقع أن الصراع سيكون حتمياً في ظل خطوط التقسيم الحضاري.

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٧١.

وصف مهدي المنجرة[1] الحرب على العراق بكونها حرب إبادة حقيقية، نزلت على الشعب العراقي أثناءها أكثر مما يساوي ١٥ قنبلة هيروشيما. كما اعتبر أن حرب الخليج لا تنحصر في كونها حرباً ذات مصالح سياسية واقتصادية وعسكرية، بل تتخطاها إلى كونها حرباً ذات أهداف حضارية[2]. ويختلف هانتنغتون مع المنجرة في بداية الحرب الحضارية، حيث يعتبر هانتنغتون الحرب الروسية - الأفغانية في الفترة ١٩٧٩-١٩٨٩، هي الحرب الحضارية الأولى. مع أن هذه الحرب وقعت في ظل الكتلتين أثناء الحرب الباردة، أما الحرب الحضارية الثانية في حرب الخليج ١٩٩١. ويوضح هانتنغتون كيفية تحول حرب الخليج ١٩٩١ إلى حرب حضارات، "حرب الخليج تحولت إلى حرب حضارات لأن الغرب تدخل عسكرياً في صراع إسلامي، الغربيون دعموا هذا التدخل بأغلبية ساحقة، والمسلمون في جميع أنحاء العالم فهموه على أنه حرب ضدهم"[3]. وعلى صحة فرض هانتنغتون وتماشياً مع أطروحته، لا تعد حرب "العراق - الكويت"، حرباً حضارية، لأن الحرب وقعت لنزاع بين دولتين تنتميان للحضارة نفسها. هذا بالإضافة إلى الدول العربية التي شاركت في الحرب، حيث ضم التحالف الذي تشكل بقيادة الأمم المتحدة من أجل تحرير الكويت، والذي قادته الولايات المتحدة وبمشاركة دول عربية "مصر، سورية، المملكة العربية

---

[1] مهدي المنجرة: باحث في علم المستقبليات ومفكر مغربي، وله العديد من المؤلفات وأشهرها كتاب "الحرب الحضارية الأولى مستقبل الماضي وماضي المستقبل١٩٩١"، الذي ترجم إلى سبع لغات عالمية.

[2] جريدة القدس العربي. الحرب الحضارية الأولى. ماء العنين بويا لندن: السنة العشرون، العدد ٥٩٢٢، ٢٠٠٨، ص: ١٧.

[3] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٤٠١.

السعودية"[١]. وهذا يدل على أن حرب الخليج ١٩٩١ هي حرب لإنهاء نظام الحكم والسيطرة على الموارد الطبيعية في العراق.

خصائص ومميزات حروب التقسيم الحضاري:

يرى هانتنغتون أن حروب خطوط التقسيم الحضاري تتميز بأنها صراعات طائفية بين دول أو جماعات تنتمي إلى حضارات مختلفة، وهي صراعات تحولت إلى عنف، وقد تنشب هذه الصراعات بين الدول أو بين جماعات غير حكومية، أو بين دول وجماعات حكومية. صراعات خطوط التقسيم الحضاري داخل الدول قد تتضمن جماعات تتمركز بشكل عام في مناطق جغرافية محدودة. ويضرب أمثلة على هذه الصراعات كما هو الحال بين الهندوس والمسلمين في الهند، والمسلمين والصينين في ماليزيا. أما عن الصرعات الإثنية[٢]، فقد حدثت أهم هذه الحروب بين الصرب

[١] إيف لاكوست. مرجع سابق، ص: ٤٥.

[٢] الإثنية Ethnic: شاع استخدم مصطلح الإثنية منذ بدايات القرن العشرين، وكلمة إثني Ethnic من أصل إغريقي وتعني الوثني أو الهمجي غير المتمدن، أما Ethnos بمعنى أمة، قد أطلقت بصفة خاصة على الأمم من غير بني إسرائيل، بينما استخدم اللفظ في العصور الوسطى للإشارة لمن هم غير اليهود أو المسيحيين. وتعرف الموسوعة البريطانية الإثنية: جماعة اجتماعية أو فئة من الأفراد في إطار مجتمع أكبر. تجمعهم روابط مشتركة من العرق واللغة والقومية أو الثقافة.

وتستخدم كلمة "إثنية" مرادفة لكلمة "القومية"، ولكن هناك فارق بين "الإثنية" و"العرقية": الهوية الإثنية تركز على سلالة مشتركة، وعلى إرث ثقافي مشترك سببه السلالة المشتركة أكثر من تركيزها على المطامح السياسية لبلوغ استقلال ذاتي. أما الهوية القومية فتركز على الحدود السياسية والاستقلال الذاتي. انظر: محمد مهدي. التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، ٢٠٠٢، ص: ٢٦ وما يليها.

ويقصد هانتنغتون بتصارع "الإثنيات" أي تصارع الجماعات المختلفة التي تنتمي لحضارات مختلفة.

والكروات في يوغوسلافيا السابقة، وبين البوذيين والهندوس في سريلانكا.

لا ينكر ديتر سنغاس الطابع الثقافي لهذه النزاعات، إلا أن العوامل الثقافية في بداية هذه النزاعات لا تكون ذات أهمية كبيرة، لأن النزاع الذي يثيره ويؤججه عوامل اقتصادية أو اجتماعية[1]. بينما يقول إيف لاكوست: "من البديهي أن تقوم في مناطق الاحتكاك بين الأديان والحضارات صراعات دينية، وهانتنغتون يحصيها بعناية، غير أنه تجدر الملاحظة إلى أنه من المستغرب جداً أن يمر مرور الكرام على الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي"[2]. صراع الثقافات لا يفسر لنا أسباب وأهداف التوسعات الاستعمارية، والحروب الناتجة عنها، وخاصة إذا كان التوسع الاستعماري يقوم على أراضي الحضارات الأخرى. وكذلك الأمر لا يفسر لنا الحروب الحديثة المتعلقة بالاقتصاد والتقنية.

الدوافع المحركة لحروب خط التقسيم الحضاري:

يحدد هانتنغتون دوافع عدة تؤجج الحروب الحضارية على خطوط التقسيم بين الدول التي تتبع الحضارات المختلفة، حيث إنه يراها دائماً تتسع، وقد تتوقف إلا أنه لا يرى لها حلاً سوى الصراع الحتمي. كذلك في الحرب الباردة كانت الكتل تضم هويات ثقافية عدة، غير أن الهويات اليوم تتحد وتتفرق حسب الانتماءات الثقافية للدول، "الهويات التي كانت في الماضي متعددة وعريضة تصبح مركزة ومتصلبة،

---

[1] بيتر سنغاس. مرجع سابق، ص: ١٤٠.

[2] إيف لاكوست. مرجع سابق، ص: ٤٦.

فالصراعات الطائفية تسمى "حروب هوية"، وهي تسمية ملائمة"[١].

الصراعات الحضارية بين الجماعات المختلفة، قد تكون دولاً أو طوائف تنبع من الوعي الحضاري، ويؤكد هانتنغتون أن الصراع يتحدد بثنائية "نحن" و "هم"، بمعنى آخر، الهوية الحضارية تتحدد من خلال الصراع. وأخيراً يرى هانتنغتون أن الهوية الثقافية ترتبط بالدين "غالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين. فمن الناحية النفسية يقدم الدين التبرير الأكثر توكيداً ودعماً للصراع ضد القوى الكافرة التي ينظر إليها كخطر"[٢]. ويرجع أهمية الدين في أطروحة هانتنغتون لأن الحضارات الكبرى في التاريخ البشري كانت قد ارتبطت في تحديدها بالديانات العالمية العظمى[٣].

من أخطر النتائج التي تحملها أطروحة هانتنغتون تأكيدها أن الهوية الثقافية تتحدد من خلال الصراع مع الآخر، وذلك لأن الهوية تترسخ في أعلى أشكال الصراع والحروب، فبالحرب يتحقق التماسك الاجتماعي، لأن وجود عدو مشترك من شأنه إزالة الانقسامات داخل الحضارة الواحدة أو الدولة[٤]. الولايات المتحدة بحاجة إلى عدو دائم، وبعد نهاية الحرب الباردة أصبح مصطلح "إمبراطورية الشر" في ذمة التاريخ، وهانتنغتون أوجد عدواً جديداً للولايات المتحدة وهو الخطر الإسلامي، "مسألة المرء أن يكون أمريكياً يعني التزامه بقيم الحرية، والديمقراطية الفردانية، والملكية الخاصة، وإذا لم يكن هناك إمبراطورية شر تهدد هذه المبادئ، فماذا يعني

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٤٣١.

[٢] المرجع السابق. ص: ٤٣٣.

[٣] قيس راهي. مرجع سابق، ص: ٢٥٦.

[٤] أنور زناتي. مرجع سابق، ص: ٢٣٠.

بالفعل أن تكون أمريكياً"[١]. إن الخطر المحتمل على أي دولة يجعل إدارتها الداخلية متماسكة لمواجهة هذا الخطر.

مستقبل الحضارات:

في نهاية أطروحته يتحدث هانتنغتون عن مستقبل النظام الحضاري الذي عرضه طوال أُطروحته على أنه صدام حتمي. وقد غفل للحظة عن تحليلاته السوداوية بشأن الصدام المرتقب بين الحضارات، إذ يدعو في النهاية إلى التفاهم والتعاون بين كبار السياسيين والمثقفين في جميع الحضارات[٢]. البحث عن سبل الصدام وحتميته، يجعل رؤية هانتنغتون لمستقبل العالم الجديد تشاؤمية، فهو يبحث عن عوامل الصدام لا عوامل الالتقاء.

مستقبل الحضارة الغربية:

يتفق هانتنغتون مع كارول كويجلي Caroll quigley في كتابه "تطور الحضارات"، على مستقبل الغرب في الصراع الحضاري، ويعتقد كويجلي أن الحضارة الغربية قد انتقلت من مرحلة الاقتتال لتكون منطقة أمان حيث لا يتصور قيام حروب بين الدول الغربية، من خلال التزامها بانتهاج سياسات تعددية وديمقراطية[٣]. هانتنغتون يرى الحضارة الغربية منطقة أمنية حصينة ضد أي صراع، "الغرب

[١] فائز محمود وسجى زيدان. مرجع سابق، ص: ٣٢٢.

[٢] بيتر سنغاس. مرجع سابق، ص: ١٤٤.

[٣] أنور زناتي. مرجع سابق، ص: ٢٢٩.

باختصار أصبح مجتمعاً ناضجاً، يدخل فيها سوف تسميه الأجيال القادمة بالعصر الذهبي، في نظام الحضارات المتكرر. ويختلف هانتنغتون مع أرنولد تونبي الذي يحدد مرور الحضارات بثلاث مراحل وهي "النشوء، النضج، الأفول"، ويؤكد هانتنغتون أن الحضارة الغربية لا يمكن أن تتمثل على منحنى هبوط الحضارات بسبب نظامها السياسي، وتفوقها العسكري والاقتصادي. ويدحض طارق متري تصور هانتنغتون للحضارة الغربية والمتمثلة في الولايات المتحدة في كتابه "مدينة على جبل"، ويبين بالقرائن والأدلة مقولة أن الولايات المتحدة مدينة على جبل. هي معكوسة فالولايات المتحدة جبل على مدينة، الدين والسياسة ليس في الولايات المتحدة وحدها، وإنما عالمياً هما الحقلان الأشد إثارة للجدل والخلاف والنزاع بين بني البشر. ويعتقد أن الولايات المتحدة هي البلد الأشد إثارة للجدل والخلاف والنزاع في عالم اليوم[1]. وهذا يعني أن الولايات المتحدة هي النموذج الأمثل الذي لابد منه، وعلى حضارات العالم الاقتداء به.

مستقبل الحضارات العالمية:

يتحدد تصور هانتنغتون لمستقبل الحضارات عندما يبحث عن حضارات التحدي للحضارة الغربية، وهي الحضارة الإسلامية والتوكيد الصيني، أي أن الخطر القادم على الحضارة الغربية يأتي من الإسلام وبمساعدة الصين، مع أنه لا يوجد خط

[1] غسان غصن. قراءة أولى في كتاب " مدينة على جبل" في البحث عن تأليف الحضارات لا تصادمها، لندن: مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، ٢٠٠٤، هذه الدراسة قدمت في ندوة عقدت في المنصف بدعوة من حركة الشبيبة الأرثوذكسية. http: / /asharqalarabi.org. uk /barq /b-waha-q-a.htm

تصادم بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة، سوى القواعد العسكرية الموجودة في العالم الإسلامي، والتي تعتبرها الولايات المتحدة هي حدودها في الشرق الأوسط، ومن ثم هي خطوط التقسيم الحضاري بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي.

ويرى هانتنغتون أن حرباً كونية تشارك فيها دول المركز في حضارات العالم الرئيسة أمر بعيد الاحتمال، ولكنه ليس مستحيلاً. وكذلك ميزان القوى المتغير بين الحضارات هو أحد المصادر لقيام حرب كونية. هانتنغتون ينظر لقوة الصين العالمية بوصفها أحد مصادر الحرب الحضارية القادمة حيث يقول: "إن صعود الصين، والتوكيد المتزايد لأكبر لاعب في تاريخ الإنسانية إذا استمر، سوف يخلق توتراً شديداً في الاستقرار العالمي في أوائل القرن الحادي والعشرين"[1]. ويؤكد هانتنغتون أن أي صراع حضاري يحدث سوف يكون على الأرجح أحد أطرافه من الدول الإسلامية.

وفي ختام أُطروحته، يبحث هانتنغتون عن العوامل المشتركة بين الحضارات، محدداً ثلاثة قوانين لمنع نشوب صراعات حضارية وهي:

١. قانون الامتناع: حيث تمتنع دول المركز في التدخل فيما يجري داخل الحضارات من صراع[2].

٢. قانون الوساطة المشتركة: يقوم على أساس المفاوضة بين دول المركز فيما بينها لإيقاف حروب التقسيم الحضاري بين الدول أو الجماعات داخل

---

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٥٠٦.

[٢] نهاوند العلوي. مرجع سابق، ص: ١١٥.

حضاراتها[١].

٣. قانون العوامل المشتركة: وهو البحث عن القيم والمؤسسات المشتركة بين شعوب الحضارات المختلفة[٢].

يؤكد هانتنغتون أن الحروب الحضارية لا يمكن أن تنتهي، "عنف خطوط التقسيم الحضاري قد يتوقف تماماً لفترة من الزمن، ولكنه نادراً ما ينتهي تماماً"[٣].

إن فرضيات ومصوغات أطروحة هانتنغتون منذ بدايتها حتى نهايتها، كانت تبحث عن الصراعات الحضارية دون البحث عن التفاهمات أو العوامل المشتركة في الحضارات العالمية. ولم يبحث في تاريخ الحضارات وصراعاتها بقدر ما استنفد البحث عن الحضارة الإسلامية التي سوف تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل، والتي تشكل تهديداً حقيقياً على قوة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال التوكيد الصيني للحضارة الإسلامية. مع أنه لا يوجد خطوط تصادم، حسب فرضية هانتنغتون، بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة سوى القواعد العسكرية الموجودة في العالم الإسلامي، والتي تعتبرها الولايات المتحدة حدودها الموجودة في الشرق الأوسط.

---

[١] المرجع السابق. ص: ١١٥.

[٢] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٥١٨.

[٣] المرجع السابق. ص: ٤٧٣.

ويختلف هانتنغتون مع توينبي الذي حدد تطور الحضارات بثلاث مراحل وهي: "النشوء، والنضج، والأفول"، ويؤكد هانتنغتون أن الحضارة الغربية هي حضارة ديناميكية تتغلب حسب طبيعتها ونظامها السياسي على القضايا والمشاكل كافة، ومن ثم لا يمكن أن تتراجع هيمنة الإمبراطورية الأمريكية. كما يختلف هانتنغتون مع فرناند بردويل الذي تحدث عن صدام الحضارات قبل هانتنغتون، فإن فكرة الصدام عند بردويل هي إيجابية وتفاؤلية، حيث تنتقل الثقافة والتكنولوجيا من الحضارات الأقوى إلى الحضارات الأضعف، وبذلك يكون الصراع قائماً على التقدم. أما هانتنغتون فيصور لنا الصراع بأنه حتمي لا محالة من خلال تحليلاته السوداوية، التي تحمل الخوف الشديد على الحضارة الغربية ومكانة الإمبراطورية الأمريكية من التحدي الإسلامي، الذي يجابه الغرب في الألفية الثالثة، وفي هذه الفكرة يتفق هانتنغتون مع برنارد لويس الذي كان أول المؤرخين الأمريكيين الذين حذروا من الخطر الإسلامي القادم.

في الفصلين السابقين، عرضنا أُطروحتى فوكوياما وهانتنغتون بالشرح والتحليل، أما في الفصل القادم فسوف نقوم بتعرية الأطروحتين من المنظور العلمي والمنظور الواقعي، وكذلك نقد الأطروحتين وكشف العوار الموجود في تلك الفرضيات.

الفصل الخامس

نقد أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون

المبحث الأول: النقد الفكري والواقعي لأطروحات فوكوياما وهانتنغتون.

المبحث الثاني: تغير المواقف الفكرية عند فوكوياما وهانتنغتون.

نقد أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق تعاظمت نداءات الإدارة الأمريكية بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، وكذلك سعيها المتواصل لتطبيق النظام الديمقراطي الليبرالي في دول العالم، والذي نظر إليه فوكوياما على أنه أفضل النظم السياسية، ومن ثم مثلت الديمقراطية الليبرالية نهاية تطور البشرية الفكري. وبظهور أطروحة هانتنغتون التي تنظر إلى حتمية الصراع بين الحضارات وتحذر من عدو جديد للولايات المتحدة تواترت أُطروحة فوكوياما في السياسة الأمريكية. فقد شهدت السياسة الأمريكية تطبيقاً عملياً لفكر فوكوياما وهانتنغتون وما تضمنته أطُروحاتها الفكرية في فترات متقاربة، حيث نالت إعجاب إدارة جورج بوش الابن في فترتين رئاسيتين ٢٠٠١-٢٠٠٩، وعملت على ممارستها في السياسة الخارجية الأمريكية. وبعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، مارست الإدارة الأمريكية أفكار هانتنغتون التي صنفت العالم الإسلامي بالعدو الجديد للولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الفصل سوف نعرض أهم الانتقادات التي وجهت لفوكوياما وهانتنغتون من المنظورين الفكري والواقعي. والتغيرات التي طرأت على أفكار فوكوياما وهانتنغتون.

المبحث الأول:

النقد الفكري والواقعي لأطُروحات فوكوياما وهانتنغتون

في بداية طرح فوكوياما وهانتنغتون لآرائهم الفكرية التي تضمنتها أطروحاتهما، انتشرت كالنار في الهشيم، في مختلف دول العالم، وكما كانت لهذه الأطروحات شهرتها وانتشارها الواسع وترجمتها إلى لغات عالمية عدة، وبالقدر نفسه جاءت الانتقادات لأطُروحات فوكوياما وهانتنغتون من مختلف بلدان العالم أيضاً، بالإضافة إلى النقد الفكري لفوكوياما وهانتنغتون من جهة، والنقد الواقعي من جهة أخرى، وفي هذا المبحث سوف نعرض ونحلل هذه الانتقادات التي تمحورت حول أطروحات فوكوياما وهانتنغتون.

نقد أطروحة فوكوياما:

إن أطروحة فوكوياما من داخلها البنيوي[١] تحمل تناقضات فكرية كبيرة،

[١] البنيوية: إن أصل كلمة البنيوية في اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني "Stuere" الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء لتكون كلاً ما، سواء أكان جسماً حياً أم معدنياً أم قولاً لغوياً، بينما تضيف بعض المعاجم الأوروبية فكرة التضامن بين الأجزاء. انظر: صلاح فضل. نظرية البنائية في النقد الأدبي القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨، ص: ١٢٠-١٢٢.

والبنيوية من وجهة نظر جون ستروك John Struck ما هي إلا "منهج بحث"، أي طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة بحيث تخضع هذه المعطيات - فيما يقول البنيويون- إلى المعايير العقلية. انظر: جون ستروك. البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ت محمد عصفور، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٦، ص: ٧. =

وهذا ما سوف نقوم بتحليله من المنظور الفكري، وفقاً لما كتبه فوكوياما في أُطروحته "نهاية التاريخ"، وانتقاد بعض المفكرين والسياسيين لها. ومن ثم سوف نقوم بتحليل الأطروحة من المنظور الواقعي ومقارنتها بالواقع الذي نعيشه، كي نرى مدى صدقها على أرض الواقع.

نقد الأطروحة من المنظور الفكري:

عمل هيجل جاهداً على بناء نظرية فلسفية في التاريخ، يكون الواقع تابعاً للفكر أو للعقل، وانطلق من واقعه الألماني المجزأ، في محاولة منه لتغيير الواقع، وعندما اجتاح نابليون بلاده في معركة ييناIena[1] عام ١٨٠٦، بدت له ألمانيا تتحرك وتتوحد، وشعر بوحدة التاريخ في أقصى حالاته، واعتبر هيجل ما تحقق في حروب

= وتعرف البنيوية بأنها: محاولة عملية منهجية لدراسة الظواهر عموماً والظواهر البشرية خصوصاً من وجهة نظر البنية سواء أكانت نموذجاً أم بناء صورياً أم علاقات باطنة مكونة لوحدة أي موضوع أم كانت وسيلة معرفية أكثر معقولية وأشد ملاءمة لمقتضى الحال بالقياس إلى غيرها من الوسائل الأخرى، وسواء كان النموذج اللغوي هو النموذج الأساسي في العلوم الإنسانية أم كان تكييف كل نموذج مع الطبيعة النوعية لكل موضوع. وتعني البنيوية في اللغة العربية: الكيفية التي شيد على نحوها هذا البناء أو ذاك. انظر: أنس شكشك. مرجع سابق، ص: ١٤٩-١٥٥.

[١] معركة يينا Iena ١٨٠٦: في معركة "يينا" هزم نابليون بونابرت ١٧٠٩-١٨٢١ بروسيا وبسط هيمنته على أغلب أقاليم جرمانيا، وبينما كانت مدافع نابليون تدك مدينة "يينا" عام ١٨٠٦، نشر هيجل كتابه "فنومينولوجيا الروح"، أثناء تلك المعركة الشهيرة التي انتصرت فيها القوات الفرنسية على الجيش البروسي. وفي ذلك الزمن شاهد هيجل نابليون ممتطياً صهوة جواده، فقال قولته الشهيرة: "لقد رأيت المطلق راكباً على حصان". انظر: جريدة الحياة السعودية. الكتب البارزة في التاريخ الفكري للإنسان "فينومينولجيا الروح" الرياض: العدد ١٥٧٨٨، ٢٠٠٦، ص: ١٦.

نابليون في أوروبا يمثل نهاية التاريخ وظهور الدولة الشمولية المنسجمة[١]. إلا أن التاريخ لم ينتهِ واستمرت التناقضات في مجتمعات أوروبا، وخاصة بعد ظهور النظرية الماركسية التي كانت نقيضاً فكرياً للرأسمالية. وعندما انتصر الغرب في الحرب العالمية الثانية، ثم تشكل الاتحاد الأوروبي فيما بعد. رأى الكسندر كوجيف في هذا الانتصار عودة للانتصار النابليوني، حيث برزت الدولة العالمية في نظره أكثر انسجاماً في سياقها الرأسمالي، وتجسيداً عملياً للروح المطلقة[٢]. وبسقوط سور برلين عام ١٩٨٩ وانهيار الاتحاد السوفيتي بوصفه أيديولوجيا سياسية منافسة للرأسمالية، رأى فوكوياما أن التاريخ وصل إلى نهايته، وأن هناك توجهاً نحو الديمقراطية الليبرالية حول العالم. واستند فوكوياما في فلسفته للتاريخ إلى فلسفة النهاية لكل من هيجل وكوجيف السابقة. ويرى عبد القادر بومسهولي أنه لم يختفِ تأثير كوجيف على الفكر الإنساني، فبعد غيابه انبعث مجدداً في أمريكا من خلال فوكوياما المتحمس "لنهاية التاريخ"، الذي جعل "هيجل- كوجيف" يعود ثانية إلى مسرح الوجود الحالي، إن اكتشاف الفكر الأصلي لهيجل بالنسبة لفوكوياما هدف مهم. ولكن الذي يهمه هنا ليس هيجل من أجل هيجل، بل هيجل كما يفسره - كوجيف، وقد يكون فيلسوفاً تركيبياً جديداً يدعى "هيجل - كوجيف"[٣]. عندما أعلن فوكوياما في بداية أُطروحته أنه يعتمد على فلسفة هيجل التاريخية، وخاصة في صراع الأفكار التي تنتهي بحصول الفرد على الاعتراف العام، غير أن فوكوياما اعتمد في تحليلاته على كوجيف وليس هيجل،

[١] إبراهيم محمود. مرجع سابق، ص: ١٣٢-١٣٣.

[٢] المرجع السابق. ص: ١٣٣.

[٣] عبد العزيز بومسهولي. مرجع سابق.

واعتقد بأن فكر كوجيف كان مهرب فوكوياما حينما لا تتطابق أفكاره مع هيجل وخاصة في أفضل النظم السياسية، حيث أعلن كوجيف أن الرأسمالية تمثل الروح المطلقة، أما هيجل فلم يتحدث عن أفضل النظم بقدر ما تحدث عن فلسفة صراع الأفكار والحالة الجدلية في المجتمع.

إن الانتقادات التي وجهت إلى أطروحة فوكوياما كثيرة جداً، إلا أن أهم انتقاد لأطروحته هو انتقاده لنفسه في كتابه، "مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، ٢٠٠٢"[١]، حيث يقول: "خلال تأملي في المقالات النقدية العديدة التي تناولت مقالي الأصلي، يبدو لي أن الحجة الوحيدة التي لم يكن من الممكن دحضها هي أنه لا يمكن أن تكون هناك نهاية للتاريخ ما لم يكن هناك نهاية للعلم"[٢]. فسر فوكوياما التاريخ البشري من خلال المحركان اللذين يؤديان إلى دولة نهاية التاريخ، "الازدهار المستمر في العلوم الطبيعية الحديثة، والسعي إلى نيل الاعتراف"[٣]. إن

[١] مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية Our Posthuman Consequences of the Biotechnology Revolution, 2002,: الذي يبحث فيه عن تقدم العلوم والتقنية الحيوية، التي سوف يكون لها تأثيراتها على السياسة، من خلال الدخول إلى العالم ما بعد البشري، والذي يقصده فوكوياما بالعالم ما بعد البشري هو: القدرة التقنية على تعديل جوهر البشر تعديلاً جينياً. ويعلن عن تخوفه من هذه التقنية على الإنسان وحياته المشتركة بزيادة معدلات الذكاء أو خروج هتلر جديد من خلال التهجين، وقد يصبح العالم أكثر سلطوية مما هو عليه الآن، وتضيع فيه أي فكرة عن الإنسانية المشتركة من خلال دمج جينات بشرية بأنواع أخرى من الأحياء، بحيث لا يكون لدنيا فكرة واضحة عن ماهية الإنسان.

[٢] فرانسيس فوكوياما. مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، ت عبد الرحيم محمد، دبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٦، ص: ٧.

[٣] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ١٨٣.

ما يود قوله فوكوياما هنا هو باعتماد الدولة على التنمية والعلوم الطبيعية الحديثة، سوف يتحول اقتصادها إلى ليبرالي معولم، والفرد لا يحصل على الاعتراف بإنسانيته سوى في النظام الديمقراطي، وعندما تعتمد الدول على هذين المحركين سوف تنتشر الديمقراطية الليبرالية في دول العالم. إلا أن الاكتشافات العلمية والتطورات التقنية الهائلة في عالم اليوم، تنفي نهاية العلم وهذا بدوره ينفي نهاية التاريخ، ففي كل يوم هناك اكتشاف علمي جديد. ومن جانب آخر، في حديث فوكوياما عن العلم والتكنولوجيا تناسى شموليته، فما دام العالم مقسماً إلى عالم منتج للتكنولوجيا وعالم مستهلك لها، فإن العدالة بين البشر تبقى مطلباً مستحيلاً وشعاراً لا يتحقق، وتناسى أيضاً أن الحريات والديمقراطية والحقوق جميعها رهينة حق الاختلاف والتعدد[١].

أما الفيلسوف جاك ديريدا فقد رد على أطروحة فوكوياما من خلال كتاب بعنوان، "أطياف ماركس"، ورأى الخطاب الغربي المتعلق بحقوق الإنسان غير ملائم مع نهاية التاريخ ومنافياً له، في ظل قانون السوق والديون الخارجية، والتفاوت في التطور التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي. "في التاريخ الإنساني: لم يسبق قط للعنف، وللتفاوت، وللإقصاء، وللجوع، وللضغط الاقتصادي أن أثروا على هذا الكم من الكائنات الإنسانية في تاريخ الأرض والبشرية، فعوضاً عن التغني بمجيء المثالية الديمقراطية والليبرالية، وبالسوق الرأسمالي في بهجة نهاية التاريخ، وعوضاً عن الاحتفال بنهاية الأيديولوجيات، يجب أن لا نهمل أبداً هذه البديهة المرئية والمصنوعة من عدد لا يحصى من الآلام الفريدة"[٢]. فوكوياما في أُطروحته افترض فرضيات

---

[١] سهيل عروسي. مرجع سابق، ص: ١٢٥.

[٢] جاك ديريدا. مرجع سابق، ص: ١٦٤.

عدة، ومن ثم استخدمها بوصفها مسلمات، كإسقاط الأيديولوجيا السياسية، واعتبر الأيديولوجيات القائمة في النظام العالمي الجديد، كالأيديولوجيا الصينية والإسلامية، هي أيديولوجيات محلية لا ترتقي إلى العالمية. وبهذه الفرضيات أسقط فوكوياما مبدأ الاختلاف والتعدد، التي تعتبر من المبادئ الأساسية للديمقراطية الليبرالية.

ومن جانب آخر، عامر فياض وعماد مولد يؤكدان أن روح الانتصار التي يتحدث عنها فوكوياما، والتي حصلت عليها الأيديولوجيا الديمقراطية لا يوجد لها ضمانة حقيقية بأنها سوف تكون النقطة النهائية في التطور الأيديولوجي، ما دام انتصارها مرهوناً بالقوة، لذلك فمن المحتمل أن تظهر الأيديولوجيات المنافسة للديمقراطية الليبرالية كالملكية أو الدينية أو الفاشية أو الشيوعية من جديد، إذا ما استولت على مصادر القوة[1]. فوكوياما كان فرحاً بالانتصار الليبرالي، غير أن الاتحاد السوفيتي سقط من داخله، ولم يكن هناك أي عامل خارجي لسقوطه أو أي نوع من السطوة الأمريكية أو الأيديولوجية على الاتحاد السوفيتي السابق، سوى المنافسة الأيديولوجية والعسكرية.

إن المنهج الجدلي يتمتع بحيوية أكبر من أن يقف عند هذا الحد، فكلما وصل العقل إلى مرحلة يعتقد أنها هي الفكرة النهائية، فوجئ بأنها ليست هي الغاية، وذلك بسبب تناقض بعض جوانب هذه الفكرة[2]. إن فوكوياما أنهى حالة الجدل وأوقفها عند الليبرالية الديمقراطية في مرحلة نهائية من تطور الفكر والأيديولوجيا، وذلك

[١] عامر فياض وحسن مولد. مرجع سابق، ص: ٤٨.

[٢] عبد الحميد الصالح. مرجع سابق، ص: ٧٧.

من خلال حل التناقضات كافة في المجتمع، وظهور الدولة العامة والمتجانسة معلناً عن نهاية التاريخ.

ويكتب كريستيان دولا كامباني ثلاثة اعتراضات على آراء فوكوياما، وهذه الاعتراضات من الصعوبة أن يرد عليها فوكوياما في عالم اليوم وهي[1]:

١. لا يوجد إثبات بأن هناك انتصاراً لأفضل نظام سياسي، حتى لو افترضنا بأنه سوف يشكل أخر الأحداث المهمة بالنسبة للبشرية، فكل يوم هناك تقدم علمي في الطب والزارعة والغذاء، ولا يوجد ما يثبت أن فوكوياما يحدد نهاية التاريخ.

٢. التطورات في النظام العالمي منذ عشر سنوات إلى الآن لا يبرهن قط على صحة نبوءات فوكوياما، فهناك دول ترفض النظام الديمقراطي، حتى التي تطبق النظام كالدول التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي، يوجد بها قوى مناهضة تستهدف تغير النظام السياسي. وبذلك فإن الحديث عن نهاية التاريخ يعد سابقاً لأوانه، والحديث عن انتصاره يعد خارجاً عن الأصول.

٣. لابد من رفض الفكرة التي تعبر عن وجود نظام أفضل من النظم الأخرى. فمن الناحية الفكرية لابد من القول بأن النظام الديمقراطي الذي يقصده فوكوياما "التمثيل النسبي" في مقابل الديمقراطية المباشرة التي عرفتها المدن

---

[١] كريستيان كامباني. مرجع سابق، ص: ١٧-١٩.

الإغريقية قديماً ليس سوى أقل النظم سوءاً، والتي يمكن تحقيقها حالياً، كي لا نصادر حقوق الفكر في إمكانية ابتكار نظم أفضل في القرون القادمة.

نقد الأطروحة من المنظور الواقعي:

في بداية القرن الحادي والعشرين، ظهرت مشاكل عصفت بأطروحة فوكوياما وبالفكر الليبرالي بمجمله. افترض فوكوياما أن أحد محركات التاريخ هو الاقتصاد الرأسمالي المعولم، كما افترض أن دول نهاية التاريخ سوف تنعم بالسلام والاستقرار، هل هذا حدث فعلاً؟. لو تسنى لفوكوياما أن ينتظر حتى ظهور الأزمة المالية العالمية والتي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر٢٠٠٨، والتي أدت إلى انهيار الكثير من البنوك ودفعت الحكومة الأمريكية في النهاية إلى تبني خطة إنقاذ مالي بمقدار ٧٠٠ مليار دولار، حيث قامت الحكومة الأمريكية بمساعدة بنوك على شراء بنوك منهارة، وقامت الحكومة أيضاً بشراء ديون هالكة؛ لما قال بانتصار الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد الرأسمالي الحر[١]. إن أسس الليبرالية الديمقراطية تقوم على تمجيد الحرية الفردية، غير أن الأزمة المالية العالمية التي انهارت بها اقتصاديات بعض الدول الغربية، كادت أن تسقط الأنظمة بأكملها، لولا تدخل الدولة وهذا ضد فكر الليبرالية، الذي يمنع تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية. فوكوياما مجد من التطور العلمي والتنمية الاقتصادية في الدول الغربية صاحبة معدلات الدخول المرتفعة، إذن لماذا سقطت اقتصادات الدول الأوروبية؟، وهذا أيضاً يوضح مدى التناقضات داخل المجتمعات الليبرالية.

---

[١] مصطفى أبو صوي. مرجع سابق، ص: ٧-٨.

ولعل تنبؤات موريس دوفرجيهMaurice Duverger عن التكامل بين الاشتراكية والليبرالية، بعد نهاية الحرب الباردة هي الأصدق من الناحية الواقعية، فمن خلال تحليله لأسباب الصراعات الأيديولوجية بين الغرب والشرق، تنبأ بالمستقبل قائلاً: "هناك أمر واحد يبدو محققاً: هو اتجاه تطور الغرب والشرق كليهما نحو الاشتراكية والديمقراطية، غير أن الالتقاء يظل محدوداً،... ويكفي أن نلاحظ أن الماركسيين بدأوا بتحقيق الاشتراكية أولاً، ثم عمدوا إلى شيء من اللبرالية في داخل الإطار الذي أوجدوه على ذلك النحو، في حين أن الغربيين أنشأوا الديمقراطية السياسية أولاً، ثم أخذوا يبنون الاشتراكية بعدها وفيها"[١]. فالاشتراكية لم تنتهي حتى الآن، بل طورت نظام اقتصادها وأصبحت تتعامل مع "نظام السوق"، أما الديمقراطية الغربية فتلجأ اليوم إلى أساليب الاشتراكية بالتدخل في شؤون الدولة.

وينتقد روبرت كيغان Robert Kagan[٢] أحد أهم المنظرين الراهنين للفكر المحافظ الجديد في كتابه "عودة التاريخ ونهاية الأحلام" "The Return of History End of Dreams, 2008" أطروحة فوكوياما حيث يرى أن العالم

[١] موريس دوفرجيه. مدخل إلى عالم السياسة، ت جمال الأتاسي وسامي الدروبي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

[٢] روبرت كيغان Robert Kagan: الكاتب والمؤرخ الأمريكي في معهد بروكينغز Brookings Institution، كان هو المؤسس المشارك لمشروع القرن الأمريكي الجديد، له العديد من الكتب، وآخر كتاب له "العالم الذي صنعته أمريكا، ٢٠١٢" وهو أحد رموز التفكير الاستراتيجي للمحافظين الجدد. انظر: خالد الحروب. في الفكر السياسي الأمريكي الجديد، ٢٠٠٨، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨.

مر بمرحلة ضبابية بعد الحرب الباردة، وسوف يعود إلى انقساماته الطبيعية، وينظر كيغان إلى عالم اليوم في الألفية الثالثة، الذي يقوم على التمحور حول سياسات القوة وعودة الأيديولوجيات[١]. ومن خلال النظر إلى الأحزاب والحركات اليسارية التي تنتمي للفكر الاشتراكي الماركسي، نراها وبقوة على قوائم الانتخابات والنسب التي تتحصل عليها في البرلمانات التشريعية ليست بسيطة، ولنأخذ مثالاً على هذه الانتخابات في روسيا الاتحادية التي ورثت الاتحاد السوفيتي السابق. وبالنظر إلى نتائج الانتخابات الأخيرة، ووفقاً لتقديرات اللجنة المركزية للانتخابات البرلمانية في كانون أول/ ديسمبر ٢٠١١ حصل حزب "روسيا الموحدة" على نسبة ٤٩,٣٢٪ بينما حصل "الحزب الشيوعي" الذي حل في المرتبة الثانية على نسبة ١٩,١٩٪[٢]. ويرصد التيار التقدمي الكويتي نجاحات أحزاب اليسار على مستوى أوروبا في نهاية عام ٢٠١٢، التي شهدت نجاحات متميزة لقوى اليسار والأحزاب الشيوعية، وتكتسب هذه النجاحات مدلولات سياسية وفكرية، منها استمرار زخم البديل اليساري والتقدمي، وخطر أطروحة "نهاية التاريخ" وخيبة الأمل الكبيرة التي ولدتها سياسات الليبرالية الجديدة لدى ملايين الناس[٣].

---

[١] المرجع السابق. ص: ٢٢.

[٢] أنباء موسكو. دراسة: الحزب الشيوعي هو الفائز الحقيقي في انتخابات روما، ٢٠١٣. http: / /anbamoscow.com /russia /20130313 /380780414.html.

[٣] التيار التقدمي الكويتي. على بوابة العام الجديد نجاحات انتخابية لقوى اليسار والأحزاب الشيوعية. http: / /taqadomi.com.

حققت أحزاب اليسار انتصارات مختلفة في أوروبا. وفي فرنسا حصل مرشح الحزب الاشتراكي فرنسوا هولاند Francois Hollande على٥٦٪ في الانتخابات الرئاسية، بينما تولت قبرص في الأول من تموز/ يوليو ٢٠١١ الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي لمدة سته أشهر، وبهذا يصبح الرئيس القبرصي ديمتريس كريستوفياس Demetris Christofias أول شخصية شيوعية تقود الاتحاد الأوروبي[١]. وهذا يؤكد أن الأيديولوجيات السياسية لم تنتهِ، بل هناك نقلة نوعية في واقع الحياة السياسية والحزبية في أوروبا، حيث توجد الأحزاب والحركات السياسية ذات التوجهات المختلفة في داخل البرلمانات الأوروبية، وقد وصل هذا التفاهم من أجل مصلحة الدولة العليا إلى أن نجد بعض الحكومات الأوروبية تعمل وفق برامج ومخططات معدة مسبقاً، وقد تكون أفكار هذه البرامج يسارية أو ليبرالية، أو تحمل أفكاراً وبنوداً في البرنامج الحكومي مشتركة.

نقد أطروحة هانتنغتون:

إن أطروحة هانتنغتون من داخلها البنيوي تحمل تناقضات فكرية كبيرة، كما حملته أطروحة فوكوياما. وإن كانت هذه الأطروحة قد لقيت دعماً من بعض المفكرين الغربيين، فقد عارضها كثير من الباحثين من منطلقات نظرية مختلفة، فبعضهم انتقد نظرة هانتنغتون للحضارة وتصوره لعلاقة هذه الأخيرة بالثقافة، وبعضهم الآخر شكك في تصنيفه للحضارات واعتبارها كيانات جامدة لا حركية بداخلها ولا تتفاعل، ومنهم من ركز على الخلفية السياسية لهذه الأطروحة معتبرين إياها إداه

[١] التيار التقدمي. مرجع سابق.

لإعادة صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد[١]. وهنا سوف نقوم بعرض وتحليل آراء الباحثين المنتقدين لأطروحة هانتنغتون كافة كما حللنا سابقاً أطروحة فوكوياما، بالإضافة إلى مطابقة أفكارها على أرض الواقع، من خلال المنظور الفكري والواقعي لأطروحة هانتنغتون.

نقد الأطروحة من المنظور الفكري:

إن الحديث عن صراع الحضارات يفترض وجود إدارة مستقلة لدى هذه الحضارات تقرر الدخول في الصراع حيناً وتتركه حيناً آخر، وهذا مما لا يقول به عاقل، إذ لا زالت الدول القطرية هي أساس العلاقات الدولية، ولا بد من وجود أشخاص يدفعون باتجاه المواجهة العسكرية مع الآخر، وهو قرار يتخذه في العادة رأس الهرم السياسي في دولة معينة، وقد يحتاج إعلان الحرب رسمياً إلى موافقة برلمان تلك الدولة، كما أن الدولة التي تدخل الحرب تنظر إلى مصالحها الخاصة من منظور مادي[٢]. إن الكيانات الحضارية جرى افتراضها في أطروحة هانتنغتون بأنها مغلقة ومؤتلفة، بمنأى عن الاختلاطات والتداخلات، بدون نزاعات داخلية. حيث إن مؤشر الدين لأجل الدل على العدو إنما ينفي السياسة أو السياسي[٣]. بينما يشكك كل من هانس بيتر مارتن وهارالد شومان في صحة فرضيات أطروحة هانتنغتون

[١] عباس عروة. "صدام الحضارات" من منظور علم النزاع والسلم، ورشة عمل في المنتدى الفكري الأول لمركز الجزيرة للدراسات، بعنوان: الإسلام والعرب من أجل عالم أفضل الدوحة: ٢٦-٢٨ آيار، ٢٠٠٦.

[٢] مصطفى أبو صوي. مرجع سابق، ص: ٨-٩.

[٣] أرمان ماتلار. مرجع سابق، ص: ١٩٢.

للنظام العالمي الجديد والذي لم يعد فيه للبعد الجغرافي أهمية تذكر في تحديد العلاقات المتينة القائمة بين المدن التجارية في العالم، وفي الوقت نفسه تلم الثقافة الواحدة العالمية شمل النخبة "رأس المال" دونها أهمية تذكر للانتماء القومي[١].

وقد أكد التقرير الاستراتيجي "التوقعات العالمية الاستراتيجية: ٢٠٣٠" للعام ٢٠١١، الذي أصدرته أكاديمية العلوم الروسية "المعهد العالمي للاقتصاد والعلاقات الدوليةInstitute of World Economy and International Relations" في منظور العشرين عاماً المقبلة سوف تكون أيديولوجيا العولمة على أساس السوق والمبادئ الديمقراطية هي: النظام الرئيس للأفكار السياسية السائدة في العالم بالرغم من التناقض الذي سوف يصاحب مصلحة الشركات العابرة للقارات مع الدول الوطنية[٢]. العولمة الاقتصادية في اقتصاديات السوق الحالية والمستقبلية، وفي ظل التجارة الدولية، تنفي وجود أي عوائق جغرافية بين الدول. وبالإضافة إلى أن النخبة الاقتصادية وأصحاب رؤوس الأموال في جميع أنحاء العالم بينهم تقارب فكري، ومصلحي، دون النظر للانتماء القومي.

كما أن هانتنغتون لا يميز بين الحضارة والثقافة في تعريفه للحضارات التي تحدثنا عنها سابقاً، وأميل إلى رأي عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل في تفسيراتهم لمفهوم الحضارة والثقافة "الحضارة هي الصورة المادية لكل ما يصدر من الإنسان

---

[١] هانس بيتر مارتن وهارالد شومان. مرجع سابق، ص: ٥٨.

[2] Alexander Dynkin. Strategic Global Outlook: 2030 Moscow: Russian Academy of Sciences, Institute of World Economy and International relations,2011, p:14.

من نشاط، بينما تقتصر الثقافة على الجانب الفكري والمعنوي فقط، ولعله من هذا المنطلق نقول حضارة قدماء المصريين وليس ثقافتهم حين نشاهد الآثار المادية التي قدموها"[1]. وهذا ما تؤكده الثقافات في الدول التي أعلنت ديمقراطيتها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق ويوغوسلافيا السابقة، فبالرغم من التغيرات الكبيرة التي أجريت على أنظمة الحكم إلا أنه هناك مؤسسات وأحزاب شيوعية تعمل في الدول الناشئة عن التفكك؛ مثلما حصل مع الإتحاد السوفيتي ويوغسلافيا السابقين.

عندما تحدث هانتنغتون عن الحضارة الإسلامية، وصف الإسلام بأنه دين تطرف ومتطرفين معتبراً الحضارة الإسلامية حضارة تحدٍّ بالنسبة للغرب، بمعنى آخر هي العدو الجديد الذي يواجه الغرب. إن رصد هانتنغتون للتحديات التي تواجه الولايات المتحدة مستقبلاً، هي في الأساس ليست تحديات عسكرية بل هي مواجهة للتقدم الاقتصادي في الدول الصاعدة. إن السمة الأساسية الجارية الآن هي ما يسمى "بصعود الباقين"، نتيجة معدلات نمو اقتصادي لم يكن من المتصور حدوثه، وهذا الصعود متمثل في دول شرق آسيا كالصين والهند[2]. وقد أكد هانتنغتون في أُطروحته أكثر من مرة؛ التحدي الإسلامي، والتوكيد الصيني للحضارة الغربية. رغم كل الظروف التي تحيط بالحضارة الإسلامية، من حالة التفكك والتشرذم، والتخلف العلمي والتقني مقارنة مع الغرب، وبشهادة هانتنغتون نفسه بعدم وجود دولة مركز للحضارة، إلا أنه يعتبرها الخطر القادم على الغرب. إن التهديد الحضاري الإسلامي للغرب جاء وفقاً لرؤية فكرية معدة مسبقاً من قبل هانتنغتون دون البحث عن

---

[1] عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل، مرجع سابق، ص: ١٥٣.

[2] عاطف الغمري. مرجع سابق، ص: ٣٥.

آليات وعوامل القوة التي يهدد الإسلام بها الغرب. وفي هذا يقول سايمون ميردين: "وضعت الشعوب الإسلامية ضمن قوالب جاهزة غير منصفة، ففي حين أن هناك دليلاً على وجود سجل إسلامي للعنف والعداء للغرب، فإن الحديث عن وجود حضارة إسلامية متماسكة يبقى مسألة أخرى. والواقع أن الإسلام يعاني انقسامات عميقة، ويبقى للانقسام السني - الشيعي أهميته"[1]. بالرغم من انحياز ميردين للفكر الغربي الذي يؤمن بأن الإسلام يحمل عداء للغرب، إلا أنه يرفض فكرة تحدي الإسلام للغرب.

إن الدين الإسلامي يقوم على عقيدة الحوار، والتعاون، واحترام الأديان، والعلاقة بين الحضارات الإنسانية من منظور الدين الإسلامي قائمة على الحوار لا الصراع، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]. هذا بالإضافة لضعف الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارات الأخرى، لعدم وجود دولة مركز تجمع تحت رايتها الدول الإسلامية والأقطار العربية كافة، وتدافع عن ثقافتها وكينونتها مثل الحضارات الأخرى، ولا سيما الحضارة الغربية.

---

[١] سايمون مريدين. مرجع سابق، ص: ٨٠٥.

التنظير الفكري لحوار الحضارات مقابل صدام الحضارات:

ينطلق مصطلح "حوار الحضارات" الذي تم تسويقه لامتصاص النقمة الممكن حدوثها ضد الطغيان الغربي. وكلمة "حوار" تعد من ظلال كلمة "صراع"، ومن الكلمتين تقوم ثنائية تنضم إلى الثنائيات الكثيرة في الحياة "الحق والباطل، والليل والنهار، والموت والحياة"[١].

بعد طرح هانتنغتون لأُطروحته "صدام الحضارات" ظهر مصطلح "حوار الحضارات" بشكل قوي في عالم السياسة، من خلال التنظير الفكري للباحثين والمفكرين، بالإضافة إلى المؤسسات الدولية، رداً على أطروحة هانتنغتون، وكذلك من أجل البحث عن السبل والإمكانيات التي تحد من الصدام الحضاري، والبحث عن عوامل التفاهم والالتقاء. ويرى دييتر سنغاس أن إمكانات قيام حوار مثمر فيما بين الثقافات هو شيء عظيم في الوقت الراهن، على أن يرتكز على تصورات واقعية بشأن ثقافة المرء والثقافات الأخرى، من خلال مهمة محورية وهي إجراء حوار بشأن المفاهيم المتعلقة بالتعددية السياسية والتنظيم المؤسسي لها[٢]. وأدلت المنظمات الدولية بدلوها ضد فكرة "صدام الحضارات"، فقد أصدرت منظمة الأمم المتحدة ثلاث قرارات للرد على هانتنغتون، وتأكد مقولة مضادة لها تنادي بالحوار بين الحضارات، من ضمنها قرار٥٣/ ٢٢ بتاريخ ١٦ تشرين ثاني/ نوفمبر١٩٩٨، وقرار٥٤/ ١٣ بتاريخ

---

[١] محمد جربوعة. مهلًا هانتنغتون.. مهلًا فوكوياما نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة، إعداد المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية، الرياض: مكتبة العبيكان،٢٠٠٦، ص: ٩٠.

[٢] بيتر سنغاس. مرجع سابق، ص: ٢١٥-٢١٦.

٧شباط/ فبراير ٢٠٠٠، وقرار٥٥/ ٢٣ كانون ثاني/ يناير٢٠٠١، كما تم مناقشة "حوار الحضارات" في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم - اليونسكو عام ١٩٩٩ [١]. بينما يرى محمد جربوعة بأن المرجو من حوار الحضارات هو التعايش عبر الوصول إلى فهم الآخر فهماً يجعل من الواجب عدم تجاوز مقدساته، وأمام هذا فإن من المؤمَّل للحوار أن يوجد واقعاً بديلاً لواقع الصراع، لذلك لابد من حوار أطراف معينة أكثر من غيرها لأن تتحاور وتصل إلى نتيجة[٢]. أما رأي الفيلسوف والمؤرخ الألماني فريدرش هاردر[٣]، الذي يعي تعدد الثقافات، ولكنه مع ذلك لا يتخلى عن وحدة الإنسانية، وهذه الوحدة ترتكز على الأصل البيولوجي المشترك لكل البشر "وحدة النوع" وعلى الهدف المشترك الذي يسعون لتحقيقه. إنه يرى بأنهم يتمتعون بالمثل العليا ذاتها للسعادة وللحب البشري ولتفتح الفكر، ولمفاهيم الحقيقة والخير نفسها[٤].

كانت النظرة السوداوية لهانتنغتون في حتمية صدام الحضارات محل انتقاد كبير من قبل المفكرين والباحثين، حيث بحث في أطروحته أسس الصدام وكيفية حدوثها على خطوط التقسيم، ولم يبحث في نقاط الالتقاء بين الحضارات كما فعل فريدرش هاردر وعزز من وجودها بين الحضارات كي نتجنب الصدام بين الحضارات.

---

[١] بهجت قرني. مرجع سابق، ص: ١٩٥.

[٢] محمد جربوعة. مرجع سابق، ص: ٩٠.

[٣] فريدرش هاردر: يعتبر هاردر مؤسس التيار النسبي المعاصر، وله كتابان في فلسفة التاريخ وهم: "فلسفة أخرى للتاريخ، ١٧٧٤"، و"أفكار من أجل فلسفة تاريخ البشرية، ١٧٨٤". انظر: تزفيتان تودوروف. مرجع سابق، ص: ٣٦.

[٤] المرجع السابق. ص: ٣٥-٣٦.

نقد أطروحة هانتنغتون من المنظور الواقعي:

للتأكد من فرضيات ومصوغات هانتنغتون وإصراره على صدام الحضارات الحتمي في عالم ما بعد الحرب الباردة كان لابد من رصد الحروب والصراعات الحضارية على خطوط التقسيم الحضاري، والتي جزم هانتنغتون من زيادة وتيرتها، وعددها بين الدول التابعة للحضارات المختلفة.

وفي دراسة لـ Jonathan Fox التي أجراها لاختبار صحة فرضيات هانتنغتون، مستخدماً التحليل الكمي لبيانات تحليل المخاطر، وذلك لأن التنظير الفكري قد لا يجيب بشكل قاطع إذا كان هناك زيادة في الصراعات الحضارية والعرقية فيما بعد الحرب الباردة. وجد Fox من خلال مقارنة بيانات الحروب بين أعوام ١٩٤٦-١٩٩٢ في عصر الحرب الباردة، وجد أنه لا يوجد تغير حقيقي في ديناميات الصراعات العرقية من الحرب الباردة إلى ما بعد الحرب الباردة. ولا يوجد دليل على أن الانشقاقات الحضارية أصبحت أكثر[١]. البيانات التي جمعها Fox تغطي الفترة ١٩٨٥-١٩٩٨، وفي تحليله للبيانات وجد أن الصراعات الحضارية تشكل أقلية في عصر ما بعد الحرب الباردة ٣٧,٨٪ "١٠٤ من أصل ٢٧٥ من الصراعات الحضارية". أما أثناء الحرب الباردة الصراعات الحضارية تشكل ٣٦,٩٪ "٨٦ من أصل ٢٣٣ من الصراعات الحضارية". وكانت النتائج خلافاً لتنبؤات هانتنغتون، الصراعات الحضارية بعد الحرب الباردة لم تشكل فرقاً كبيراً عما كانت عليه أثناء الحرب الباردة[٢].

---

[1] Jonathan Fox. previous reference p:420-421.

[2] previous reference p:427-428.

صدام الحضارات والتدخل الإنساني:

إن الصراعات المحلية والعالمية المشتعلة في العالم اليوم ليست صراعات حضارية بالدرجة الأولى بقدر ما هي صراعات من أجل المصلحة الوطنية. ففي ثورات العالم العربي تدخلت القوى الكبرى تحت مسمى التدخل الإنساني لحماية المدنيين في ليبيا وسورية. ودافعت عن حق الثوار من أجل نيل حقوقهم المدنية والسياسية. ونحن هنا لا نحلل الثورات العربية أو مشروعية التدخل الدولي، وإنما نريد تحليل تدخل الولايات المتحدة والقوى الغربية في الثورات العربية، حسب فرضيات هانتنغتون في صدام الحضارات إن فرضيات هانتنغتون جانبها الصواب لأسباب عدة وهي:

١. تحالف دول من حضارات مختلفة ضد رؤساء مخلوعين "حسني مبارك، ومعمر القذافي"، ففي ليبيا تحرك حلف الناتو بموافقة عربية، ومشاركة تركيا لضرب قوات القذافي.

٢. تدخل الولايات المتحدة في الثورات العربية لم يكن بالدرجة نفسها والوتيرة، ففي اليمن انتهت الأزمة باتفاقية دولية أما في ليبيا فكان هناك تدخل عسكري. إن مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورات العربية كانت حسب مصلحتها القومية.

٣. القوى الدولية على خلاف حاد لحل الأزمة السورية، وذلك لوقوف روسيا والصين بجانب النظام السوري، ووقوف الولايات المتحدة والغرب ضده. وهذا يوضح مدى تحالف دول من حضارات مختلفة ضد دول من حضارات أخرى.

٤. الحضارة الإسلامية التي يعتقد هانتنغتون بأنها قائمة على الدم، تستعين بالغرب لمحاربة دول عربية أخرى.

إن الحضارات لا تتصادم، والحروب في معظمها وعبر التاريخ لم تكن حروب حضارات بقدر ما كانت حروباً ضمن وداخل الحضارات وفي نطاقها ومجالها الحيوي، والمثل الساطع على ذلك هو تاريخ أوروبا وحروبها بمختلف أنواعها الدينية والوطنية والعالمية[١]. والحروب الحديثة الدائرة حالياً في الوطن العربي، هي تحالفات بين دول من حضارات مختلفة ضد دولة أو دول من حضارات مختلفة. وهذا يؤكد أن الدول في العالم المعاصر قد تتحالف أو تتباعد من أجل مصالحها القومية وليس من أجل الثقافات الحضارية.

[١] جورج حجار. أمريكا في طور الرايخ الرابع، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص: ٢٩٢.

المبحث الثاني:

تغير المواقف الفكرية عند فوكوياما وهانتنغتون

في هذا المبحث سوف نتناول آراء فوكوياما وهانتنغتون الفكرية في أطروحاتيهما، ومدى ثباتهما على مواقفهما الفكرية، أو التغيرات الجديدة التي طرأت على فلسفتهما السياسية.

التغيرات في مواقف فوكوياما الفكرية:

إن مواقف فوكوياما الفكرية متضاربة ومتذبذبة، فقد أنهى التاريخ مع سقوط الاتحاد السوفيتي وأعلن عن نهاية الأيديولوجيات، وأكد بأن الديمقراطية الليبرالية هي أفضل نظام للحكم. ومن خلال تطورات السياسة العالمية، عاد وكتب عن مستقبل التاريخ بعد الأزمة المالية العالمية ليناقش تناقضات الديمقراطية التي ظهرت من جديد، ومن ثم في العام ٢٠١٢، بدأ يكتب عن بداية التاريخ وأصول النظم السياسية في تاريخ البشرية، فقد ألف كتاباً من مجلدين، صدر له المجلد الأول بعنوان: "أصول النظام السياسي The Origins of Political Order" عام٢٠١١، يصف مارتن وولف Martin Wolf كتاب فوكوياما الجديد قائلاً: "نهاية رجل التاريخ في سفر جديد من مجلدين"[١].

بعد مرور عقد من الزمن على أطروحة فوكوياما، يكتب مقالاً بعنوان: "عشر سنوات على نهاية التاريخ" عام ١٩٩٩، يؤكد ما جاء في أطروحته السابقة، ويؤكد

[١] جريدة العرب الدولية، نهاية رجل التاريخ في سفر جديد من مجلدين، الرياض: العدد ٦٤٥٧، 2011. http://www.aleqt.com

نهاية التاريخ فيقول: "لا شيء مما طرأ على السياسة العالمية أو الاقتصاد الكوني مدة عشر سنوات الأخيرة يشكك، حسب نظري في صحة ما انتهيت إليه، ألا وهو أن الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق المنقذان للوجود بالنسبة إلى المجتمعات الحديثة"[١]. وفي بداية الألفية الثالثة كانت رؤية فوكوياما للتاريخ ثابتة، بالرغم من أحداث أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، وقد كتب مقالاً لصحيفة الغارديان البريطانية "لقد ربح الغرب[٢]"، يحاول أن يكيف أُطروحته مع الأحداث الجديدة التي بدأت بتفجيرات ١١أيلول/ سبتمبر[٣]٢٠٠١. ويكتب فوكوياما مدافعاً عن أُطروحته قائلاً: "يزعم تيار من المعلقين أن مأساة ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١ تُثبت بأنني كنت مخطئاً تماماً عندما قلت بأننا وصلنا إلى نهاية التاريخ... وتفيد مشاهدتي، التي قمت بها في العام ١٩٨٩، عشية انهيار الشيوعية، بأن المسار التطوري بدا وكأنه يدفع بأجزاء كبيرة من العالم نحو الحداثة. وإذا ما نظرنا إلى ما وراء الديمقراطية الليبرالية والسوق، ليس هناك شيء آخر يمكن أن نتوقع التطور باتجاهه، إذاً إنها نهاية التاريخ"[٤] ومع إعلان الولايات المتحدة شن الحرب ضد الإرهاب، وغزوها للعراق وأفغانستان، تغير موقف فوكوياما الذي أيد سابقاً الإدارة الأمريكية لشن حرب ضد الإرهاب وغزو العراق، ونشر الديمقراطية الأمريكية في العالم.

---

[١] جيلاني بو بكر. فلسفة العولمة وبنيانها النظري، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، العدد ٧، ٢٠١١، ص: ٢٢.

[٢] نشر المقال مترجماً في جريدة السفير اللبنانية، بتاريخ السبت ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١، العدد ٩٠٢٨، ص١٣.

[٣] محمد جربوعة. مرجع سابق، ص: ٧.

[٤] المرجع سابق، ص: ١٤.

طرأت هذه التحولات على مواقف وقناعات فوكوياما في نهاية عام ٢٠٠٣، حين تراجع عن دعمه لغزو العراق، ودعا إلى استقالة وزير الدفاع الأمريكي في ذلك الوقت دونالد رامسفلد Donald Rumsfeld، وأعلن عن احتمال تصويته ضد الرئيس بوش في انتخابات الرئاسة عام [١]٢٠٠٤. وفي كتابه "أمريكا على مفترق طرق، ٢٠٠٦"، انتقد إدارة بوش الابن والسياسة الخارجية الأمريكية وقرار غزو العراق، كما أعلن براءته من المحافظين الجدد "كنت قد اعتبرت نفسي محافظاً جديداً لوقت طويل، واعتقدت أنني شاركت في رؤية مشتركة للعالم مع العديد من المحافظين الجدد الآخرين، ومن جملتهم أصدقاء ومعارف خدموا في إدارة جورج دبليو. بوش" فوكوياما،٢٠٠٧، ص٩.

وقد تغير موقف فوكوياما مرة أخرى في الاتجاه المعاكس هذه المرة مدافعاً عن أُطروحته منذ بداية الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨. حين كتب دراسة نشرت في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs شباط/ فبراير٢٠١٢، يتساءل فيها عن الأزمة المالية التي تعصف بالديمقراطية الليبرالية بعنوان: "هل يمكن لليبرالية الديمقراطية البقاء على قيد الحياة، مع تراجع الطبقة الوسطى؟"[٢]. مؤكداً ضرورة النقاش الفكري بسبب تآكل الطبقة الوسطى التي تؤكد عليها الديمقراطية الليبرالية، والتي تمثل شكلاً من أشكال الرأسمالية، وهذه الطبقة التي تأثرت بالأزمة المالية بشكل

---

[١] خليل حسين. مرجع سابق، ص: ٢٦٦.

[2] Francis Fukuyama. The Future of History. Can liberal democracy survive the middle class?. Edited by: Gideon rose and Jonathan Tepperman, The Clash of Ideas Washington: Foreign Affairs, 2012, p: 309.

كبير، فقد انهارت تجارتها الصغيرة، وخرجت في مظاهرات في عواصم ومدن الدول الأوروبية، منها "وول ستريت، لندن". وفي أُطروحته أكد أن المشكلات والقضايا لا تؤثر على الديمقراطية حين قال: "لا شك أن الديمقراطية الليبرالية تعاني من مشكلات كالبطالة، والتلوث، والمخدرات، والجريمة، غير أن وراء هذه المشكلات تساؤلاً حول ما إذا كان هناك مصادر أعمق أخرى للسخط داخل الديمقراطية الليبرالية، وما إذا كانت الحياة في ظلها مرضية حقاً؟، فإن لم تكن مثل هذه التناقضات بادية لنا، فمن حقنا أن نقول مع هيجل وكوجيف إننا قد وصلنا إلى نهاية التاريخ"[١].

وبالرغم من تأكيده في دراسته تآكل الطبقة الوسطى في ظل نظام الحكم الديمقراطي الليبرالي والعولمة الاقتصادية، إلا أنه جادل بأن الليبرالية هي أفضل أنظمة الحكم، والشيوعية انهارت بلا رجعة لأن الذين خرجوا يتظاهرون ضد الأزمة المالية هم من اليمين وليس اليسار، "من المميزات الأكثر حيرة في العالم اليوم هو غياب اليسار، وحركة الاحتجاجات في العالم كانت من اليمين خلال الأزمة المالية فهناك تفسيرات لهذه الظاهرة، وهي الإيمان بالمساواة في الفرص وليس المساواة بالنتائج"[٢].

يكتب فوكوياما من جديد في فلسفة التاريخ، فقد ألف كتاباً بعنوان "بداية التاريخ منذ أصول السياسة حتى اليوم، ٢٠١٢"، بعد عشرين عاماً على أُطروحته "نهاية التاريخ" ونجاح الصين في عالم الاقتصاد والمال بالرغم من نظامها السياسي الاشتراكي، والأزمة المالية العالمية. متحدثاً عن بدايات التاريخ وتطورات أنظمة

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٥٢.

[2] Francis Fukuyama. previous reference , p: 319.

الحكم بدل نهاية التاريخ والوصول إلى النظام الأمثل.

ويعلق ناجي العرفاوي على كتاب فوكوياما الجديد والذي يتساءل منذ بدايته: "كيف يمكن الذهاب من عاصمة الصومال مقديشو إلى العاصمة الدنماركية كوبنهاجن؟" قائلا: يتساءل فوكوياما عما إذا يمكن تسريع وتيرة الانتقال الديمقراطي في العالم، ويؤكد فوكوياما أن الديمقراطية هي محصلة مسار طويل في أبعاده التاريخية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فلا يمكن تبسيط مسألة الانتقال الديمقراطي في دول العالم غير الغربي. ويحدد فوكوياما ثلاثm مرتكزات أساسية لا يمكن لأي نظام ديمقراطي أن ينشأ أو لأي تجربة ديمقراطية أن تنجح بدونها، وهي تتمثل في: وجود دولة قوية تتمتع بالهيبة اللازمة وتكريس سلطة وسيادة القانون، إضافة إلى مسؤولية الدولة أمام محكوميها[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل فوكوياما يبحث في كتابه الجديد عن تاريخ الدول التي تجاوزت التاريخ فقط أم أنه يبحث في تاريخ الفكر السياسي؟. يؤكد فوكوياما في نهاية أطروحته انتشار الديمقراطية الليبرالية في العالم وشبهها بالعربة التي سوف تصل في النهاية لدولة التاريخ. اليوم فوكوياما يؤكد من جديد أن الأنظمة لها تراثها الكلاسيكي، ومحصلة للتطورات في السياسة والاقتصاد والتاريخ، وهذا يعني بأنه يتحدث عن الدول الديمقراطية فقط التي تجاوزت التاريخ، وينفي وصول دولة، كالصومال لنهاية التاريخ، وهذا يعني تغير موقفه من نشر الديمقراطية في العالم.

[١] جريدة أخبار الخليج. فوكوياما يبدأ التاريخ بعد أن أنهاه - نجي العرفاوي، المنامة: العدد ١٢٦٣٨ـ٢٠١٢، ص: ١٢.

وفى النهاية يمكن القول أن موقف فوكوياما متغير ومتناقض في بعض القضايا التي جاءت بعد أُطروحته، ففي بعض مواقفه الفكرية ينفي نهاية التاريخ، وفي بعضها الآخر يؤكد نهاية التاريخ.

التغيرات في مواقف هانتنغتون الفكرية:

موقف هانتنغتون من أُطروحته "صدام الحضارات" ثابت لم يتغير، وكتب مدافعاً عن أُطروحته أكثر من مرة، وذلك من خلال التطورات السياسية في الولايات المتحدة ودول العالم أجمع، وخاصة رده على منتقديه، وكذلك تفكك الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، وما خلفه هذا التفكك من نزاعات وحروب، وأخيراً على أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١.

رد هانتنغتون على منتقديه من خلال دراسة بعنوان: "إذا لم تكن الحضارات، فماذا ? If Not Civilizations, What" نشرت في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs في عددها الصادر نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٣، وكان موقف هانتنغتون الفكري واضحاً وثابتاً لم يتغير ويفترض أن الصدام حتمي لا محالة، وطور فرضياته التي كتبت في مقالته "صراع الحضارات". من خلال رصد كافة الأحداث العالمية التي توضح الصراع الثقافي بين الحضارات، كالدول التي تطالب بالانضمام لحلف الشمال الأطلسي NATO، وكذلك الحروب بين المسلمين والكروات، واتفاق أوسلو الموقع في الولايات المتحدة بين إسرائيل وفلسطين، يراه هانتنغتون بأنه

لا يعني الخروج والشذوذ عن النموذج الحضاري، لأن الصراع بين العرب واليهود ما زال مستمراً.

يؤكد هانتنغتون أن نماذج ونظريات الحرب الباردة لم تعد قادرة على تفسير السياسة العالمية، وأطروحة "صدام الحضارات" هي محاولة لفهم النظام العالمي بعد الحرب الباردة، فبلدان العالم لم تعد تنتمي للكتلة الغربية والكتلة الشيوعية فقط، انقسامات الدول في عالم اليوم إلى دول غنية وفقيرة، وديمقراطية وغير ديمقراطية، لذا يرى هانتنغتون أن السياسة العالمية اليوم معقدة جداً بحيث لا يمكن حشوها في جانبين[1]. وفي نهاية دراسته يؤكد هانتنغتون نهاية الأيديولوجيا من المجتمعات، قائلاً: "الذي يحدد المجتمعات اليوم هو الإيمان والأسرة والدم والمعتقدات المشتركة، والاختلافات في هذه العوامل يؤدي إلى صراع الحضارات، وهو استبدال للنماذج التفسيرية للحرب الباردة"[2]. ويطرح على كل من كتب نقداً على أطروحته سؤالاً متبوعاً بعلامة استفهام "هل هناك نموذج أو نظرية فكرية قادرة على تفسير النظام العالمي أكثر كفاءة؟". وقد رد عدد من الباحثين على دراسة هانتنغتون لما جاء فيها أن الصراع بين الحضارات خلال العقد الماضي لم يكن أقل مما كان داخل الحضارات ذاتها. هانتنغتون يرى أن نموذج الحرب الباردة لا يمثل السياسة العالمية، فكان هناك

[1] Samuel Huntington. If Not Civilizations, What? Samuel Huntington Responds to His Critics Washington: Foreign Affairs, 1993. http: // www.foreignaffairs.com /articles.

[2] Samuel Huntington. previous reference.

العديد من الحالات الشاذة التي لم تفسرها نماذج الحرب الباردة كالانقسام بين الصين والاتحاد السوفيتي.

يرد عبد المنعم سعيد على دراسة هانتنغتون قائلاً: "هذه مفارقة وعوار داخلي، فالمسألة هي عما إذا كانت الحضارات تمثل وحدات متماسكة للتفاعل الدولي، تتصارع مع بعضها البعض بسبب خطوط تماس وتناقضات كثيرة، أم أنها ليست كذلك وتتصالح في داخلها بسبب الانقسام إلى دول، وإلى مصالح متعددة وتشكل تحالفات غير حضارية"[١]. بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، عادت أطروحة هانتنغتون للسياسة الأمريكية وبقوة، واعتبرت هجمات القاعدة التفجيرية على أرض الولايات المتحدة بمنزلة المواجهة بين الإسلام والغرب. إن كثيراً من المحللين أعلنوا أن الحرب العالمية الثالثة أو الرابعة تدور رحاها، وإن شجب هذا الخطر الآتي من بعيد الذي يوصف أحياناً بمصطلح "الإسلامي - الفاشي"، هو أمر رائج في خطاب اليمين المتطرف[٢].

وكتب هانتنغتون من جديد عن صدام الحضارات معلقاً على تفجيرات القاعدة في الولايات المتحدة، وصرح بأن بذور صدام عام بين الحضارات باتت منثورة، فردود الفعل على أحدث ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، وردة الفعل الأمريكية جاءت وفقاً

---

[١] جريدة الأهرام- مصر. إذا لم تكن الحضارات فماذا؟ - عبد المنعم سعيد، القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٢٠٠١. http: / /yyy.ahram.org.

[٢] تزفيتان تودوروف،. مرجع سابق، ص: ١٠٣.

لمنظور حضاري[1]. وفي مقابلة لهانتنغتون مع مجلة النيوزويك Newsweek[2] حول أطروحته والأحداث الجارية في الولايات المتحدة بعد التفجيرات، تحدث قائلاً: "إن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة من الإرهابيين، فبحر الفاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الأمريكيون يشكل تحدياً أيديولوجياً، هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية"[3]. إن وضع صورة للحضارة الإسلامية بمجملها لما يقوم به تنظيم القاعدة محفورة في أذهان الشعوب الغربية، وخاصة الشعب الأمريكي، أمر غير دقيق من الناحية العلمية والعملية، وهو تعميم برنامج فئة قليلة على أكثر من مليار مسلم، فقد جانب هانتنغتون الصواب في تعميماته وأفكاره المصبوبة في قوالب جاهزة، هذا بالإضافة إلى أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة وعنف القاعدة لا علاقة له بالإسلام.

وقد توفي هانتنغتون في نهاية عام ٢٠٠٨، وكان ثابتاً على آرائه الفكرية وكل ما جاء في أطروحته "صدام الحضارات"، دون العودة أو التراجع عن فرضياته الصدامية

---

[١] حسن الباش. مرجع سابق، ص: ١٦٩.

[٢] مجلة النيوزويك Newsweek: هي مجلة أمريكية أسبوعية تأسست في ١٧ فبراير ١٩٣٣، من طرف توماس مارتن الذي كان يشغل منصب رئيس تحرير مجلة تايم الأمريكية آنذاك. تتناول المجلة مواضيع السياسة والشؤون العالمية والتجارة والعلوم والتكنولوجيا والثقافة والفن. لدى المجلة شراكة مع مايكروسوفت في إدارة موقعها الإلكتروني المتفاعل مع الأحداث العالمية على مدار ٢٤ ساعة. تصدر المجلة في طبعات عالمية عدة من ضمنها النسخة العربية التي تصدرها دار الوطن الكويتية. انظر: موقع المجلة. http: //www.newsweek.com

[٣] حسن الباش. مرجع سابق، ص: ١٧٠.

بين الحضارات، وخاصة موقفه من الحضارة الإسلامية ووصفه لها بأنها حضارة قائمة على العنف.

تبين لنا من خلال هذا الفصل أن أطروحتى فوكوياما وهانتنغتون لا تفسران الواقع الفعلي للمجتمعات الإنسانية بقدر ما تتحاملان عليه لصالح هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي الجديد. وحملت أطروحاتهما الفكرية جملة من الفرضيات كانا يسعيان إلى إثباتها كي تصبح أطروحاتهما نظريات سياسية. إلا أن مناقشتنا في هذا الفصل أثبتت أن هناك جملة من المصوغات والفرضيات كانت خاطئة وبعيدة عن منهج البحث العلمي، بالإضافة إلى أن الواقع أثبت عدم صحة هذه الفرضيات التي قامت عليها أطروحات فوكوياما وهانتنغتون.

الفصل السادس

أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية

المبحث الأول: الممارسة السياسية لفكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية

المبحث الثاني: التحولات الفكرية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية

المبحث الثالث: أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في الألفية الثالثة

أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية

في هذا الفصل نطرح سؤالاً: كيف مارست الإدارة الأمريكية فكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الخارجية؟، بالإضافة إلى التغيرات في مواقفهم الفكرية. وكذلك سوف أناقش أهم التحولات الفكرية والسياسية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية، للتعرف إلى تقارب أو تباعد الرؤى والأفكار الجديدة من رؤى وأفكار فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية.

المبحث الأول:

الممارسة السياسية لفكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية

إن تاريخ الفكر الإنساني على حد تعبير جان جاك شوفالييه: "ليس فقط بدلالة الأحداث العظمى، وإنما كذلك بدلالة الأفكار السياسية التي كانت في أغلب الأحيان قد ساهمت في التحضير لهذه الأحداث"[١]. ولا تبدو العلاقة بين الفكر والسياسة ثانوية كما يعتقد البعض، فقد كانت رؤية عالم الاستراتيجية الألماني كارل كلاوزفيتز ١٧٨٠[٢]-١٨٣١ Carl Clausewitz فيما يتعلق بالحرب، أنها مواصلة السياسة بطريقة أخرى، أي أن استخدام الآلة العسكرية ليس غاية في حد ذاته، لكنه جزء لا يتجزأ من استراتيجية سياسية متكاملة. كان لآراء فوكوياما وهانتنغتون أثر كبير في السياسة الأمريكية للنظام العالمي الجديد. ومن أجل تبرير التجاوزات والمبالغات المغرضة تتطلب الأنظمة "الإمبريالية[٣]"Imperialism مشرعين

[١] عبد الرضا الطعان. مرجع سابق، ص: ٥.

[٢] كارل كلاوزفيتز Carl von Clausewitz1780-1831: جنرال ومؤرخ بروسي، من أهم مؤلفاته كتاب "من الحرب"، تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والاستراتيجية أثراً عميقاً في المجال العسكري في البلدان الغربية، ويعتبر أحد المفكرين العسكريين شهرة وتأثيراً على مر التاريخ. انظر: بهجت قرني. مرجع سابق، ص: ١٧٩.

[٣] الإمبريالية Imperialism: مصطلح تقليدي ذو طابع سياسي يصف مرحلة الاحتلال الأجنبي للدول والأقاليم الأخرى والتي كان يطلق عليها "المستعمرات"، ويقصد بها أن تقوم الدولة بمد نفوذها السياسي والاستراتيجي على دولة أخرى، تكون عادة في حاجة إلى الدولة الأولى، وقد تطور الشكل التقليدي للإمبريالية من الاحتلال العسكري لممارسة النفوذ السياسي إلى التأثير على عملية صنع القرار في الدولة الصغرى النامية. انظر: عبد المنعم المشاط. قاموس المفاهيم السياسية، القاهرة: دار الشروق الدولية، ٢٠١١، ص: ٢٦..

ومفكرين، وفي الولايات المتحدة الأمريكية انتقل المشعل من ليو شتراوس ومدرسة شيكاغو إلى فرانسيس فوكوياما وصمويل هانتنغتون[1].

وأهم ما جاء به فوكوياما وهانتنغتون، هي كتاباتهم لعالم ما بعد الحرب الباردة والتي أعطت لهم شهرة عالمية، فقد كتب فوكوياما وهانتنغتون كلاهما أطروحات فكرية تنظيرية للنظام العالمي الجديد. في أعقاب ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، وخلال الحرب على أفغانستان، أصدر ستون أكاديمياً أمريكياً بياناً بعنوان "لماذا نحارب: رسالة من أمريكا"، ومن بين الموقعين فوكوياما وهانتنغتون، وربما كان هذا البيان أكثر أنواع الدفاع عن التدخل العسكري تحضراً[2]. إن التنظير الفكري لفوكوياما وهانتنغتون جاء من خلال دراساتهم وأطروحاتهم للنظام العالمي الجديد والتي صدرت من مراكز الفكر Think Tanks في الولايات المتحدة الأمريكية، وهنا نطرح سؤالاً عن دور مراكز الفكر في الولايات المتحدة الأمريكية؟.

إن الدراسات النظرية في الغرب ليست عملاً مجرداً ومنفصلاً عن الواقع، ولعل المختبرات التي تخضع لها القضايا الفكرية والثقافية، وجميع الدراسات الإنسانية اليوم توازي المختبرات التي تخضع لها العلوم التجريبية، ففي الولايات المتحدة آلاف المراكز الدراسية والبحثية، ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم، ومن ثم

---

[1] طارق علي. مرجع سابق، ص: ٨٢.

[2] إلين ميكسنزوود. الديمقراطية كأيديولوجيا للإمبراطورية، في: كولن مويرز. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية، ت معين الإمام، الرياض: السعودية، ٢٠٠٨، ص: ٢٥-٢٦.

دراسته وتحليله[١]. فقد انتشرت هذه المراكز في الولايات المتحدة بشكل كبير منذ بداية سبعينيات القرن العشرين، وبلغ عدد مراكز الفكر والمؤسسات البحثية ١٢٠٠ مركز، وقد ظهر تأثير هذه المراكز في صناعة القرار السياسي الخاص في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل واضح وملموس[٢]. وبمقارنة هذه المراكز في العالم نجد أن الولايات المتحدة تحصد المركز الأول عالمياً بعدد المراكز الفكرية والاستراتيجية، أما فيما يتعلق بالعالم العربي فعدد مراكز الأبحاث والدراسات لا يقارن بعدد مراكز الولايات المتحدة.

وتؤثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية بشكل مباشر وفعال، من خلال تبني الإدارات الأمريكية للأفكار والاستراتيجيات التي تضعها هذه المراكز، وفي هذا الصدد يقول روبرت كرينRobert Crane[٣]: "تلعب المراكز دوراً مهمّا في الانتخابات الرئاسية، فضلاً على انتخابات مجلسي الشيوخ والنواب، إلا أن دورها في الانتخابات الرئاسية أخطر، ولا يستطيع رئيس أمريكي الآن أو في المستقبل الوصول

[١] محمد الناصري. مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٤١٠، ٢٠١٣، ص: ١٥٠.

[٢] باسم خفاجي. أثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٦٩، ص: ٤٢.

[٣] روبرت كرين Robert Crane: هو كاتب وباحث حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون، تقلد مناصب سياسية عدة، ففي العام ١٩٦٩، شغل منصب مستشار السياسية الخارجية لريتشارد نيكسون، وفي العام ١٩٨١، شغل منصب سفير الولايات المتحدة لدولة الإمارات العربية في عهد ريغان.

إلى مقعد الرئاسة دون مساعدة هذه المراكز"[١].

إن فكر فوكوياما وهانتنغتون وتحليلاتهما السياسية للنظام العالمي الجديد، صدرت عن هذه المراكز الفكرية والتي تعتبر من أهم المراكز الفكرية في الولايات المتحدة والتي يقودها المحافظون الجدد، مجلة الشؤون الخارجيةForeign Affairs، ومجلة المصلحة الوطنيةThe National Interest. ويبين لنا الباحث الأمريكي هوارد ويرارداward J Wiarda[٢] في كتابه "السياسة الخارجية الأمريكية"، قائلاً: "تتحرك الحكومة الأمريكية عن طريق الرسائل والخطابات المكتبية، وإذا كان المسؤول... مطلعاً على دراستك أو بحثك، فإن هذه الدراسة مفتوحة أمامه، وهو يعد خطاباً لمديره أو حتى للرئيس الأمريكي، فإن لديك فرصة ضخمة للتأثير فيه، وهو يكتب هذا الخطاب بأن يقتبس بعض أفكارك أو تحليلاتك"[٣]. بينما نجد أن بعض القيادات السياسية الأمريكية قد تؤمن بالأفكار والأطروحات السياسية التي يقوم بها مفكرو الولايات المتحدة، وتعمل على تنفيذها في برامجهم السياسية وعلى أرض الواقع، وقد يكون تنفيذ هذه الأفكار مرحلياً بما يخدم الاستراتيجية الأمريكية، وهذا ما سوف نوضحه في تحليل الممارسة السياسية لفكر فوكوياما وهانتنغتون.

---

[١] المرجع السابق. ص: ٤٢.

[٢] هوارد ويراردا Howard J Wiarda: أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم الشؤون الدولية في جامعة جورجيا University of Georgia، ويعد من كبار الباحثين في مركز ويلسون الدولي. انظر: موقع المركز. http: / /www.wilsoncenter.org.

[٣] باسم خفاجي. مرجع سابق، ص: ٤٣.

الممارسة السياسية لفكر فوكوياما في السياسة الأمريكية الخارجية الأمريكية

في خطاب القسم لولاية الرئيس جورج دبليو بوش الثانية، أبلغ بوش العالم أن رسالة الولايات المتحدة هي جلب الحرية والديمقراطية إلى أقصى أركان المعمورة وأشدها حلكة ثم القضاء على الطغيان[١]. ويصف جورج حجار الولايات المتحدة بالرايخ الرابع قائلاً: "تبقى الولايات المتحدة الدولة الأولى مرحلياً دون منازع في العالم، وعلى كافة الأصعدة من تكنولوجيا إلى العسكر إلى الاقتصاد إلى السياسة إلى الثقافة، وأتجاسر بالقول في تنظيم الاجتماع البشري الذي يحاول فرض نمط حياته وقيمه على العالم"[٢]. إن هذه الأفكار لم تأتِ من فراغ أو من خارج مؤسسات الأبحاث والدراسات الأمريكية، فقد دعا فوكوياما بأطروحته التي كانت محط إعجاب وتأييد الإدارة الأمريكية بنشر الديمقراطية الليبرالية إلى دول العالم، وأكد في نهاية أطروحته أن غالبية دول العالم سوف تصل إلى الديمقراطية. ويصف جيلاني بوبكر أطروحة فوكوياما بالبيان النظري الأيديولوجي والسياسي للنظام العالمي الجديد، يهدف إلى وضع خطاب سياسي وأيديولوجي من أجل تبرير توجه العولمة، وتمرير فرض النظام العالمي الذي تسعى الولايات المتحدة إلى فرضه على العالم أجمع[٣]. وفي ضوء أطروحة فوكوياما أصبح الليبراليون وهم يشهدون تقدم العالم الغربي النسبي الواضح على سائر شعوب العالم، على قناعة واعتقاد بأن مرد هذا التقدم يعود أساساً إلى تقدم الفكر

[١] إلين ميكسينزوود. مرجع سابق، ص: ٢٥.

[٢] جورج حجار. مرجع سابق، ص: ٦٢.

[٣] جيلاني بوبكر. مرجع سابق، ص: ٢٢.

السياسي الليبرالي، وما لحق به من تطورات على الصعيدين النظري والعملي، ومن ثم فإن هذا الفكر والمجتمعات التي حملته أضحت الأكثر نمواً وتقدماً والأكثر ازدهاراً، وهو ما يشكل مؤشراً واضحاً على صحة فرضيات ومنطلقات فوكوياما الفكرية[١]. أصحاب رؤوس الأموال والشركات متعددة الجنسيات وشركات صناعة السلاح تدعم أطروحة فوكوياما لأنها تصب في مصلحتها.

وتحاول أمريكا بوصفها قطباً سياسي واقتصادي في أيامنا هذه، أن تحقق فكرة نهاية التاريخ من خلال مشروع "النظام العالمي الجديد". فالعولمة والدمقرطة والأمركة كلها معانٍ تصب في محاولة تحقيق التفوق المأخوذ بقوة الاعتراف، أي وفق ما يسميه أفلاطون "الثيموس[٢]"Thymos. إن أكثر من حدث ومظهر يمنحها أن تكون في مثل هذه المكانة، أي أن تكون الدولة العالمية المنسجمة: الدولار الذي يشي بالهيمنة الأمريكية الاقتصادية. والثقافة العملية الأمريكية التي تجسد روح المغامرة والتفوق. والسياسة الأمريكية ودبلوماسيتها، وقوتها العسكرية ثالوث متكامل. فإن أطروحة فوكوياما تؤكد أن العالم اليوم هو أمريكا[٣]. فوكوياما تحدث بإسهاب عن الدولة المنسجمة، وعن حصول الأفراد على الاعتراف الكامل، غير أنه سمح للولايات المتحدة الأمريكية بالتفوق والهيمنة دون الدول الأخرى، "غير أن الطبيعة ستتآمر من أجل الحفاظ على درجة كبيرة من الميجالوثيميا "الرغبة بالتفوق"، حتى في عالمنا الديمقراطي الآخذ بمبدأ المساواة، فالحضارة التي ليس بها فرد يريد نيل

[١] حسام الغرباوي. مرجع سابق، ص: ٥٠.

[٢] عبد القادر بو عرفة. مرجع سابق.

[٣] إبراهيم محمود. مرجع سابق، ص: ١٣٣-١٣٤.

الاعتراف بتفوقه على الآخرين، لن يكون بها غير القليل من الآداب والفنون والحياة الفكرية... وستكون الصناعات والحرف فيها مبتذلة وغير متطورة، وتكنولوجيتها متوسطة الدرجة، وسوف تكون عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد الحضارات التي تعرف قدراً أكبر من الميجالوثيميا"[١].

وفي ضوء أطروحة نهاية التاريخ، بات معروفاً أن طور الليبرالية الجديد أنتج حزمة من الإشكالات السياسية والإيديولوجية منها: استبدال مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية بمبدأ التدخلات العسكرية لحسم النزاعات والحروب الداخلية، واستخدام القوة بهدف استبدال أنظمة سياسية استبدادية بأخرى ديمقراطية. حاتم، ٢٠١٠، ص١٠٠. وهذا ما نراه في سياسة الولايات المتحدة العالمية على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث إنها تسعى داخلياً للتطور والتنمية في المجالات كافة، وخارجياً تمنع أي دولة خاصة دول العالم الثالث، من التطور أو امتلاك التكنولوجيا النووية في الأغراض السلمية، وإن أقدمت هذه الدول على امتلاك التكنولوجيا النووية فإنها تندرج ضمن قائمة دول "محور الشر[٢] Axis of Evil".

---

[١] فرانسيس فوكوياما. مرجع سابق، ص: ٢٧٤.

[٢] محور الشر Axis of Evil: هو مصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، لوصف كل من: العراق وإيران وكوريا الشمالية. كما أنه أيضاً وصف أيديولوجي ينسب لقائله فضيلة الخير ويسلبها عن الخصوم. مسعد، ٢٠٠٣، ص٢٣٧. وأثناء الحرب الباردة ظهر مصطلح "إمبراطورية الشر Evil Empire"، الذي أطلقه رونالد ريجان ١٩٨٠-١٩٨٨ على الاتحاد السوفيتي السابق. انظر: أمين شلبي. مرجع سابق، ص: ٦٤-٦٥.

الممارسة السياسية لفكر هانتنغتون في السياسة الأمريكية الخارجية الأمريكية:

جاءت أطروحة هانتنغتون بوصفها تنظيراً فكرياً لما سوف تؤول إليه السياسة الكونية في النظام العالمي الجديد، واستشرافاً لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين. وفي فصول سابقة ناقشنا أطروحة هانتنغتون التي تعتمد على صراع الثقافات بين الحضارات، والتي تمثل نهاية تطور الصراعات الدولية، وأجزم بحدوث هذه الصراعات في المستقبل. والسؤال المطروح الآن. لماذا جاء التنظير الفكري من قبل هانتنغتون للعلاقات بين الحضارات من منظور تنافسي صراعي؟ ولم يبحث عن آليات للعلاقات المتبادلة بين الحضارات؟

تفسر نادية مصطفى علاقة صراع الحضارات "بالحالة"، وكان التوقف عند هذه الحالة ضرورة أكاديمية وفكرية وعملية في آن واحد، بسبب ظهور مصطلحين سابقين لهذه الأطروحة: "النظام العالمي الجديد والعولمة"، أي بعد الاهتمام بهيكل القوة الجديد في العالم "الأحادي" ونمط عملياته "العولمة"، جاء الاهتمام بآليات ومضامين عملياته المحورية والصراعية في مجالات تبدو جديدة "المجالات الثقافية-الحضارية"[١]. بينما يرى محمد حسن أن ضعف أطروحة هانتنغتون جاء من خلال الفصل الجامد بين الحضارات، فهو افتراض خاطئ ومفسد لمفهوم الثقافة التي تنتعش من خلال التنوع والتعدد وتشابك العناصر المؤثرة في الثقافات، وذلك لأن الصدام بين الثقافات والحضارات هو ثمرة صدام سياسي أو هدف له، فيما لو انتهت

[١] نادية مصطفى. مرجع سابق، ص: ٢.

الخلافات والأطماع السياسية سيتقي الصدام بين الحضارات[1].

إن الصراع على المناطق الاستراتيجية كفلسطين، والحملات الصليبية في القرون الوسطى، قد أعادها هانتنغتون في أُطروحته، وأضفى عليها طابعاً علمانياً لتنطلق من جديد على شكل صراع حضارات، والتي عالج فيها مسألة الأديان وصراعاتها، لقد اعتبرت الاعتداءات على مركز التجارة العالمي بمنزلة الدليل المأساوي على صحة أطروحة هانتنغتون[2]. بينما يرى محمد حسن أن هدف هانتنغتون من طرح تصادم الحضارات، هو إبقاء المواطن الأمريكي محافظاً على حالة الحرب حية في ذهنه، وينطلق من نقطة محددة هي ذهنية صناع القرار داخل البنتاغون والمؤسسة العسكرية الذين فقدوا مؤقتاً مبررات بقائهم بعد نهاية الحرب الباردة، والذين يعنيهم الآن خلق مبررات جديدة لهذا الوجود[3].

إن الولايات المتحدة تأسست على قاعدتي الإبادة والاستعباد، على التوسعية الدائمة والعدوانية الفاحشة، وتمكنت من إنجاز البناء القاري لنفسها في أمريكا الشمالية، وانتقلت من جمهورية زراعية إلى جمهورية صناعية وديمقراطية في القرن التاسع عشر واعتبرت القرن الآتي "الواحد والعشرين" قرنها بامتياز، ولتحقيق ذلك الهدف، تزايد التوسع من جنون العظمة إلى الحق الإلهي في نشر رسالتها الحضارية،

---

[1] جريدة الاهرام. ترجمة عربية لكتاب صمويل هانتنغتون الأخير (أمريكا ترفع شعار لابد من عدو)، حسن السيد القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٩، ص: ٣١.

[2] إيف لاكوست. مرجع سابق، ص: ٤٥.

[3] محمد حسن. مرجع سابق، ص: ٢٧.

فاندفعت إلى الحروب الخارجية[1]. فلسفة إيجاد عدو دائم للولايات المتحدة حاضرة منذ نشأتها، ففي بداية التكوين كان العدو الهنود الحمر، ثم بريطانيا حتى الاستقلال، ولكن العدو الاستراتيجي كان ممثلاً في الاتحاد السوفيتي والآن العالم الإسلامي.

العدو في الفكر الأمريكي والاستراتيجية السياسية محفزاً استراتيجياً ومرعباً إعلامياً، وبانتهاء الحرب الباردة كان لابد للدولة الديمقراطية أن تجد عدواً يحفزها على تماسك الإدارة الداخلية[2]. وعلى إثر هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وعندما تهيأت حكومة بوش الابن للرد على الهجمات، بدأت قوى المحافظين الجدد التابعة له بالاحتشاد للعمل على توسيع الرد الأمريكي ضد المتهم الرئيسي في العملية: أسامة بن لادن، غير أن حكومة بوش والمحافظين الجدد شنوا حرباً شاملة على العالمين العربي والإسلامي[3]. وقد مورست هذه الأفكار التي نظر لها المحافظون الجدد ومن ضمنهم فوكوياما وهانتنغتون بأن الخطر القادم والتحدي الأكبر في ظل النظام العالمي الجديد يأتي من الحضارة الإسلامية. فقد وصف هانتنغتون الحضارة الإسلامية بعد هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ بالفاشية الإسلامية، وصورها بالتحدي الكبير الذي يواجه الولايات المتحدة، ويجب محاربته. بينما يرى سيد حسن أن شهرة هانتنغتون الحقيقية على الأقل في عالمنا العربي جاءت من الجدل الذي تجدد بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، لأن أفكار هانتنغتون التي لم تكن بعيدة

---

[١] جورج حجار. مرجع سابق، ص: ٦٤-٦٦.

[٢] فائز محمود وسجى زيدان. مرجع سابق، ص: ٣٢٢.

[٣] مايكل بايير. كهنة الحرب الكبار، ت عبد اللطيف أبو البصل، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٦، ص: ٧٣.

عن دوائر صنع القرار في بلاده هي التي شرعنت عدوان الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على الصين والعالم الإسلامي، فيما عرف وقتها بالحرب على الإرهاب[1]. إن أخطر التطورات في الفكر الأمريكي في ظل النظام العالمي الجديد، وبعد هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، هو تبلور الربط بين الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، وسيطرة هذا الهاجس على التفكير الأمريكي، وهو الأمر الذي كان وراء مفهوم "محور الشر"، والذي جمع بين ثلاث دول هي: "العراق وإيران وكوريا الشمالية"، وكان العنصر المشترك بينها هو محاولة امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل، وفيما يتعلق بالاستراتيجية الأمريكية صاغت فكرة الحرب الاستباقية، والتي رأت الإدارة الأمريكية فيها الرد الملائم على الأخطار والتهديدات[2].

وقد تضمنت أطروحة هانتنغتون في ثناياها أهدافاً عقائدية، تمسك بها المحافظون الجدد، فشكلت هدفاً لإدارة بوش الابن، فذهبوا إلى المطالبة بتغيير المناهج التعليمية، وملاحقة أهل الفكر العربي، وقد استغلت إسرائيل أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، للمطالبة بتغيير المناهج في الدول العربية والإسلامية، وكان التغيير المطلوب، تغيير مضمون مناهج التربية الإسلامية، ولحذف بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واصفين هذه المناهج بأنها تركز على الكراهية والحقد والإرهاب[3]. لتخرج الحضارة الإسلامية من أرضية الدم التي تقف عليها، لابد من

[1] سيد حسن، مرجع سابق، ص: ١٨.

[2] أمين شلبي. مرجع سابق، ص: ٢٣.

[3] يونس الجمرة. الرؤية العقائدية للجيل الثاني من المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي، رسالة ماجستير، عمان: جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، ٢٠٠٩، ص: ٩٥-٩٦.

تغيير المناهج التعليمية، ومحاربة الإرهاب، ودخول الدول العربية باتفاقيات سلام دائمة مع إسرائيل وتطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث يرى هانتنغتون أن الصراع "الإسرائيلي - الفلسطيني"، هو صراع حضاري بالرغم من وجود اتفاقية السلام إلا أن الصراع يبقى قائماً.

يبدو أن الولايات المتحدة، وكذلك الغرب يدركان أن التصادم وليس التفاهم، هو الذي سيسود العلاقات بين الشرق والغرب، وقد اعترف بذلك أكثر من مسؤول أمريكي، فقد قال جاك لسليJack Leslie رئيس مجلس إدارة شركة "ويبر شاندويك[١] "weber shandwick: ليس من الواقعي كثيراً، وقد يكون من غير المثمر أن نوحي بأنه بإمكاننا تسويق قيم أمريكا في الشارع العربي وعلى المدى القريب، ليست هذه حرباً يمكننا الانتصار فيها عبر الموجات الإذاعية، بل يتحتم علينا خوضها في الشارع[٢]. وربما يكون هذا هو السبب وراء الاستجابة المتحمسة من صناع القرار في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وعدم اهتمامهم بالعديد من الدراسات الجادة والخبرة المتراكمة، واختزال كل هذا إلى القليل من العبارات الجذابة سهلة التذكر التي يمكن تقديمها باعتبارها معلومات ذات فائدة عملية واضحة وحكيمة. وعما إذا كان من الحكمة أن يرسم هانتنغتون خريطة مبسطة للعالم وتقديمها للجنرالات وصناع

---

[١] ويبر شاندويك Weber Shandwick: هي شركة علاقات عامة في الولايات المتحدة، فهي شركة رائدة عالمياً في مجال العلاقات العامة، حيث لديها مكاتب منتشرة في ٨١ دولة حول العالم. وتتمتع الشركة بخبرة واسعة في مجال التواصل الاستراتيجي، ووسائل الإعلام الاجتماعية والتسويق الرقمي. انظر: الموقع الرسمي للشركة. www.webershandwick.com.

[٢] حسن الباش. مرجع سابق، ص: ١٣٣.

القرار بوصفها لفهم العالم والتصرف حياله على أساس هذا الوصف[1]. هانتنغتون يرسم خرائط عدة للعالم والقارات، وكذلك عمل مقارنات وجداول معلوماتية عدة عن الصدام بين الدول والحضارات، وكان من شأن هذه الخرائط والجداول إرهاق القارئ بالأمثلة والنماذج كي يؤمن بفكرة صدام الحضارات التي يطرحها.

وفي هذا يقول سلامة كيلة مختلفاً بالرأي مع إدوارد سعيد حول سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١: ما يجري ليس "حرب حضارات" رغم أن الدولة الأمريكية تحاول إظهارها كذلك، وإن كان بشكل غير مباشر، عبر التركيز على دور ثقافة محددة في إنتاج التعصب والتطرف. وما يطرحه هانتنغتون من انقسامات حضارية ومجالات الاحتكاك بينها، وخطر الحضارة الإسلامية، لم يكن هو المدخل الحقيقي للحروب التي نفذتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق والبوسنة، بل ما يجري هو "حدود المصالح"، ومن ثم ميول الرأسمالية الأمريكية إلى التوسع في الأساس، وكونها مأزومة مالياً تالياً، ولهذا فهي ترى أن الحل يفرض استراتيجية السيطرة والهيمنة على العالم[2]. إن هدف هانتنغتون في أُطروحته هو مصلحة الولايات المتحدة، وذلك من خلال تحديد عدو جديد للإمبراطورية الأمريكية وضمان هيمنتها على الحضارات الأخرى، فإن تبنت الإدارة الأمريكية رأي هانتنغتون كما هو حول خطر الإسلام، أو تبنت استراتيجية المصلحة، فإن الحرب هي الوسيلة التي اتبعتها الولايات المتحدة ضد الحضارة الإسلامية بالرغم من تعدد الحجج والمبررات.

---

[١] إدوارد سعيد. مرجع سابق، ص: ٥١.

[٢] سلامة كيلة. عصر الإمبراطورية الجديد، القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠، ص: ٩٨-٩٩.

المبحث الثاني:

التحولات الفكرية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية

في الفصل الثاني من هذه الدراسة تحدثنا عن المحافظين الجدد، والسلطة في الولايات المتحدة، إلا أن الانتخابات الأمريكية تفرز دائماً شخصيات متنوعة، بالإضافة إلى انتمائها، إما للحزب الجمهوري أو الديمقراطي، بالرغم من وجود أحزاب سياسية أخرى في الولايات المتحدة، إلا أنها تعتبر من الدول التي تعتمد نظام ثنائي الحزب. وبعد رحيل جورج بوش الابن عن السلطة جاء الرئيس الديمقراطي باراك أوباما Barack Obama الرئيس الرابع والأربعون، منذ العام ٢٠٠٩ وحتى الآن، وكذلك الدراسات العلمية والتنظيرية لم تتوقف في الولايات المتحدة. وهنا سوف نقوم بالبحث والتحليل عن أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون في سياسة الرئيس باراك أوباما من جهة، ومراكز الدراسات والأبحاث من جهة أخرى.

تحولات السياسة الأمريكية في عهد باراك أوباما:

قبل نهاية عهد جورج بوش الابن ووصول باراك أوباما إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، لم يسلم بوش الابن من انتقادات المحافظين الجدد، وكان أبرز المنتقدين هو فوكوياما الذي تحدث بإسهاب عن فشل بوش في الحرب على العراق وأعلن براءته منه.

إن الولايات المتحدة تدفع ثمن فشل بوش وأعوانه من المحافظين الجدد لسياسة بوش الابن واستراتيجية سياسته الخارجية، نتيجة التعثر في العراق، وما تبعه

من تأثيرات سلبية على مصداقية أمريكا وصورتها في العالم[١]. ولعل انتقاد فوكوياما نابع من فشل نشر الديمقراطية الليبرالية في العالم بعد فشل بوش وإدارته، وهو ما أدى إلى خروج أطروحته "نهاية التاريخ" عن الواقع. وعندما وصل باراك أوباما إلى البيت الأبيض كان هناك تغير ملحوظ في السياسة الخارجية الأمريكية.

إن البرنامج الانتخابي لباراك أوباما حمل ستة تصورات أساسية للسياسة الخارجية الأمريكية[٢]، ومن أهم هذه التصورات، دور المنظمات الدولية وأهداف سياسة الأمن القومي الأمريكي. فقد اعتبر الديمقراطيون أن أحد معالم فترة حكم جورج بوش الابن كانت تجاهل دور المنظمات الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة ذاتها، وارتبط ذلك بإقرار الحزب الديمقراطي بأن قوة الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية لا تنبع من قوتها العسكرية فقط، بل مما أسموه "القوة المعنوية"، أي بوجود توافق دولي حول منظومة القيم الأمريكية[٣].

إن تغير الإدارة الأمريكية الجمهورية بأخرى ديمقراطية، وفشل سياسة العسكرة والتوتر الذي رفعته الليبرالية الجديدة، دفعت العقل الاستراتيجي الأمريكي إلى التفكير في صياغة سياسة دولية جديدة، جوهرها ضرورة استرجاع

[١] عاطف الغمري. مرجع سابق، ص: ٧١.

[٢] التصورات الستة الأساسية في برنامج أوباما الانتخابي هي: ١. دور المنظمات الدولية. ٢. أهداف سياسة الأمن القومي الأمريكي. ٣.تعزيز الديمقراطية. ٤. دور التجارة الدولية. ٥. تعامل الولايات المتحدة مع القوى الأخرى في النظام الدولي. ٦. البيئة وتغير المناخ. انظر: وليد عبد الناصر. من بوش إلى أوباما المجتمع والساسة في الولايات المتحدة الأمريكية، القاهرة: مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٠، ص: ١١٥.

[٣] المرجع السابق. ص: ١١٦.

ما ضيعته الإدارة الجمهورية الطائشة من مواقع دولية عبر الأخذ بالمرونة السياسة والدبلوماسية الهادئة لحل النزاعات الدولية[١]. إن ما يميز ولاية جورج بوش الابن في السياسة الدولية محاربته للإرهاب في أعقاب أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر٢٠٠١. فقد انتقد باراك أوباما الحزب الجمهوري في اختزال أهداف الأمن القومي في هدف واحد وهو مكافحة الإرهاب[٢]. وقد خاضت الولايات المتحدة في عهد بوش الابن حروباً دولية من أجل القضاء على الإرهاب في أفغانستان والعراق، وتتجلى صورة العدو الجديد للولايات المتحدة في الحضارة الإسلامية كما صرح به هانتنغتون من خلال أُطروحته الفكرية.

بعد وصول باراك أوباما للبيت الأبيض، عقد اجتماعاً على مستوى عالٍ مع مجموعة من مستشاري الأمن القومي قال فيه: إن الرئيس القادم يجب عليه أن يوجه البلاد في اتجاه واحد، بإرسال رسالة واضحة لبقية دول العالم نقول فيها: نحن لم نعد نتبع سياسات انفرادية ولهجة التهديد والأيديولوجية[٣]. غير أن أمن الولايات المتحدة القومي هو مهمة الرئيس الأساسية، وكان رأي باراك أوباما في الحضارة الإسلامية واضحاً في خطابه من جامعة القاهرة في ٤ حزيران/ يونيو٢٠٠٩، أنه متمسك بنهج الهجوم على التيارات الإسلامية الراديكالية، وبالمقابل دعا لحسن توظيف القيم الإيجابية في الإسلام والانفتاح على الآخر. وقد كان تركيز أوباما موجهاً

[١] لطفي حاتم. موضوعات في الفكر السياسي المعاصر كوبنهاغن: الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ٢٠١٠، ص: ١٠٥.

[٢] وليد عبد الناصر. مرجع سابق، ص: ١١٦.

[٣] عاطف الغمري. مرجع سابق، ص: ٨٤-٨٥.

للبحث عن سبل الخروج من الأزمة المالية، وفيما يخص سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، لم يحدث تغير واضح في الموقف الأمريكي تجاه عملية السلام بين العرب وإسرائيل. إلا أنه حدث تغيرات عدة في ولاية أوباما الثانية، فقد زار الأراضي الفلسطينية وإسرائيل في ٢١ آذار/ مارس ٢٠١٣، وعمل على إعادة مسار المفاوضات التي كانت مجمدة لأكثر من ثلاث سنوات من قبل السلطة الفلسطينية، هذا ويعمل وزير خارجيته جون كيري John Kerry على إنجاح المفاوضات والتوصل لاتفاق سلام بين الجانبين.

بينما يرى لطفي حاتم أن هزيمة وتراجع الليبرالية الجديدة ومضامينها الاقتصادية والسياسية والعسكرية بعد الأزمة المالية العالمية، وضع الاستراتيجية الأمريكية أمام إعادة جدولة أولويتها المنطلقة من الموضوعات التالية[1]:

١. تعزيز الوحدة الأطلسية من خلال إشراك الحلفاء الأوروبيين في حل النزاعات الدولية وعدم الانفراد في مواجهات دولية كبرى.

٢. التعاون مع الدول القومية الناهضة روسيا، الهند، الصين، البرازيل بعد فشل تحجيمها وإشراكها في معالجة قضايا الإرهاب والطاقة النووية.

٣. اللجوء إلى لغة الحوار في حل القضايا الساخنة لغرض إيجاد الحلول الوسطية المشتركة لإعادة ترتيب الأوضاع الداخلية للدول، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، عبر نبذ سياسة الإملاءات والدخول على خط

[١] لطفي حاتم. مرجع سابق، ص: ١٠٦.

احترام المصالح الوطنية، وبهذا المسار تتوجه الولايات المتحدة لإعادة بناء علاقات جيدة مع تركيا، وكذلك مع إيران عبر مشاركتها في الملفات الأمنية الشائكة في العراق.

وهذا ما يحدث الآن في السياسة الخارجية الأمريكية، ففي ظل الأزمات والثورات العربية لم تتدخل الولايات المتحدة بمفردها في دول الربيع العربي، بل كان التدخل مرهوناً بحلف الناتو وكذلك بموافقة روسيا والصين، ولم تكن هذه التدخلات الدولية وفقاً لاعتبارات حضارية ثقافية، أو من أجل نشر الديمقراطية الليبرالية. إن هيمنة الولايات المتحدة بوصفها قوة وحيدة تراجع، وهذا لا يعني أن النظام العالمي أصبح متعدد الأقطاب، بل إن هناك قوة عالمية بجانبها قوى لها تأثيرات دولية. ويقدم هانتنغتون تحليلاً جديداً لقوة الولايات المتحدة في السياسة العالمية، "في مرحلة الحرب الباردة، كانت بنية القوة الدولية ذات قطبين، أما البنية الناشئة فمختلفة جداً، وبدلاً من ذلك فإن النظام القائم حالياً هو نظام هجين "آحادي - متعدد الأقطاب uni- multipolar"، يتشكل من قوة عظمى Superpower واحدة وعدة قوى رئيسة أخرى Major powers"[1].

لعل أطروحة هانتنغتون أكثر واقعية في تفسير العالم من أطروحة فوكوياما، ويصف بهجت قرني نظرة هانتنغتون بأنها: "على الرغم من أن واقعية هانتنغتون تشارك الواقعية السياسية في كثير من خصائصها، إلا أنها تضع العامل الثقافي في

[١] صمويل هانتنغتون. القوة العظمى الانفرادية البعد الجديد للقوة، ت مركز فلسطين للدراسات والبحوث، غزة: مطابع التوفيق، ١٩٩٩، ص: ٧-٨.

المرتبة الأولى، ولذلك أسميها الواقعية الثقافية"[١].

تنفرد ظاهرة الصراع الدولي عن غيرها من ظواهر العلاقات الدولية بأنها ظاهرة ديناميكية متناهية التعقيد. ويرجع ذلك لتعدد أبعادها وتداخل مسبباتها ومصادرها، وتشابك تفاعلاتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، وتفاوت المستويات التي تحدث عندها[٢]. أغفل هانتنغتون العوامل والأبعاد الأخرى التي تؤثر في الصراعات الدولية، وجعل الثقافة هي الوحيدة القادرة على تفسير الصراعات الدولية الناشئة في النظام العالمي الجديد.

أما تفسيرات فوكوياما للعلاقات الدولية فرسمها بشكل يتلاءم مع نشوة الانتصار وروح العالم المطلقة التي وصلت إليها البشرية في نهاية التاريخ، فقد رسم اتحاداً سلمياً يضم دول ما بعد التاريخ على أسس اقتصادية، واقتصر الصراع والتنافس على الدول التاريخية. **فقد جانب الأطروحتين الصواب في تفسير النظام العالمي الجديد في ظل المتغيرات الدولية الراهنة وأهمها:**

١. الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨، والأحداث التي أعقبتها من مظاهرات في معقل الرأسمالية، وسقوط اقتصاد اليونان.

٢. دور روسيا والصين المتنامي في منطقة الشرق الأوسط في قضايا التنمية والاقتصاد والأزمات الإقليمية الراهنة.

---

[١] بهجت قرني. مرجع سابق، ص: ١٧٩.

[٢] كمال الأسطل. مرجع سابق، ص: ٤٧.

٣. الديمقراطية وحقوق الإنسان في الثورات العربية، جاءت بوصفها مطلباً شعبياً داخلياً، ولم تستطع أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون التنبؤ بهما.

٤. قوة المنظمات الاقتصادية في آسيا، وتنامي قوة الصين الاقتصادية في العالم.

تحولات الفكر الأمريكي في الألفية الثالثة:

لم تتوقف مراكز الدراسات عن نشر مبادئ وتطلعات المحافظين الجدد، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الدولية. وقد كتُبت دراسات فكرية واستراتيجية عدة، بعضها يؤيد أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون، وبعضها الآخر ينتقدها.

يرفض روبرت كيغان الوهم الأوروبي الذي مفاده أن العالم دخل فردوس ما بعد التاريخي من السلام والازدهار النسبي، وتحقيق السلام الدائم، الذي دعا إليه كانط، وما تزال الولايات المتحدة غارقة في التاريخ، تمارس قوتها في عالم هوبز الفوضوي، لأن القواعد والقوانين الدولية غير موثوقة، ولا تعتمد عليها، حيث لا يزال الأمن الحقيقي والدفاع عن القيم الليبرالية يعتمد على امتلاك القوة العسكرية[١]. وطرح كيغان هذه الأفكار في كتابه "عودة التاريخ ونهاية الأحلام"، وهي تشكل رؤية فكرية حول دور الولايات المتحدة ومستقبلها في القرن الحالي. وينتقد كيغان أطروحة نهاية التاريخ معتبراً مرحلة ما بعد الحرب الباردة كانت ضبابية، وينظر كيغان لعالم

---

[١] كولن مويرز. الحنين إلى الإمبراطورية تعديل التاريخ الإمبريالي للقوة الأمريكية. في كتاب: كولن مويرز معد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٨، ص: ١٧١.

يقوم على التمحور حول سياسات القوة وعودة أيديولوجيات القومية والشوفينية المتحالفة مع الأنظمة السلطوية، مركزاً على وجه الخصوص والتحديد على الصين وروسيا[١].

ويرى وليد عبد الناصر أن أفول المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية كان في عام ٢٠٠٨م "في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨، ترشح عن الحزب الجمهوري جون مكين John Mccain، الذي حرص في حملته الانتخابية على أن يكون بعيداً عن المحافظين الجدد، وعن أطروحاتهم الفكرية"[٢]. ويخالفه الرأي خالد الحروب حيث يرى: أن روبرت كيغان أحد أهم المنظرين الراهنين للفكر الأمريكي "المحافظون الجدد"، والمستشار المقرب من جون مكين، وأفكار كيغان تجد طريقاً ممهداً إلى قلب وعقل مكين[٣]. وقد أظهر الإعلام بأن كيغان هو المستشار المقرب من مكين خلال حملته الانتخابية. وهذا يوضح لنا أنه فيما لو نجح جون مكين في الانتخابات الأمريكية، لعاد المحافظون الجدد إلى السلطة، والأهم من ذلك هو عودتهم بأطُروحات فكرية جديدة يصفها خالد الحروب "السياسة الواقعية الشرسة".

في النظام العالمي الجديد، روج المفكرون والكتاب ومن ضمنهم فوكوياما وهانتنغتون للإمبراطورية الأمريكية، فعاد تعبير "الإمبراطورية" إلى الوجهة من

---

[١] خالد الحروب. مرجع سابق، ص: ٢٢.

[٢] وليد عبد الناصر. مرجع سابق، ص: ٦٧.

[٣] خالد الحروب. مرجع سابق، ص: ٢١.

قبل التيار الغالب من المفكرين، فقد كان هناك كتابات تمجد فضائل الإمبراطورية الأمريكية[١]. وقد نظم أحد المعاهد الاستشارية للمحافظين الجدد "أمريكان انتربرايز American Enterprise Institute" سلسلة محاضرات، وألقى ديباك لالDeepak Lal[٢] محاضرة بعنوان "دفاعاً عن الإمبراطورية"، ومن ثم ألف كتاباً بعنوان: "في مدح الإمبراطوريات: العولمة والنظام[٣]"، فقد تمحورت أفكار لال حول: دور الولايات المتحدة ومسؤولياتها العالمية، ولذلك لابد من مضاعفة حجم ومساحة السوق، كي تلبي حاجات الناس، من خلال إيجاد نظام اقتصادي ليبرالي دولي[٤]. أطروحة فوكوياما حملت فكرة أساسية هي انتصار الديمقراطية الليبرالية بوصفها أفضل نظام للحكم، ونشر الديمقراطية في العالم، ومن ثم سوف تسود العلاقات الاقتصادية والسوق الحر في العالم. وهنا نجد اتفاقاً فكرياً بين لال وفوكوياما عن دور الإمبراطورية الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد.

المؤرخ البريطاني نيال فيرغسونNiall Ferguson[٥] هو بدون شك

---

[١] كولن مويرز. مرجع سابق، ص: ١٧٣.

[٢] ديباك لال Deepak Lal: أستاذ دراسات التنمية الدولية في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس، وباحث مساعد في معهد كيتو بواشنطن العاصمة.

[٣] عنوان الكتاب. In praise of Empire: Globalization and order 2004

[٤] أدم هنية. مدح الإمبراطورية الليبرالية الجديدة في ظل السلام الأمريكي. في: كولن مويرز معد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. ت معين الإمام، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٨، ص: ٢٤٩-٢٥٣.

[٥] نيال فيرغسون Niall Ferguson: مؤرخ بريطاني، أستاذ التاريخ بجامعة هارفارد، فقد ألف كتابه عقب غزو أمريكا للعراق بدفع وتحريض من جماعة المحافظين الجدد، الخولي، آذار/ مارس ٢٠١٣.

أشد المدافعين عن فضائل الإمبراطورية، فقد كتب عن هذه الفضائل في كتابة "الإمبراطورية، ٢٠٠٢"[١]، التي تمحورت أفكاره حول: نشر الحضارة الغربية، يتطلب وجود إمبراطورية، وكذلك وضع حل لطبيعة الدولة بأراضيها المحدودة في عصر رأس المال المعولم هو جعل حدود الدولة مشتركة مرة أخرى مع حدود رأس المال[٢]. وصف فيرجسون أمريكا بأنها "إمبراطورية فى حالة إنكار"، مشيراً إلى أن التاريخ يحذّر من غروب شمس هذه الكيانات الإمبراطورية، وعمد فيه إلى تحذير أمريكا وأوروبا، والغرب عامة، إزاء صعود الصين ومن بعدها أقطار أخرى مثل الهند، بوصفهما المنافس المرتقب على قيادة مسيرة العالم[٣]. فيرغسون يدعو صراحة لاحتلال الدول من أجل بسط سيطرة الإمبراطورية على الأراضي، وبهذا تصبح الحدود مفتوحة، والعولمة ذات معنى واضح ومشتركة مع رأس المال في حدود الإمبراطورية. إن هذه الدراسات والأفكار التي تدعم هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها إمبراطورية عالمية "القوة المطلقة" لم تدم طويلاً، ولم تجد تأييداً لدى الدول الغربية.

أول من صاغ مصطلح "القوة المطلقة" على الولايات المتحدة هو وزير خارجية فرنسا السابق هوبرت فيدرين Hubert Vedrine[٤]، ولم يكن المعنى المقصود

---

[١] عنوان الكتاب. Empire: The Rise and demise of the British world order and the lessons for global power, 2002

[٢] كولن مويرز. مرجع سابق، ص: ١٧٣-١٧٤.

[٣] صحيفة الشعب – مصر. الغرب مطالب بإدراك أن المعرفة لم تعد حكراً عليه- محمد خولي. http: / /elshaab.org.

[٤] هوبرت فيدرين Hubert Vedrine: سياسي فرنسي من الحزب الاشتراكي، وزير خارجية فرنسا السابق في حكومة ليونيل جوسبان 1997-2002 Lionel Jospin.

إيجابياً، حيث أعلن أن فرنسا "لا يمكن لها قبول عالم وحيد القطب من الناحية السياسية، أو عالم تحت مظلة ثقافية واحدة، أو قوة مطلقة وحيدة"[١].

إن التنظير الفكري لهؤلاء المفكرين وغيرهم، الذي يدعم قيام فكرة "الإمبراطورية الأمريكية"، هم ينظرون لنظام استعماري جديد لدول العالم، تحت شعارات القضاء على الإرهاب ونشر الديمقراطية والليبرالية. وبالرغم من دعم فوكوياما وهانتنغتون الفكري في أطروحاتها للولايات المتحدة بوصفها قوة مطلقة، غير أن سلوك الدول في النظام العالمي الجديد مع بداية القرن الحادي والعشرين قد تغير من الهيمنة الأمريكية المنفردة إلى وجود قوى دولية فاعلة في النظام الدولي بجانب الولايات المتحدة، وكان ذلك واضحاً في القضايا الدولية الحالية، ومنها الأزمة السورية، وضم شبه جزيرة القرم لروسيا.

وفي النهاية يمكن القول بأن أطروحة فوكوياما التي حملت السعادة للبشرية في نهاية التاريخ بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وخاصة في عالمنا المعاصر وصراعاته المستمرة، فهناك أكثر من منطقة مشتعلة فيها الحروب، الوطن العربي وإفريقيا تشتعل فيها الحروب التقليدية من أجل الحفاظ على السلطة. أما الحروب المشتعلة بين الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة والصين واليابان، فهي حروب حديثة تصنف ضمن الحروب التكنولوجية. وبهذا تصبح أطروحة فوكوياما بعيدة عن الواقع. أما أطروحة هانتنغتون الأقرب إلى الواقعية السياسية، بالرغم من كل الانتقادات حولها، إلا أنها تناولت موضوعاً حقيقياً ألا وهو الصراع الثقافي بين الدول والحضارات.

---

[١] إيمي شوا. عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرض العالم وأسباب سقوطها. ت منذر محمود محمد، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠١١، ص: ١٥.

المبحث الثالث:

أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في الألفية الثالثة

عبر العصور المعاصرة نشأت النظم الدولية في أعقاب أحداث وحروب كبرى، حدث هذا مع معاهدة "وستفاليا عام ١٦٤٨" التي أنشأت نظام الدولة القومية وذلك في أعقاب حرب الثلاثين عاماً. ومع مؤتمر "فينا ١٨١٥" أرسى نظاماً دولياً استمر قرابة المائة عام وذلك عقب الحروب النابليونية. ومعاهدة "فرساي عام ١٩١٩" التي أقامت نظام ما بعد الحرب العالمية الأولى. ثم نظام ما بعد الحرب الثانية في مؤتمر "يالتا ١٩٤٥"[١].

عملت الولايات المتحدة منذ تأسيسها على فرض سيطرتها على دول العالم في كل المجالات غير آبهة بالآخرين وبالصديق قبل العدو، بعد أن أصبحت الوريث الشرعي للدول الاستعمارية التي عرفها العالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وما كادت الأمم الأوروبية تنجز انتحارها في حربين عالميتين أدتا إلى تمزيقها وإنهاكها حتى فرضت أمريكا سيطرتها العسكرية عبر جيوشها وكذلك سيطرتها الاقتصادية والسياسية عبر ولاء الحكومات المنهكة والمهزومة[٢]. ولعل التساؤل الذي يطرح نفسه الآن: ما النظرية السياسية التي تحكم سياسة الولايات المتحدة وتحدد استراتيجيتها؟ وإلى أي مدى يتم تعديل الأفكار في تلك النظرية كي تتلاءم مع المصلحة القومية الأمريكية؟

[١] انظر: أمين شلبي. مرجع سابق، ص: ١٩-٣٠.

[٢] Michel Bugnon-mordant: أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم العولمة، ت حامد فرزات، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١، ص:٩.

تطبق الولايات المتحدة الأيديولوجيا الرأسمالية، ومع مرور الزمن تم استحداث الليبرالية الجديد، إلا أن هذه الأيديولوجيا لا تطبق بالدرجة نفسها في كل الدول الغربية. ومع سقوط روسيا وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، أصبحت الليبرالية الجديدة في زمن العولمة، التي تزعزع أسس الحياة الاجتماعية في مختلف أنحاء المعمورة شمالاً وجنوباً، تقوم هذه الأيديولوجيا على المرتكزات التالية: الدعوة المتطرفة إلى الحرية الاقتصادية، وإنكار دور الدولة في ضبط آليات وحركة النظام الرأسمالي، وتعاملها مع البلدان النامية من منطلق التكيف مع الأيديولوجيا الليبرالية[1]. ولعل هذه الأفكار تحمل دائمًا مسميات أخلاقية.

وبتحديد السؤال الذي نود طرحه هنا من جديد في هذا الكتاب: هل ما زال الفكر المحافظ فاعلاً في النظرية السياسية والسياسات العامة في الولايات المتحدة؟، ومن ثم: هل أفكار فوكوياما وهانتنغتون ما زالت فاعلة في السياسة الأمريكية الحالية؟

إن الإجابات عن هذه الأسئلة ليست رياضية يمكن وضعها في معادلة والإتيان بالإجابة القاطعة بسرعة، ولكن يمكن الإجابة عن تلك الأسئلة من خلال رصد وتحليل سياسة الولايات المتحدة في الألفية الثالثة، ومعرفة أصل الأفكار التي حددت تلك السياسيات، ورسمت معالمها.

---

[1] توفيق المديني. التوتاليتارية الليبرالية الجديدة والحرب على الإرهاب، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣، ص: ٦.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وتربع الولايات المتحدة على عرش العالم، وبداية نظام عالمي جديد "آحادي القطبية"، ظهر تيار المحافظين الجدد بقوة على الساحة الأمريكية، وهذا التيار تأسس على يد الفيلسوف اليهودي الألماني الأصل ليو شتراوس، وقد أسس الفكر المحافظ على أسس وقواعد فلسفية توصل إليها من خلال الإرث الغربي القديم والمعاصر في الفلسفة السياسية[١]. ولعل أشهر تلك الأسس الفلسفية هي:

أولاً: استبداد النخبة وهو عدم مقدرة الضعفاء استخدام السلطة، فهم مسيرون وليسوا مخيرين.

ثانياً: الخطاب المزدوج من خلال اتباع طرح أخلاقي فهم لا يستطيعون التصريح بخطابهم السياسي مباشرة.

ثالثا: حكم الفلاسفة و "الكذب النبيل" وهو ما يحتاجه الفلاسفة والمفكرون للاستهلاك الجماهيري[٢].

فقد قسموا البشرية إلى ثلاثة أقسام: العامة التي لا تمتلك المعرفة ويحركون كالأدوات، والسادة الذين يعرفون نصف الحقيقة ولابد من تشغيلهم، والفلاسفة الذين يمتلكون الحقيقة الكاملة. إن الأسس الفكرية هذه مستوحاة من مدينة أفلاطون الذي أكد أن الحكام في مدينته هم الفلاسفة، بينما يختلف عنه المحافظون

---

[١] انظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني. والذي يبحث عن الأصول الفكرية للمحافظين الجدد.

[٢] هادي قبيسي. مرجع سابق، ص: من ١٧ إلى ٢٣.

الجدد في التطرف الفكري وعدم اقتناعهم بالديمقراطية ويعتبرونها أقل النظم السياسية سوءاً، فهم أتباع الفكر التروتسكي، وانقلبوا عليه وعلى الولايات المتحدة من خلال أفكارهم التنظيرية لقيادة العالم وحكم الفلاسفة له.

إن سياسة الولايات المتحدة وفق رؤية المحافظين الجدد التي قسمت العالم إلى ثلاثة أقسام: الأول: علم العامة، وهم ٩٠٪ ويمثلون الشعوب، والتي ترى بأن النظام الديمقراطي هو نظام مثالي وأخلاقي، فيكون تمثيلهم في الجمعية العامة والمؤسسات الدولية التي تدعم التنمية والديمقراطية مثل البنك الدولي. والثاني: علم الخاصة، وهم ٥٪، ويمثلون المثقفين الذين يقتنعون بأن الولايات المتحدة والغرب يعملون وفق النظام الأخلاقي، فيدخلوهم في هذا النظام فيعملون في اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية وغيرها. أما الثالث فهو: علم خاصة الخاصة، ويمثلون ٥٪، وهم من يديرون العالم "القادة".

وبدأت أفكار المحافظين الجدد تظهر في السياسة الأمريكية في عهد بوش الابن، وانتشرت بعنوان أخلاقي جذاب، وهو نشر الديمقراطية في كل بقاع العالم، وقد نظر لها فوكوياما في أطروحته "نهاية التاريخ"، من أجل تعميم النموذج الأمريكي، واستكمل هانتنغتون في أطروحته "صدام الحضارات" التهديد من خطر الدول التي لا تريد تعميم النموذج الأمريكي، المراد منه السيطرة على العالم بعنوان أخلاقي. وقد سعت الاستراتيجية الأمريكية لاحتواء العالم بما يتوافق مع مصالحها القومية، وما زالت تلك الأفكار تطبق إلى اليوم.

في البداية تحدثنا عن النظم الدولية التي تقوم من أجل إنهاء عذابات الإنسانية من الحروب والقتل، إلا أن النظام العالمي الجديد الذي تترأسه الولايات المتحدة قام هو الآخر منذ البداية على الحروب بمعادلات جديدة، ولعل بدايته كانت أسرع فقد انطلقت من البلاد العربية والإسلامية: العراق والبوسنة وأفغانستان، وليبيا.

ونستطيع تحديد مشاريع الفكر المحافظ وأطروحات فوكوياما وهانتنغتون من خلال السياسات العامة للولايات المتحدة الأمريكية اليوم:

الولايات المتحدة الأمريكية:

البداية من الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، فقد تربع على رئاسة الولايات المتحدة عالم من جامعاتها، الرئيس الحالي باراك أوباما الذي درس في جامعة شيكاغو مادة القانون الدستوري، وترأس مجلة هارفارد القانونية. وهذا يعني أن الرئيس الحالي هو من نخبة المتعلمين في الولايات المتحدة والمطلع على الرؤى الفكرية في مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية. وحكم السلطة من قبل المتعلمين والفلاسفة يتماشى مع رؤية المحافظين الجدد في قيادة العالم، صحيح أبعدهم عن السلطة بشكل مباشر، إلا أن الولايات المتحدة في العقود الأخيرة تشهد تغيراً في الساسة فهم من الطبقة المتعلمة كبل كلنتون وباراك أوباما، وغير المتعلم يستعين بهم في حكم الولايات المتحدة كالرئيس السابق جورج بوش الابن.

هذا بالإضافة إلى وسائل الإعلام ومراكز الدراسات والصحف التي يمتلكها المحافظون الجدد، والتي تبث أفكارهم في الولايات المتحدة وللعامة بشكل يومي، وهناك من يصغي لها بشكل كبير، فما زالت شعوب الغرب والولايات المتحدة، مقتنعة تماماً بأن الإسلام والعرب هم أساس الإرهاب في العالم. ولو تمحصنا البرنامج السياسي للرئيس باراك أوباما في الفترة الرئاسية الأولى والثانية، سوف نجد أن التغيرات على مستوى السياسة الخارجية هو شكلي في التصريحات والخطابات الإعلامية، لم تتغير السياسة الفعلية للولايات المتحدة على مستوى العلاقات الخارجية مع دول العالم، فالحروب على الوطن العربي ما زالت مستمرة بل على العكس توسعت لتشمل دول عربية عدة تحت ذريعة نشر الديمقراطية والربيع العربي، وكذلك الدعم الكامل لإسرائيل واستخدام حق النقد الفيتو الدائم، لحماية مصالحها. بل ترعى الجماعات المتطرفة والحركات الإثنية في الوطن العربي، وتعزز ثقافة الانفصال للأقليات.

تدمير الوطن العربي:

قديماً لم يكن العالم منفصلاً إلى قارات، وبتتابع التاريخ تهاوت الحضارة الشرقية، وارتفعت الحضارة الغربية، وضخمت فكرة الغرب في تاريخ العالم بالجغرافيا التي خدمت النظرة الأوروبية ثم الغربية المركزية. كانت أوروبا جغرافياً جزءاً صغيراً من كتلة أرضية واسعة تمتد حتى نصف الطريق حول العالم. ثم تم تصنيف العالم جغرافياً وثقافياً، ومع الاكتشافات الجغرافية الكبرى أصبح الملك الوحيد هو الذي يمول المكتشفين، وهنا كانت بداية الإمبريالية، وصولهم إلى أراض بعيدة بدأت التسميات والمعادلات تظهر في الأدب والفلسفة "هم" البرابرة أصحاب الأرض والمتوحشون

و"نحن" أصحاب المدنية[١]. وفي عصر التنوير تحدثنا عن "غيزو" الذي آمن بمدينة عالمية واحدة. ومع ظهور الليبرالية الجديدة في النظام العالمي الجديد بوصفها مخلصاً لمشاكل البشرية وفق النظرة الغربية ووفق رؤية منظريها، كان من يرفض من الحضارات الأخرى يوصف بالبربري والهمجي، ووصف هانتنغتون الحضارات العالمية التي معرضة للصدام، بالخطر الجديد على الحضارة الغربية وحددها بالإسلام، وطبقاً لرأي الغرب وهانتنغتون تصبح تلك البلاد بربرية، ولا بد من إعادة تقسيمها وإعادة ترتيبها من جديد، وكتبت أطروحات عدة منها "مشروع الشرق الأوسط الكبير، لبرنارد لويس" و "الفوضى الخلاقة، لكونديليزا رايس"، ولعل هذه الأطروحات تأتي من المحافظين الجدد في الولايات المتحدة.

ولو نظرنا في سياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه العالم العربي نجد أنها تدعم هذا التقسيم من خلال دعمها للانفصاليين، وكذلك دعمها للحروب الدائرة في ليبيا والعراق. وبالمقابل يدعم الغرب الشعب الأسكتلندي كي لا ينقسم عن بريطانيا، فبالرغم من النزعة الانفصالية السائدة في العالم الثالث.. إلا أن الشعوب المتقدمة ومنها شعب أسكتلندا أثبت حقاً أنه يعرف مصالحه جيداً.. ويدرك أن الانفصال.. أو الاستقلال كما يسميه الانفصاليون.. كان سيجر على بلادهم الكثير من الويلات والخسائر.. وفي مقدمتها الدخول في حالة من العزلة عن أوروبا[٢].

---

[١] جيرمي سولت. تفتيت الشرق الأوسط تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي، ت نبيل الطويل، دمشق: دار النفائس، ٢٠٠٨، ص: ٢٤.

[٢] جريدة عكاظ. إنقاذ أسكتلندا يقابله تدمير الوطن العربي- هاشم عبد هاشم، الرياض: العدد ٤٨٤٤، ٢٠١٤. http://www.okaz.com

تأييد إسرائيل ودعم الإرهاب:

إن السياسة الأمريكية في الوطن العربي، وفق ما تنظر له هي سياسة خلاقة تدعم الشعوب من أجل الاستقلال والحرية والديمقراطية، وهذه التصريحات الدائمة من قبل البيت الأبيض حول القضايا الرئيسة في الوطن العربي كالربيع العربي. وتصف أن السبب الرئيس لتخلف الوطن العربي هو الإرهاب وليس الصراع العربي – الإسرائيلي وجوهره القضية الفلسطينية أو باقي القضايا العربية، وتعتبر أن مصدر الإرهاب هو التطرف الديني.

الدولة الفلسطينية المستقلة لا تزال مجرد وعد أمريكي والعراق محتل سياسياً، ولا تزال قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية في الوطن العربي تسير إلى الخلف. وتبقى إسرائيل هي النموذج الديمقراطي في المنطقة وسط محيط من التخلف العربي، ونظم دكتاتورية[١]. رسمت قوى الغرب في بداية القرن التاسع عشر دولة في قلب الوطن العربي، تمنع الوحدة العربية وعودة الحضارة الإسلامية للصدارة في شتى المجالات، فرسمت دولة إسرائيل في الفكر الغربي وفي الأمم المتحدة لهذا الغرض، وبعد قيامها دعمت وأيدت الولايات المتحدة تلك الدولة الناشئة لتكون كياناً تابعاً لها في قلب الوطن العربي يأتمر بأمرها وينفذ سياستها.

أليس من الإرهاب أن تكون فلسطين ملكاً للعرب وساكنيها منذ آلاف السنين، تمنح لعصابات يهودية متطرفة من قبل الأمم المتحدة وتدعم قيامها لتصبح دولة.

---

[١] عبدالقادر المخادمي. مرجع سابق، ص: ١٥-١٩.

وتعتبر الولايات المتحدة ومنظريها الوطن العربي مصدراً للإرهاب لعدم تطبيق الديمقراطية التي نظر لها فوكوياما في أطروحته بوصفها نظاماً أمثل للبشرية، وهذه النظرة الضيقة لم تسمح له رؤية الولايات المتحدة وهي تدعم المتعصبين والمتطرفين لتشكل منهم حجة وذريعة لاحتلال الدول العربية، تحت شعار نشر الديمقراطية التي بشر بها فوكوياما، ولحماية الغرب من الصدام المحتمل الذي حذرهم منه هانتنغتون.

ونتساءل هنا: عن تنظيم الدولة الإسلامية– داعش، كيف يكون له صك عملة وتمويل وأسلحة، وسرعة في الاتصالات والمعلومات، والتحاق الشباب للتنظيم من الغرب؟ ألم تحارب الولايات المتحدة العراق واحتله أعواماً عدة؟ فلماذا لم تستطع ضرب محافظة صغيرة أو جزء منها حتى الآن؟ لا أبحث هنا عن خلفيات تشكيل وتأسيس داعش، ولكن كيف لهم أن يصكوا عملة لهم بهذه الجودة والمتانة وبهذه السرعة. إن تنظيم الدولة لديه مقدرات تفوق دولاً صغيرة.

إن هذه السياسة الحالية في الولايات المتحدة تؤكد على الدوام أن الأطروحات الفكرية ما زالت فاعلة في السياسة الأمريكية، وما تصنعه في الوطن العربي تأييداً منها لنشر الديمقراطية، وما زالت قاعدة "الكذب النبيل" مستخدمة في السياسة الأمريكية، تارة نجد التصريحات الأمريكية مع الحوثيين، وتارة أخرى نجدها ضدهم، وكذلك دعمها لحركة الإخوان المسلمين في الحكم، ثم تتغير السياسة الأمريكية بسرعة، فتعلن أنها تدعم الشعب المصري. الازدواجية في المعايير، توضح الأهداف الحقيقية للولايات المتحدة في المنطقة العربية، وعن الأسس الفكرية التي تنفذ في سياستها الخارجية.

ومن خلال هذا الفصل يتبين لنا أن بدية التنظير الفكري كان بأطروحة فوكوياما للنظام الدولي الجديد، والتي أكدت انتصار الولايات المتحدة في مجالات الحياة كافة، ولا سيما في الجانب الفكري، المتمثل في الليبرالية الديمقراطية وتطوراتها الأمريكية وصولاً للعولمة الاقتصادية، وبشر بالسعادة الإنسانية في إطار نظام الحكم الأمثل.

ثم تبعتها أطروحة هانتنغتون التي ناقشت ما لم يتطرق إليه فوكوياما في أُطروحته وهي: تحديات خارجية قد تؤثر على انتصار الولايات المتحدة وهيمنتها على العالم. وبذلك تكون أطروحة فوكوياما اكتفت بتأكيد تفوق الحضارة الغربية الرأسمالية دون منازع، وأن على هذه الحضارة أن تستمتع بما وصلت إليه وتخلد إلى الراحة. أما أطروحة هانتنغتون فتعبر في حقيقة الأمر عن روح أمة انتصرت، وتبحث عن صراع خارجي لتأكيد تماسكها الداخلي، من خلال البحث عن عدو جديد. ومن خلال الاستراتيجية الأمريكية مع بداية الألفية الثالثة التي تتبعها في علاقاتها الخارجية مع الدول، وخاصة العالم العربي، نجد أن هناك طريقاً لأفكار ورؤى المحافظين الجدد في تلك المخططات والاستراتيجيات. وأن سياساتهم ما زالت فاعلة في الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل السابع

الالتقاء والاختلاف بين أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون

الالتقاء والاختلاف بين أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون:

بعد عرضنا لممارسة أفكار فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية، وكيفية تطبيق تنظيراتهم الفكرية في النظام العالمي الجديد. نرى أن هناك آراء فكرية يتفق عليها فوكوياما وهانتنغتون، وكذلك هناك آراء أخرى يختلف عليها فوكوياما وهانتنغتون، وخاصة التنبؤات الفكرية التي ينظر لها فوكوياما وهانتنغتون لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين.

وفي هذا الفصل سوف نتعرف إلى أوجه الالتقاء وأوجه الاختلاف الفكري بين فوكوياما وهانتنغتون من خلال عرض أفكارهما السياسية، ومدى التوافق والاختلاف، وكذلك سوف نقوم بعرض جدول مقارنة لأوجه الالتقاء والاختلاف بين أطروحتيهما الفكرية.

المبحث الأول:

أوجه الالتقاء بين أطروحات فوكوياما وهانتنغتون

في هذا المبحث سوف نبين نقاط الالتقاء في فلسفة فوكوياما وهانتنغتون التنظيرية للنظام العالمي الجديد.

أولاً: الأُطروحات تنبأت بنهاية الأيديولوجيا:

يجزم فوكوياما وهانتنغتون في أطُروحاتهم الفكرية بـ "نهاية الأيديولوجيا" في النظام العالمي الجديد، بعد سقوط الخصم الأيديولوجي المتمثل في الاتحاد السوفيتي السابق.

أطروحة فوكوياما قائمة على فرضية أساسية تتكون من شقين "نهاية الأيديولوجيات، وانتصار الليبرالية"، وتأتي هذه الفرضية من أنه لا يوجد أيديولوجيات في العالم تكتسب الصفة العالمية، أما الأيديولوجيا الصينية والإسلامية فتبقى أيديولوجيات محلية، وكان التحدي الأيديولوجي الأول للديمقراطية الليبرالية والأيديولوجيا الشيوعية التي تكتسب الصفة العالمية، فسقطت، وبذلك تكون الديمقراطية الليبرالية وصلت إلى نهاية التاريخ، لأنها صمدت في وجه الأيديولوجيات السياسية ولم تنهار نتيجة متانة مبادئها وأفكارها، ومن ثم لا يوجد أيديولوجيا حالية أو مستقبلية تستطيع منافسة الليبرالية، لأن الفكر الليبرالي أنهى التناقضات كافة في المجتمعات، ومثل أفضل النظم السياسية، الذي لا بد من تعميمه في المجتمعات كافة.

أطروحة هانتنغتون افترضت نهاية الأيديولوجيا السياسية، ومن ثم نهاية الصراع الأيديولوجي، أما فرضيته الأساسية فكانت تتمحور حول الصراع الثقافي بين الحضارات، والتاريخ سوف يستمر في النظام العالمي الجديد. "في أواخر الثمانينات انهار العالم الشيوعي وأصبح نظام الحرب الباردة في ذمة التاريخ. وفي عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المائزة بين الشعوب أيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية، وإنما هي فروق ثقافية"[١].

ثانياً: الأُطروحات تفسر النظام العالمي الجديد:

أطروحات فوكوياما وهانتنغتون هي أطروحات تفسيرية للفكر السياسي والسياسة العالمية في ظل النظام العالمي الجديد. وهي التي تتنبأ بمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين.

بدأ التنظير الفكري للنظام العالمي الجديد في الولايات المتحدة، من خلال أطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما، التي تتحدث عن شكل النظام العالمي الجديد بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي أمام الفكر الليبرالي، وأن الديمقراطية الليبرالية تجاوزت التاريخ بحل التناقضات كافة، وحصول الإنسان على الاعتراف الكامل بحقوقه، وأن دول العالم في القرن الحادي والعشرين سوف تسعى للحاق بركب الديمقراطية الليبرالية. فقد جاءت رؤية فوكوياما من خلال مقالته التي نشرت في مجلة The National Interest في العام١٩٨٩. قائلاً: إن نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى وانتهى إلى غير رجعة مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين،

[١] صمويل هانتنغتون. مرجع سابق، ص: ٣٩.

لتحل محلة الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية[1]. فقد فصل وشرح أُطروحته في كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" عام ١٩٩٢. المقال والكتاب يحمل الفكرة نفسها وهي نهاية تاريخ البشرية الفكري، بمعنى آخر: وصول البشرية إلى آخر مراحل تطور الفكر الأيديولوجي، غير أن الكتاب يمثل رؤيته الفكرية بشكل أشمل وأوسع من مقالته.

في الحقبة التاريخية نفسها ظهرت رؤية هانتنغتون الفكرية، التي تفسر النظام العالمي الجديد أيضاً، وتتبلور رؤيته الفكرية لهذا النظام من خلال نهاية الأيديولوجيا السياسية وبداية صراع عالمي جديد، وهو الصراع الحضاري بين ست حضارات رئيسة، كما قسمها هانتنغتون، فقد جاءت رؤية هانتنغتون من خلال مقالته التي نشرت في مجلة الشؤون الخارجية "Foreign Affairs" في العام ١٩٩٣. وبعد ثلاثة أعوام صدر كتاب "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي" عام ١٩٩٦، الذي يشرح فيه أُطروحته بشكل أعمق وأوسع من المقالة.

بالرغم من وجود اتفاق واختلاف في بعض الأفكار التي يطرحها فوكوياما وهانتنغتون إلا أنهما من الحقبة الزمنية نفسها ولا يفصل بينهما فاصل زمني طويل، وتبحث الأُطروحات في موضوعات الفكر السياسي والسياسة العالمية في النظام العالمي الجديد.

[١] خليل حسين. مرجع سابق، ص: ٢٦٣.

ثالثاً: الأُطروحات ترفع من شأن الولايات المتحدة الأمريكية:

تمثل الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية في ظل النظام الدولي الجديد المركز الرئيس المؤثر في العلاقات الدولية والقطب الأوحد والمهيمن على حركة التفاعل الدولي، أما بقية الدول الأخرى "أطراف الأطراف"، فهي مجرد توابع، يتعين عليها التكيف والانصياع للأمر الواقع، وإلا سيكلفها عنادها غالياً وستظل قابعة في "قاع التاريخ" على حد تعبير فوكوياما، الذي يعد إلى جانب هانتنغتون من أبرز رواد برديغمParadigm[1] المركزية الغربية- نحن والآخرون- الذي سيظل أحد الأطر النظرية الأساسية والمؤثرة على السياسة الخارجية الأمريكية في مطلع القرن الحادي والعشرين. ويؤكد فوكوياما في أُطروحته أن الدولة التي تمثل نهاية التاريخ والنموذج الذي لابد وأن تصبو إليه دول العالم كافة هي: الولايات المتحدة الأمريكية. ويكتب فوكوياما في أطروحته النماذج والأمثلة عن إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية دون غيرها من الدول التي وصلت إلى نهاية التاريخ، التي حققت العدالة والمساواة لكل مواطنيها. وعلى الدول التي تريد أن تصل إلى النهاية كما وصلت إليها الولايات المتحدة، عليها أن تنتهج الديمقراطية الليبرالية، وتأخذ الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها نموذجاً للدولة المنتصرة التي وصلت إلى نهاية التاريخ.

---

[١] برديغم Paradigm: هو مجموعة متآلفة منسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين والأدوات والتكتيكات والتطبيقات، يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين، تمثل تقليداً بحثياً كبيراً، أو طريقة في التفكير والممارسة، ومرشداً يقود الباحثين في حقل معرفي ما. انظر: بلخيرة محمد. برديغمات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجاً، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر: جامعة حسية بن بو علي بالشلف، العدد١٠، ٢٠١٣.

فيما يتعلق بأطروحة هانتنغتون، فقد رفع هو الآخر من شأن "الإمبراطورية الأمريكية"، كما فعل فوكوياما وفق رؤيته الفكرية للنظام العالمي الجديد. فقد أعلن صراحة عن قلقه حيال مستقبل الغرب ومستقبل هيمنته الكونية، معتبراً أن السياسة الدولية صارت تتحرك بعد انتهاء الحرب الباردة خارج حقبتها الغربية لتغدو متركزة على التفاعل بين الحضارات الغربية وحضارات أخرى غير غربية[١]. ووفقاً لما يقوله إدوارد سعيد: إن دول الحضارات الأخرى أصبحت في عالم اليوم نداً للغرب ومحركة للتاريخ وصانعة له "كما يعترف هانتنغتون بنفسه أن: "الأجناس الأقل" موضوع التحديق الكولونيالي[٢] إن جاز التعبير- ترد على العدوان الكولونيالي بمقاومة وسيطرة الرجل الأبيض".

[١] محمد عطوان. مرجع سابق، ص: ٢٣٦.

[٢] الكولونيالية Colonialism: يعد مصطلح الكولونيالية ذا أهمية في تحديد الشكل المحدد للاستغلال الثقافي الذي تنامى بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الماضية. ويطرح إدوارد سعيد الفارق التالي: الإمبريالية تعني: الممارسة، والنظرية والتوجهات الخاصة بمركز مُتسيد يحكم إقليماً نائياً. بينما الكولونيالية: التي كانت على الدوام تقريباً نتيجة للإمبريالية وهي زرع للمستوطنات في إقليم ناء. والتوسع الكولونيالي الأوروبي بعد عصر النهضة الأوروبية متلازماً مع نمو النظام الرأسمالي الحديث للتبادل الاقتصادي يعني أن إدراك المستعمرات بوصفها كيانات تأسست بشكل رئيسي لإمداد اقتصاديات القوى الكولونيالية سريعة النمو بالمواد الخام، وهذا يعني بأن العلاقة بين المستعمر والمستعمر كانت مغلقة على تراتبية صلبة للاختلاف تستعصي بشدة على الدخول في تبادلات عادلة ومتكافئة، سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية. انظر: بيل أشكروفت وآخرون. دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسة. ت أحمد الروبي وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص:١٠٥-١٠٦.

كما أكد هانتنغتون في أُطروحته مكانة الحضارة الغربية، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، كدولة مركزية للحضارة الغربية، أما بالنسبة للحضارات الأخرى فلم يبحث عن تاريخ وتراث أي حضارة أخرى من الحضارات الست التي ذكرها. وقد أكد هيمنة الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد، وكذلك قلقه الشديد على مكانة الولايات المتحدة، فبحث عن التهديدات الخارجية التي قد تؤثر على هذه الهيمنة في القرن الحادي والعشرين. ولعل المفكرين اتفقا فيما بينهما أن الصراع بين الغرب والإسلام يكمن في جوهره بين الحداثة والتقليد، وكلاهما أنذر من الخطر الذي تشكله الحركات الإسلامية الأصولية على الغرب[1]. فوكوياما يرى بأن الدول الإسلامية تتأثر بالفكر الليبرالي، ومن ثم الحركات الإسلامية الأصولية ترفض الحداثة، أما هانتنغتون فشمل الحضارة الإسلامية بكل مكوناتها السياسية ووصفها بالعنف والإرهاب.

رابعاً: كلا المفكرين ينتميان للمحافظين الجدد وعملا في الإدارات الأمريكية:

عندما تحدث الباحث عن المحافظين الجدد في الفصل الثاني من الدراسة، أوضح أن هناك اختلافات فكرية بين أعضائهم، إلا أن هناك اتفاقاً ضمنياً عام لبعض المبادئ والأفكار التي يؤمن بها أعضاء المحافظون الجدد، ومن ضمن هؤلاء الأعضاء فوكوياما وهانتنغتون.

---

[١] جريدة طنجة الأدبية. نقد نظرية صدام الحضارات من المنظورين البنيوي والتاريخي - بوشما حميد طنجة: جريدة إلكترونية، ٢٠١٠. www.aladabia.net

ويحدد ستيفان هالبر وجوناثان كلارك ثلاثة موضوعات مشتركة يجتمع عليها المحافظون الجدد، وهي[١]:

١. إيمان نابع من اعتقاد ديني بأن الوضع الإنساني يعرف بأنه اختيار بين الخير والشر، وأن المقياس الحقيقي للشخصية السياسية يوجد في استعداد الخيرين لمواجهة الأشرار.

٢. التأكيد بأن المحدد الجوهري للعلاقة بين الدول هو القوة العسكرية والرغبة في استخدامها.

٣. تركيز أساس على الشرق الأوسط والإسلام، باعتبارهما يمثلان التهديد الرئيسى للمصالح الأمريكية في الخارج.

هذه الموضوعات المشتركة كانت واضحة بشكل جلي في أطروحات فوكوياما وهانتنغتون، فقد استبعد فوكوياما أي تأثير عالمي للأيديولوجيا الإسلامية، ووصف دولها بالسلطوية التي لا تعرف مبادئ الديمقراطية. أما هانتنغتون فقد وصف الحضارة الإسلامية بالتحدي الجديد للإمبراطورية الأمريكية، وأن حدودها هي حدود الحروب الحضارية المستقبلية، لما تحمله من تراث عقائدي يجعل منها منطقة حروب وصراعات حسب زعمه، ولذلك نجد المفكرين يتحاملان على الدول الإسلامية بشكل خاص، وعلى الشرق الأوسط بشكل عام، من أجل خلق مبررات

[١] ستيفان هالبر وجوناثان كلارك. مرجع سابق، ص: ٢٠.

لسيطرة الولايات المتحدة على هذه الدول والمنطقة بشكل عام، ولدعم إسرائيل التي لها تأثير كبير على المحافظين الجدد.

من جانب آخر نجد أن فوكوياما وهانتنغتون، عملا في الإدارات الأمريكية المختلفة، وكانا من صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة، وكذلك هما من نخبة المحافظين الجدد الذين لهم ثقلهم في الولايات المتحدة من خلال كتاباتهم وآرائهم التي طبقت في إدارة جورج بوش الابن، وكانت محط إعجاب المحافظين الجدد، ومحل جدل إعلامي واسع في الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثاني:

أوجه الاختلاف بين أطروحات فوكوياما وهانتنغتون

في هذا المبحث سوف نبين أوجه الاختلاف في الأفكار التي يطرحها كل من فوكوياما وهانتنغتون في أطُروحاتها الفكرية للنظام العالمي الجديد.

أولاً: نظرة فوكوياما وهانتنغتون إلى العالم:

اختلف فوكوياما عن هانتنغتون في نظرته المستقبلية للنظام العالمي الجديد، فقد كان هو أول من كتب عن النظام العالمي الجديد في الولايات المتحدة، وحملت رؤيته الفكرية روح النصر والسعادة لهزيمة الاتحاد السوفيتي السابق، وعلى أثرها نظر فوكوياما لنشر الديمقراطية الليبرالية في العالم. أما هانتنغتون الذي انتقد وجهة نظر فوكوياما للنظام العالمي الجديد، فقد كتب عن مستقبل العالم بنظرة تشاؤمية، وبشر بصراع جديد في النظام العالمي الجديد، مؤكداً حتمية صراع الحضارات في المستقبل المنظور.

إن نظرة فوكوياما وهانتنغتون بينهما خلاف شديد في الرؤية المستقبلية للعالم. فوكوياما يفترض تلاقي المنظومات العالمية السياسية والاقتصادية، ومن ثم منظومات القيم، فكانت رؤية فوكوياما تعني بأن الرأسمالية والديمقراطية فازتا على الأيديولوجيات الأخرى كافة، ولا توجد قوى في الأفق يمكن أن تتولد عنها أحداث تاريخية مهمة. أما نظرة هانتنغتون فعلى عكس فوكوياما يتنبأ باستمرار الاختلاف، ويعلن أن العالم على حافة صدام الحضارات، وهذه الحضارات محصورة داخل تضاد فيما بينها بسبب

الاختلافات والتي لا يمكن التوفيق بينها من حيث القيم والنظرة إلى العالم[١].

فوكوياما في جزء من أُطروحته يكتب تحت عنوان: "ليس هناك برابرة على الأبواب" مؤكداً فيه أن الولايات المتحدة في مأمن من أي دمار تكنولوجي قادم، وأن التاريخ غائي وسوف تسير باقي الدول نحو الديمقراطية الليبرالية. وهذا ما يدحضه هانتنغتون بشكل قاطع، حيث يؤكد في أُطروحته أن هناك برابرة على الأبواب تهدد أمن ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية وحدد البرابرة بالحضارة الإسلامية والتوكيد الصيني لها. ويؤكد تزفيتان تودوروف في كتابه "الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات"، أن الذي دعا هانتنغتون لكتابة أُطروحته هو تهديد البرابرة للولايات المتحدة، بالإضافة إلى إيجاد عدو جديد للولايات المتحدة لتبرير ميزانيتها العسكرية وهيمنتها على العالم.

ومن جانب آخر، يمكن لنا الحديث عن طبيعة النظرة الفلسفية لكل من فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد. فوكوياما يعبر في أُطروحته عن رؤية مشتملة على جوانب الحياة كافة من "السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع"، أما هانتنغتون يعبر في أُطروحته عن رؤية تشمل العامل الثقافي وحده ولا تشمل غيره وهو: الهوية الثقافية للحضارة وصدامها مع الهويات الثقافية للحضارات الأخرى[٢]. فوكوياما تحدث عن نهاية التاريخ ووصول البشرية للسعادة الأبدية، فكان لابد أن يتحدث عن الرأسمالية الراهنة بمجالاتها كافة. أما هانتنغتون فقد تحدث عن عامل

[١] ريتشارد نيسبت. مرجع سابق، ص: ١٩٩-٢٠٠.

[٢] سلامة كيله. مرجع سابق، ص: ١٢-١٣.

واحد فقط وهو: الصدام الثقافي للهويات الحضارية، وجعل الصدام الحضاري هو المحرك الجديد للتاريخ البشري.

ثانياً: فلسفة النهاية عند فوكوياما وهانتنغتون:

أنهى فوكوياما التاريخ في أُطروحته واعتبر أن الليبرالية الديمقراطية أوصلتنا إلى نهاية التاريخ، وبذلك سوف تعيش المجتمعات بسعادة بدون تناقضات بعد حصول الفرد على الاعتراف بإنسانيته بوصفه إنساناً. ولم يكن هانتنغتون مقتنعاً برأي فوكوياما القائل: بأن روح العالم القلق بإمكانه أن يرتاح ويسترخي الآن، وإصراره بأنه لم يعد هناك بدائل متاحة لأسلوب الحياة الأمريكية، أما فلسفة الآخر "الاشتراكية"، فقد اختفت وغاصت في المحيط، وانتصار رأس المال لا يمكن إبطاله، إنه انتصار عالمي. ويوافق هانتنغتون بعدم وجود بدائل أيديولوجية للرأسمالية الحالية، لكن هذا لا يعني نهاية التاريخ عند هانتنغتون، فما زالت هناك عداوات باقية، وخطوط الانقسام بين البشر، الصراع الجديد سوف يكون ثقافياً.

إن كلا الأُطروحتين تمثلان منظومة فكرية وفلسفية وتفسيرية للتاريخ والعلاقات الدولية والصراعات بين البشر، ومآلاتها مختلفة عن الأخرى، فهناك فارق كبير بينهما: أطروحة فوكوياما تتموضع في سكة التفكير الليبرالي والسلامي الذي يمثل الفكر الكانطي[1] " Immanuel Kant ". أما أطروحة هانتنغتون

[1] فلسفة التاريخ عند عمانوئيل كانط Kant Immanuel ١٧٢٤- ١٨٠٤: كان يرى العالم في نهاية المطاف متجهاً نحو التقارب والتعاون والدمقرطة. إن فلسفة كانط للتاريخ تعني الانتقال من حالة الطبيعة التي هي حالة حرب إلى حالة القانون والتي هي حالة السلام، ويقوم كانط بمهمته عن =

فتتموضع في سكة التفكير الصدامي الهوبزي ""T. Hobbes. جعل هانتنغتون الحضارات هي القوى الجديدة والمحركة للتاريخ البشري، وبذلك تكون فلسفة التاريخ عند هانتنغتون مستمرة في مرحلة الصراع الأخير من تاريخ البشرية وهي "صراع الحضارات الثقافي".

ثالثاً: التغيرات في المواقف الفكرية عند فوكوياما وهانتنغتون:

هناك اختلاف في المواقف الفكرية التي صرح بها كل من فوكوياما وهانتنغتون. فوكوياما بعد طرح أفكاره السياسية في أُطروحته نهاية التاريخ، ففي البداية كان مدافعاً عن أفكاره ويرد على منتقديه، إلا أنه في نهاية العام ٢٠٠٣، كان هناك تحولات في مواقف وقناعات فوكوياما، حين رفض الغزو على العراق، وتبعته بعد ذلك مواقف أخرى في دراساته وكتاباته توضح تبدل وتغير موقفه الفكري من نهاية التاريخ. وفي

= طريق الاعتماد على تصوراته للأخلاق والتاريخ، مبيناً اعتماد السلام على القانون، والقانون على العقل، وحركة في طبيعة الأشياء نحو دولة حرة، وعاقلة، ومن ثم نحو دولة محبة للسلام. انظر: بير هاسنر. عمانوئيل كانط. في كتاب: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، تحرير ليو شتراوس وجوزيف كروبسي، ت محمود سيد أحمد، ج٢، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥، ص: ١٦٧-١٦٩.

فلسفة التاريخ عند توماس هوبزT. Hobbes ١٥٨٨- ١٦٧٩: لا يرى نهاية للعالم، بل صراعات وتنافسات متأبدة تلخصها مقولته "حرب الكل ضد الكل". انظر: خالد لحروب. مرجع سابق، ص: ٢٣-٢٤.

هوبز يرسم صورة لحالة الطبيعة وهذه الصورة هي أن كل إنسان لا تحركه سوى الاعتبارات الذاتية المتعلقة بأمنه وقوته. إن النتيجة التي تترتب على ذلك عند هوبز هي الحرب الدائمة، "حرب الواحد ضد الآخر" و"حرب الجميع ضد الجميع". انظر: عبد الرضا الطعان. مرجع سابق، ص: ١١١-١١٢.

كتابة "مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، ٢٠٠٢"، يقر بأنه لا يمكن أن نصل إلى نهاية التاريخ، ما لم يكن هناك نهاية للعلم. ويكتب فوكوياما اليوم كتاباً عن "بداية التاريخ منذ أصول السياسة حتى اليوم، ٢٠١٢"، الذي تحدث فيه عن بداية التاريخ بدلاً من نهايته.

أما هانتنغتون، فلم يغير أفكاره السياسية التي جاءت في أُطروحته، وكان مدافعاً عنها حتى وفاته في نهاية عام ٢٠٠٨. وفي مقال نشر له في مجلة الشؤون الخارجية "Foreign Affairs" بعنوان: "إذا لم تكن الحضارات، فماذا"، رد هانتنغتون على كل منتقديه بقوة ودافع عن أُطروحته.

رابعاً: تقسيمات العالم في أطروحات فوكوياما وهانتنغتون:

اختلف فوكوياما وهانتنغتون في تقسيم العالم في ظل النظام العالمي الجديد، تأتي هذه الاختلافات حسب رؤية كل منهما للنظام العالمي الجديد.

قسم فوكوياما العالم إلى قسمين: الأول: عالم ما بعد التاريخ، وهذا العالم يضم الدول الليبرالية التي تعتمد النظام الديمقراطي الليبرالي في الحكم. أما القسم الثاني: دول التاريخ، وهذا العالم يضم الدول التي لم تصل إلى نهاية التاريخ، لأنها لا تطبق النظام الديمقراطي الليبرالي في الحكم.

أما هانتنغتون فقد قسم العالم، حسب نظرية التبعية وهي العلاقات التي تصورها هذه النظرية بين المركز والمحيط، وقسم العالم إلى جزئين: القسم الأول:

العالم مكون من سبع حضارات، الحضارة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة والحضارات الأخرى. القسم الثاني: الحضارة مكونة من دولة مركز ودول محيطة بها[1]. ويؤكد هانتنغتون الاختلاف بين الحضارات لأسباب عدة منها: الدين، والثقافات، والهويات الثقافية. ومن ثم سوف يؤدي هذا الاختلاف إلى صدام حتمي بين الحضارات في النظام العالمي الجديد.

قسم فوكوياما العالم دون النظر إلى الهوية الثقافية أو العرقية، لأنه كان ينظر إلى الأيديولوجيا السياسية بوصفها نظام حكم في الدولة، وهذا التقسيم يتماشى مع أُطروحته الفكرية، وخاصة بما يراه، بأن الخط الفاصل بين هذين العالمين يتغير بسرعة، لأن الدول تغير من أيديولوجيتها السياسية، وقد تدخل في عالم ما بعد التاريخ. أما هانتنغتون فقسم العالم إلى ست حضارات رئيسة، بينهما خطوط صراع ثابتة ولن تتغير، وذلك لأن كل حضارة تؤمن بثقافتها، ولا تقبل بعملية "التغريب"، على حد تعبير هانتنغتون. وهذا التقسيم يتماشى مع أُطروحته الفكرية التي تنبأت بالصدام الحتمي بين الحضارات.

بعد عرضنا لأوجه الالتقاء والاختلاف بين أُطروحات فوكوياما وهانتنغتون نستطيع أن نقول: في العالم المعاصر هناك كثير من الدراسات الفكرية إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد عن غيرها من الدول بتطبيق هذه الدراسات الفكرية في السياسة الأمريكية، خاصة في السياسة الخارجية، ذلك لأن الولايات المتحدة تعتمد على النظام المؤسساتي في الحكم.

---

[1] علي ليلة. مرجع سابق، ص: ٧٩-٨٠.

إن الالتقاء والاختلاف في فكر فوكوياما وهانتنغتون كان من أجل المصلحة الأمريكية. فبعد أطروحة فوكوياما التي أعلنت عن نهاية التاريخ وبشرت بانتصار الديمقراطية الليبرالية في النظام العالمي الجديد، جاءت أطروحة هانتنغتون لترصد الصراع العالمي الجديد والذي يتمحور حول الصدام بين الحضارات ولتعلن عن العدو الجديد الذي يهدد أمن الولايات المتحدة الامريكية. تواترت أطروحة فوكوياما أمام أطروحة هانتنغتون من أجل الغرض الذي تؤديه كل أطروحة، فالأولى: أعلنت الانتصار وبشرت بنشر الديمقراطية، أما الثانية: فأعلنت عن مخاطر جديدة وصراعات مستقبلية. وهذا بدوره يبرر الهيمنة الأمريكية في النظام العالمي الجديد واستخدامها للقوة العسكرية من أجل نشر مبادئ الديمقراطية.

من خلال عرضنا للالتقاء والاختلاف الفكري لفوكوياما وهانتنغتون يتبين لنا بأن أطروحاتهم الفكرية جاءت وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً، ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد. وبالرغم من الاختلاف والتباين في الطرح الفكري لفوكوياما وهانتنغتون، إلا أن هناك اتفاقاً على أُسس فكرية، يجتمع رأي المحافظين الجدد عليها، كالهيمنة الدولية والقوة العسكرية، ونشر الديمقراطية الأمريكية على العالم أجمع وذلك لما تمثله في فكرهم وفق مقولة "شعب الله المختار". وفيما يلي بيان توضيحي للمقارنة بين أطروحات فوكوياما وهانتنغتون، من حيث الالتقاء والاختلاف في الأفكار السياسية.

أولاً: الإلتقاء الفكري بين فوكوياما وهانتنغتون

فرانسيس فوكوياما	صموئيل هانتنغتون
أنهى فوكوياما الأيديولوجيا السياسية، معلناً عن انتصار الديمقراطية الليبرالية وتنبأ بنهاية التاريخ.	أنهى هانتنغتون الأيديولوجيا السياسية، معلناً عن صراع ثقافي بين الحضارات، وتنبأ بالصدام الحتمي بين الحضارات.
أطروحة فوكوياما تفسر النظام العالمي الجديد، من خلال النظرة المستقبلية للعالم في القرن الحادي والعشرين.	الشيء نفسه في أطروحة هانتنغتون حيث تفسر النظام العالمي الجديد، من خلال النظرة المستقبلية للعالم في القرن الحادي والعشرين.
أطروحة فوكوياما ترفع من شأن الولايات المتحدة الأمريكية وتجعل منها نموذجاً فكرياً، لابد من تطبيقه في دول العالم.	أطروحة هانتنغتون ترفع من شأن الولايات المتحدة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، ويجعل منها دولة المركز في الحضارة الغربية، ويبحث عن التحديات التي يمكن أن تؤثر على هيمنة الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد.

فوكوياما	هانتنغتون
فوكوياما عندما كتب أُطروحته كان ينتمي لنخبة المحافظين الجدد.	هانتنغتون ينتمي لنخبة المحافظين الجدد حتى وفاته.
فوكوياما مفكر وسياسي معاً، وعندما كتب أُطروحته كان يعمل في إدارة البحوث والتخطيط في الخارجية الأمريكية.	هانتنغتون مفكر وسياسي معاً، وعمل في الإدارة الأمريكية: وكان يعمل سابقاً في مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر عامي ١٩٧٧-١٩٧٨، وعندما كتب أُطروحته كان في جامعة هارفرد، فهو مدير لمعهد جون أولين للدراسات الاستراتيجية في الجامعة نفسها.

ثانياً: الاختلافات الفكرية بين فوكوياما وهانتنغتون

فرانسيس فوكوياما	صمويل هانتنغتون
الرؤية المستقبلية للنظام العالمي الجديد لفوكوياما كانت تفاؤلية تتحدث عن روح النصر والسعادة للبشرية، في القرن الحادي والعشرين.	الرؤية المستقبلية للنظام العالمي الجديد لهانتنغتون كانت تشاؤمية تبشر بالصراع الحتمي بين الحضارات في القرن الحادي والعشرين.

نظرة فوكوياما للنظام العالمي الجديد تشمل جوانب الحياة الإنسانية كافة من: سياسة واقتصاد واجتماع وثقافة.	نظرة هانتنغتون للنظام العالمي الجديد لم تشمل إلا عاملاً واحداً وهو: الصدام الثقافي للهويات الحضارية.
أنهى فوكوياما التاريخ الإنساني، واعتبر الديمقراطية الليبرالية هي المرحلة النهائية من تطور الفكر الإنساني.	هانتنغتون لم ينهِ التاريخ الإنساني، واعتبر الحضارات هي المحرك الجديد للتاريخ البشري.
بعد أكثر من عقدين من الزمان على أطروحة نهاية التاريخ، يغير فوكوياما من قناعاته ومواقفه الفكرية التي طرحها في نهاية التاريخ.	لم يغير هانتنغتون مواقفه الفكرية في أُطروحته صدام الحضارات، ورد على كل منتقديه، وأكد أكثر من مرة في كتاباته أن ما يحدث في النظام العالمي الجديد هو صدام حضارات.
قسم فوكوياما العالم إلى قسمين: العالم التاريخي، والعالم ما بعد التاريخي. وجعل الخط الفاصل بين العالمين يتغير بسرعة وفقاً لتطبيق النظام الديمقراطي الليبرالي في دول العالم التاريخي.	قسم هانتنغتون العالم إلى قسمين: الحضارات العالمية، ودولة المركز ودول المحيط داخل الحضارة. وجعل الخط الفاصل بين الحضارات هو خط الصراع الحضاري، وهذا الخط ثابت ولن يتغير بسبب إيمان كل حضارة بثقافتها.

الفصل الثامن:

خاتمة الدراسة

حاولت هذه الدراسة التعرف إلى أطروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد، من خلال دراسة أطروحاتهم الفكرية ومقارنة أفكارهم السياسية التي ينظرون لها في النظام العالمي الجديد، ومدى ممارسة تلك الأفكار في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اقتضى أن نتعرف في البداية إلى المفاهيم والنظريات التي طرحت فكرة "نهاية التاريخ" و"صدام الحضارات" قبل طرح فوكوياما وهانتنغتون، فعرضنا المفاهيم المرتبطة بالدراسة مثل مفهوم: "نهاية الأيديولوجيا، ونهاية التاريخ، وصدام الحضارات، والمحافظين الجدد"، التي عاد لها كل من فوكوياما وهانتنغتون في أطروحاتها، من خلال العودة إلى فلسفة المفكرين الغربيين، لإثبات صحة فرضياتهم في أطروحاتهم الفكرية. فالعلم تراكمي، يبنى على أفكار ونظريات سابقة، وكذلك اعتمد فوكوياما وهانتنغتون على الرؤية الفكرية للمحافظين الجدد، وخاصة أفكار ليو شتراوس وبرنارد لويس، فهم يطرحون أفكار من سبقهم من مفكري المحافظين الجدد، الذين كانوا أساتذة لهم وزملاء في الجامعات الأمريكية، وكذلك في مراكز الدراسات والأبحاث، غير أن هذه الأطروحات مختلفة عن "سياسة الأفكار" التي كان ينظر لها المحافظون الجدد، فهي شاملة تسعى لإثبات حقائق محددة يؤمن بها أنصار هذا التيار.

وكان هدفنا في هذه الدراسة، تسليط الضوء على الفكر السياسي الأمريكي في النظام العالمي الجديد، وتبيان الأفكار السياسية التي تمارسها الإدارة الأمريكية في سياستها الخارجة، والكشف عن مدى صحة الأفكار التي ينادي بها فوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، وكذلك التحقق من صدق الرؤية الفكرية

لهاتين الأطروحتين ومطابقتهما للواقع، فقد أدت الأحداث العالمية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، إلى تحولات في الفكر الذي صنع مفاهيم وقوانين النظام العالمي الجديد. وما طرحه فوكوياما في "نهاية التاريخ"، وما عززه هانتنغتون في "صدام الحضارات"، قد مثل التنظير الفلسفي لإعادة صياغة النظام العالمي الجديد[1]. والسؤال المطروح هنا: هل التحولات على أرض الواقع سابقة للفكر؟ أم الفكر الذي يصنع المستقبل؟. مسألة العلاقة بين التحولات في الواقع والتحولات في الفكر هي مسألة جدلية في الفكر السياسي، وما يهمنا هنا أن التحولات في الواقع، وسقوط الاتحاد السوفيتي، تبعها تحولات في الفكر الأمريكي المتمثل في أطروحات فوكوياما وهانتنغتون، وهذه التحولات الفكرية تبعها تحولات في الاستراتيجية الأمريكية وسياستها الخارجية، وهذا ما يعطي أطروحات فوكوياما وهانتنغتون قوة التأثير على سياسة الولايات المتحدة.

فقد كان للمحافظين الجدد رؤيتهم المحددة والقاطعة بشأن العالم بعد انتهاء الحرب الباردة، وكان لهم برامجهم السياسية، ولم تكن نظرتهم للجماعات التي اعتبروها تمثل قوى الشر، تكتفي بالطرح النظري، لكنها تضمنت ما سوف تفعله الولايات المتحدة معهم، وقد سجلوه في برنامجهم المعلن عام ١٩٩٧ تحت اسم "برنامج القرن الأمريكي الجديد"، متضمناً مبادئ "الحرب الاستباقية"، و"العدو المحتمل"، و"الأولوية للحرب قبل الدبلوماسية"، وهي المبادئ نفسها التي وضعت في بنود السياسة الخارجية لحكومة بوش التي حوتها استراتيجية الأمن القومي

[١] ناظم الجاسور. مرجع سابق، ص: ٣-٤.

الجديدة التي أعلنت في ٢٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٢[١]. ولقد كان فوكوياما أحد الموقعين على هذه الوثيقة قبل تنصله من المحافظين الجدد. وفي خاتمة الدراسة لابد لنا من تشخيص أطروحات فوكوياما وهانتنغتون والقضايا التي يطرحونها لمستقبل النظام العالمي الجديد، والتي كانت موضوعات الفصول الستة السابقة.

النظرة التاريخية لدى فوكوياما وهانتنغتون للعالم، تختلف وتتفق في بعض الرؤى الفكرية لكل منهما، وكذلك التنبؤ بمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين، فقد قسم فوكوياما العالم إلى معسكرين، الأول: عالم ما بعد التاريخ، الذي وصل إلى الديمقراطية الليبرالية التي تشكل نهاية التطور الأيديولوجي للإنسانية، أما الثاني: العالم الغارق في التاريخ، وهي الدول التي لا تطبق النظام الديمقراطي الليبرالي، والتي تطبق سياسة القوة والصراعات فيما بينها، إشارة منه إلى دول العالم الثالث، وأكد نشر الديمقراطية الأمريكية في دول العالم. أما هانتنغتون فقد قسم العالم إلى سبع حضارات رئيسة مع احتمالية قيام الثامنة، وأكد الصدام الحضاري الدائم بين الحضارات، وأعاد ترتيب المعسكرات الأيديولوجية في عالم الحرب الباردة السابقة، إلى معسكرات صدام الحضارات في عالم ما بعد الحرب الباردة، وحدد الحضارات التي تصدم بالغرب. إن أطروحات فوكوياما وهانتنغتون وفق نظرتهم لدول العالم، أدت إلى زيادة الاستعمار في الشرق الأوسط، وهو استعمار يحمل فكراً جديداً وكان نموذج هذا الاستعمار كما دعا له فوكوياما وهانتنغتون في العراق وأفغانستان، واستمرار احتلال فلسطين.

---

[١] عاطف الغمري. مرجع سابق، ص: ٦٢.

حدد فوكوياما وهانتنغتون الدول التي تغرق في التاريخ وتشكل تحدياً للحضارة الغربية، وكان التحديد متمثلاً في دول العالم الثالث، والتي تعتنق الديانة الإسلامية، واعتبروا هذه الدول مصدر التهديد للغرب، وفق نظرة كل منهما في أطروحته، فإن فوكوياما يعتبر الأيديولوجيا الإسلامية قد انتهت ولم يبقَ سوى الدين، أما هانتنغتون فقد اعتبر الحضارة الإسلامية هي التي تشكل تهديداً حقيقياً للحضارة الغربية، ويمكن الرد على أطروحات فوكوياما وهانتنغتون من خلال النقاط التالية:

أولاً: الدول العربية ممزقة ولا يوجد قومية عربية ودولة مركز، والدول العربية والإسلامية تطبق نظاماً سياسياً علمانياً في الحكم، ولا تعمل وفق أيديولوجيا إسلامية كاملة.

ثانياً: الهجوم على الدول الإسلامية من أجل تجزئة الوطن العربي، والدفع بتجاه سيطرة إسرائيل على المنطقة وأن تبقى القوة الوحيدة الموجودة في المنطقة العربية، ولم يكن السبب هو تشكل تهديد من قبل الدول العربية على الولايات المتحدة، فإن الدول العربية ترتبط باتفاقيات ومعاهدات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك وجود العديد من القواعد العسكرية الأمريكية في البلدان العربية.

وقد تمثلت نهاية التاريخ عند فوكوياما بانتصار الفكر الغربي الديمقراطي، ويؤكد فوكوياما نهاية الأيديولوجيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتصار الأيديولوجيا الغربية المراد تعميمها على العالم. أما هانتنغتون أنهى الأيديولوجيا السياسية ولم ينهِ التاريخ، فقد استبدل الصدام الأيديولوجي بين الغرب والشرق،

بالصدام الحضاري الدائم، وجعل الحضارات هي المحرك الجديد للتاريخ خلافاً لرؤية فوكوياما.

إن هذا التقسيم لدول العالم وحضاراته عند فوكوياما وهانتنغتون، هو تقسيم تحكيمي وليس علمياً، فقد قسم فوكوياما العالم إلى دول تاريخية ودول ما بعد التاريخ، وفقاً للفكر الليبرالي، وبحكم مسبق بأن الأيديولوجيا الديمقراطية الليبرالية هي التي تمثلت في نهاية التاريخ وسقطت كل الأيديولوجيات الأخرى، فبالرغم من تراجع الصراع الأيديولوجي في العالم غير أن الدول لديها أيديولوجيتها الخاصة التي قد تتفق مع الولايات المتحدة وقد تعارضها. أما هانتنغتون في تقسيماته لحضارات العالم، لم يتبع المنهج العلمي فقد قسم الحضارات وفقاً لمعايير محددة مسبقاً، حيث ينص في أُطروحته على وجود حضارة بوذية، وفي تقسيماته للحضارات ينفي وجودها، وقد قسم الحضارات بشكل مختلف ففي كل حضارة نجد معياراً جديداً مثل" الدين، الجغرافيا، القارة، الدولة". وهذا يعتبر إخلالاً في المنهجية العلمية. تقسيمات فوكوياما وهانتنغتون، تتماشي مع فكر المحافظين الجدد، التي تسعى صراحة لخلق إمبراطورية أمريكية استعلائية على دول العالم كافة، وهذا ما ينظر له فوكوياما وهانتنغتون بأن الولايات المتحدة الأمريكية النموذج الأمثل لكل دول العالم، وهذا يعني أن أطروحات فوكوياما وهانتنغتون تدعم القوة والنفوذ الأمريكي في النظام العالمي الجديد. وبظهور أطروحة هانتنغتون تواترت أطروحة فوكوياما من السياسة الأمريكية، لأن هانتنغتون يحمل نظرة أكثر واقعية لمستقبل العالم "الصراع من أجل المصلحة الوطنية"، وبذلك يخالف وجهة نظر فوكوياما لمستقبل العالم الذي بشر

بالسعادة الإنسانية، وأعاد هانتنغتون "العدو" في الفكر الأمريكي من جديد المتمثل بالإسلام، ليبرر سياسة الولايات المتحدة التوسعية في العالم، وقد أنهت الأطروحة هانتنغتون ما جاءت به أطروحة فوكوياما لمستقبل الولايات المتحدة من اطمئنان ونهاية للشر الأيديولوجي، فهو يمثل النظرة الليبرالية للعالم.

وأخيراً يمكن القول أن التاريخ لن ينتهي في ظل مشاكل الفقر والمرض والفوارق والظلم والقهر الذي يعاني منه الإنسان من جانب، والمشكلات التي تواجه الأيديولوجيا الديمقراطية الليبرالية نفسها كالأزمات المالية وزيادة الفوارق الاجتماعية بين البرجوازية والعمال، وكذلك زيادة معدلات الجريمة من جانب آخر. إن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون أيديولوجيا، وبدون عقيدة دينية، حتى لو افترضنا أن نهاية التاريخ طرح نظري وارد تجري محاولة بلوغه باستمرار دون الوصول إليه أبداً[١]. فالتاريخ الذي أبى أن ينحصر في حدود الإمبراطورية الرومانية، لأن هذه الإمبراطورية لا تمثل كل التاريخ، الذي تجاوز إرادة الإمبراطور الفرنسي نابليون، لأنه أقوى منها، ممثلاً بشعوب الأرض الطامحة إلى الاستقلال، والذي أدخل هتلر في عداد سفاحي التاريخ، هو نفسه الذي سوف يتجاوز أمريكا ونهاية التاريخ الفوكويامي[٢]. أما الصدام الحضاري في رأي هانتنغتون الذي لم ينسَ في كل معتقداته وأفكاره، العقيدة التي تحرك توجهاته الفكرية، ففي أعماق اليهودي الأمريكي هانتنغتون تكمن مبادئ التوراة Torah، وشعب الله المختار. وصدام الحضارات

---

[١] مالك أبو شهيوة ومحمود خلف. مرجع سابق، ص: ٣٠٣.

[٢] إبراهيم محمود. مرجع سابق، ص: ١٣٩.

في رأيه البقاء للأصلح والأقوى، وهذا ما تنص عليه التوراة صراحه بأن اليهود فوق مستوى الناس جميعاً. أما مسألة نهاية الأيديولوجيا في فكر فوكوياما وهانتنغتون، في تنظير أيديولوجي جديد ولا تعني نهاية الأيديولوجيا، بل تنظير لأيديولوجيا المحافظين الجدد.

من خلال فصول الكتاب يتبين لنا أن أفكار فوكوياما وهانتنغتون حظيت بانتشار واسع في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها. وأن هذه الأفكار تم ممارستها في السياسة الأمريكية في عهد جورج بوش الابن الذي حكم الولايات المتحدة الأمريكية فترتين رئاسيتين ٢٠٠١-٢٠٠٩، ولا زالت هذه الأطروحات الفكرية محور نقاش في الدراسات الأكاديمية ومحل إعجاب بعض الساسة وصناع القرار في الولايات المتحدة. وبعد استكمال العمل بهذه الدارسة تم التوصل إلى النتائج التالية:

١. فوكوياما وهانتنغتون يسعيان إلى هيمنة الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد بوصفها قوة عظمى وحيدة، وأن الولايات المتحدة هي المؤتمنة على الحضارة الغربية، وعلى مبادئ الديمقراطية الليبرالية. خلافاً لما حملته أطروحات ونظريات المفكرين الغربيين.

٢. التنظير الأيديولوجي لفوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، هو تنظير لأيديولوجيا المصلحة والاقتصاد بالدرجة الأولى، ولا يقع ضمن الأيديولوجيا السياسية وعلم الأفكار. وهذا التنظير لا يفسر واقع المجتمعات الإنسانية بقدر ما يتحامل عليه لصالح هيمنة الولايات

المتحدة الأمريكية بوصفها إمبراطورية عظمى في النظام العالمي الجديد.

٣. حملت أطروحتا فوكوياما وهانتنغتون جملة من الفرضيات، وسعيا إلى إثباتها كي تصبح أطروحاتها نظريات سياسية. إلا أن هذه الدراسة أثبتت بأن هناك جملة من الفرضيات كانت خاطئة وبعيدة عن منهج البحث العلمي، بالإضافة إلى أن الواقع أثبت عدم صحة هذه الفرضيات التي قامت عليها أطروحاتها الفكرية.

٤. الأطُروحات والدراسات للساسة والمنظرين الأمريكيين في مراكز البحوث والدراسات، ذات تأثير مباشر على صناعة القرار في الولايات المتحدة، وذات أهمية بالغة في السياسة الأمريكية لإمكانية تطبيقها والأخذ بها.

٥. تنشأ الصراعات الدولية في حالة تصادم المصالح القومية بين الدول، ووفقاً لعوامل عدة من ضمنها العامل الثقافي، ولم يكن العامل الثقافي هو السبب الرئيس في الصراعات الدولية كما ينظر له هانتنغتون.

٦. التاريخ لم ينتهِ كما ينظر له فوكوياما، ولم ينعم العالم بالسعادة الإنسانية التي بشر بها، فهناك مشكلات رئيسة تعصف بالأيديولوجيا الرأسمالية وخاصة الأزمة العالمية ٢٠٠٨.

٧. بالرغم من الاختلاف والتباين في الطرح الفكري لفوكوياما وهانتنغتون، إلا أن هناك اتفاقاً على أسس فكرية يجتمع رأي المحافظين الجدد عليها،

كالهيمنة الدولية والقوة العسكرية، ونشر الديمقراطية الأمريكية في العالم.

٨. من خلال عرضنا للالتقاء والاختلاف الفكري لفوكوياما وهانتنغتون يتبين لنا أن أطروحاتها الفكرية جاءت وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً، ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد.

في ضوء هذه الدراسة والنتائج التي توصلت إليها، وما اطلع عليه الباحث من دراسات فكرية وسياسية متخصصة لها علاقة بأطروحات فوكوياما وهانتنغتون، ومن خلال تحليل هذه الأطروحات وما تضمنتاه من أفكار ورؤى سياسية لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين، يمكن لنا القول بأن هناك جملة من التوصيات التي توصلنا إليها، ويأمل الباحث أن تثري وتسهم في مساعدة الدارسين والباحثين في الفكر الأمريكي وصانعي القرار السياسي وذلك للتعرف إلى أسنة أقلام المفكرين والسياسيين في الولايات المتحدة الأمريكية، لأهمية التنظير الفكري وممارسته في السياسة الأمريكية، وعليه أوصي بالتالي:

١. قراءة ودراسة كل ما يكتب في مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية، وخاصة تلك التي لها علاقة بمراكز صنع القرار في الولايات المتحدة، وأخذ هذه الدراسات على محمل الجد، وذلك لإمكانية ممارستها في السياسة الأمريكية، خاصة المراكز البحثية ووسائل الإعلام التي يمتلكها المحافظون الجدد، لما لها بالغ الأثر على عامة الشعب وصانعي القرار السياسي في الولايات المتحدة.

٢. العمل، من قبل الباحثين والأكاديميين في مراكز الدراسات العربية على مناقشة وتحليل الدراسات المنشورة في المراكز الأمريكية المهمة، خاصة التي تصدر عن مجلة الشؤون الخارجية "Foreign Affairs" وتقديم هذه التحليلات لصناع القرار والكشف عن أفكار المراكز الأمريكية، وما يدور حولها للرأي العام العربي وكذلك إمكانية الرد على هذه الدراسات، إن أمكن، وذلك على غرار ما يفعله إدوارد سعيد في المجلة نفسها.

٣. إن الإدارات الأمريكية التي تستمد استراتيجيتها من أفكار وأطروحات مفكريها ليست قدراً محتوماً، فهؤلاء المفكرون لهم عقيدتهم ومصالحهم، وما ينبغي علينا فعله هو وضع استراتيجية مضادة للرد على هذه السياسات التي تستهدف عقيدتنا وحضارتنا، وفقاً لمصالحنا وثقافتنا العربية.

٤. العمل على حل النزاعات في العالم العربي، التي تعد من أكثر مناطق العالم انتشاراً ومدخلاً تنظيرياً للمحافظين الجدد والطامعين في الوطن العربي.

٥. تقديم رؤية عقائدية عن الإسلام الصحيح للعالم، حتى لا يكون سبباً قوياً للتدخل العسكري الأمريكي في العالم العربي، لأن رؤية السياسيين والمفكرين الأمريكيين أن الإسلام والمسلمين دين تطرف ومتطرفون، والعمل على إبراز قيمنا وثقافتنا العربية التي تجمع بين أقطار الوطن العربي، والتي تعترف بوجود الآخر وفقاً لتعاليم ديننا الحنيف، والسعي لتقديم رؤية ثقافية وفكرية عن الحضارة الإسلامية للعالم.

٦. ضرورة التحرك والعمل من أجل قيام الوحدة العربية، وخلق وطن عربي قائم على القومية العربية لا على القطرية العربية، أو على الأقل قيام وحدة عربية اقتصادية تؤدي في نهايتها إلى الوحدة العربية، خاصة أن الحضارة العربية مليئة بالقواسم المشتركة التي تساعد على قيام الوحدة العربية، لمجابهة المهددات الغربية على أقطار العالم العربي والإسلامي، هذا إذا صدقت النوايا، وتحسسنا عبء المسؤولية.

وختاماً، فحسبي بأنني اجتهدت، فإن أصبت فبتوفيق من الله عز وجل، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله من وراء القصد.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الموسوعات:

١. ٢٠١١: الموسوعة العربية. إصدار هيئة الموسوعة العربية، م١٣، سورية - دمشق.

٢. صليبا، جميل. ١٩٨٢: المعجم الفلسفي بالألفاظ الغربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. دار الكتاب اللبناني، ج١ و ج٢.

٣. الكيالي، عبد الوهاب. وآخرون. ب، ت: موسوعة السياسة. ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٤. لالاند، أندريه. ٢٠٠١: موسوعة لالاند الفلسفية. ت خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت- باريس، م١ - م٢.

٥. ول وايرل، ديورانت. ١٩٨٨: قصة الحضارة، المجلد. ١ - ج١،ت زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت - لبنان.

ثالثاً: الكتب:

أ. الكتب العربية:

١. أبراش، إبراهيم. ١٩٩٩: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية.

شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط - المغرب.

٢. ٢. أبراش، إبراهيم. ٢٠٠٦: أصول الفكر السياسي من حكم الملوك الآلهة إلى الفكر الليبرالي العلماني. ط ٢، مكتبة ومطبعة دار المنارة - فلسطين.

٣. أبو شهيوة، م. خلف، م. ١٩٩٥: الأيديولوجيا والسياسية دراسات في الأيديولوجيات السياسية المعاصرة. ج ٢، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ١٩٩٥.

٤. أبو صوي، مصطفى. ٢٠١١: صراع الحضارات. في كتاب: أهل الكتاب والعيش المشترك، إصدار الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس، الصفحات: ٧- ١٧.

٥. الأسطل، كمال. ٢٠٠٨: نظريات العلاقات الدولية، جامعة الأزهر- غزة.

٦. الباش، حسن. ٢٠٠٥: صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟. دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، دمشق - سورية.

٧. بدوي، عبد الرحمن. ١٩٩٦: فلسفة القانون والسياسة عند هيجل. دار الشروق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان.

٨. الجابري، محمد. ١٩٩٧: قضايا في الفكر المعاصر. مركز دراسات الوحدة العربية.

٩. الجابري، محمد. ١٩٩٧: مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب. مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، سلسلة الثقافة القومية، العدد ٢٢٧.

١٠. جربوعة، محمد. ٢٠٠٤: مهلاً هانتنغتون.. مهلاً فوكوياما "نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة". إعداد المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية، الناشر مكتبة العبيكان الرياض - السعودية.

١١. جعفر، صفاء. ١٩٩٩: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه. دار المعرفة الجامعية، القاهرة - مصر.

١٢. جندية، بتول. ٢٠١١: على عتبات الحضارة - بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار. دار الملتقى من أجل وعي أعمق بقضايا الإنسان والعصر. حلب - سورية.

١٣. جوزيف، جون. ٢٠٠٧: اللغة والهوية قومية-إثنية- دينية. ت عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤٢، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

١٤. حاتم، لطفي. ٢٠١٠: موضوعات في الفكر السياسي المعاصر. الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.

١٥. حجار، جورج. ٢٠٠٥: أميركا في طور الرايخ الرابع. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٦. حسين، خليل. ٢٠١١: العلاقات الدولية النظرية والواقع - الأشخاص والقضايا. منشورات دار الحلبي الحقوقية، بيروت - لبنان.

١٧. الثقافة العربية في عصر العولمة. الناشر دار الساقي، بيروت - لبنان.

١٨. الحمداني، قحطان. ٢٠١٢: المدخل إلى العلوم السياسية. دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.

١٩. الخطايبة، صايل. ٢٠١٠: مدخل إلى علم السياسة. دار وائل للنشر والتوزيع، عمان -الأردن.

٢٠. خليفة، ع. إسماعيل، ف. ٢٠٠٦: المدخل في الأيديولوجيا والحضارة. الناشر مكتبة بستان المعرفة، القاهرة - مصر.

٢١. زاهر، ضياء الدين. ٢٠٠٤: مقدمة في الدراسات المستقبلية مفاهيم- أساليب - تطبيقات. المركز العربي للتعليم والتنمية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة - مصر.

٢٢. زناتي، أنور. ٢٠٠٦: الطريق إلى صدام الحضارات مع دراسة لتاريخ الصراع في العالم. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٣. سليمان، فريد. ٢٠٠٠: مدخل إلى دراسة التاريخ. مركز النشر الجامعي، القاهرة - مصر.

٢٤. شكشك، أنس. ٢٠٠٩: فلسفة الحياة دراسة الفكر والوجود. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.

٢٥. شلبي، أمين. ٢٠٠٥: أمريكا والعالم متابعات في السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠-٢٠٠٥. نشر وتوزيع عالم الكتب، القاهرة - مصر.

٢٦. شميط، وليد. ٢٠٠٥: إمبراطورية المحافظين الجدد التضليل الإعلامي وحرب العراق. الناشر دار الساقي، بيروت - لبنان.

٢٧. الشيخ، رأفت. ٢٠٠٠: تفسير مسار التاريخ نظريات في فلسفة التاريخ. الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة - مصر.

٢٨. الشيخ، محمد. ٢٠٠٨: فلسفة الحداثة في فكر هيجل. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت - لبنان.

٢٩. صابر، ف. خفاجة، م. ٢٠٠٢: أسس ومبادئ البحث العلمي. مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية - مصر.

٣٠. صبحي، أحمد. ١٩٧٥: في فلسفة التاريخ. الناشر مؤسسة الثقافة الجامعية.

٣١. صعب، حسن. ١٩٩٧: علم السياسة. دار العلم للملايين، ط٣، بيروت – لبنان.

٣٢. طشطوش، هايل. مقدمة في العلاقات الدولية. جامعة اليرموك – الأردن ٢٠١٠.

٣٣. الطعان، عبد الرضا. ١٩٩٢: تاريخ الفكر السياسي الحديث. الناشر دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد.

٣٤. عبد الرحمن، عادل. ٢٠٠٧: النظرية السياسية المعاصرة دراسة في النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة. الناشر الدار الجامعية، الإسكندرية – مصر.

٣٥. عبد اللطيف، أميمة. ٢٠٠٣: المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة– مصر.

٣٦. عبد الناصر، وليد. ٢٠١٠: من بوش إلى أوباما المجتمع والساسة في الولايات المتحدة الأمريكية. مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع.

٣٧. عبيدات، محمد، وآخرون. ١٩٩٩: منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات. دار وائل للطباعة والنشر، ط ٢، عمان – الأردن.

٣٨. عثمان، حسن. ٢٠٠٠: منهج البحث التاريخي. ط ٨، الناشر دار المعارف.

٣٩. العروى، عبدالله. ١٩٩٥: الأيديولوجيا العربية المعاصرة صياغة جديدة. الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

٤٠. عساف، عبد المعطي. ١٩٩٥: مقدمة إلى علم السياسة. الناشر دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض - السعودية.

٤١. العطار، موفق. ٢٠٠٧: المحافظون الجدد والحلم الإمبراطوري. الناشر دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق - سورية.

٤٢. عقيل، عقيل. ١٩٩٩: فلسفة مناهج البحث العلمي. مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر.

٤٣. عليان، ر، غنيم، ع. ٢٠٠٠: مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.

٤٤. عمر، ع. حجر، ج. ٢٠٠٤: صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث. دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة - مصر.

٤٥. غالي، وائل. ٢٠٠٢: نهاية الفلسفة دراسة في فكر هيجل. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٦. الغمري، عاطف. ٢٠٠٩: أمريكا في عالم يتغير. الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة - مصر.

٤٧. الفرا، حمد. ٢٠٠٤: محاضرات في الحركات والأحزاب السياسية لطلبة العلوم السياسية، جامعة الأزهر - غزة.

٤٨. فضل، صلاح. ١٩٩٨: نظرية البنائية في النقد الأدبي، الناشر دار الشروق، القاهرة - مصر.

٤٩. فهد، بدري. ٢٠١٠: الفكر والحضارة. الناشر دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.

٥٠. القاضي، فاروق. ٢٠٠٤: آفاق التمرد: قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي الإسلامي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان.

٥١. قبيسي، هادي. ٢٠٠٨: السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية. الدار العربية للعلوم ناشرون.

٥٢. قرني، بهجت. ٢٠٠٣: العلاقة بين الفكر والسياسة كما تظهر في نظرية صدام الحضارات. في كتاب: صناعة الكراهية في العلاقات العربية-الأمريكية تحرير وتقديم أحمد أحمد وممدوح حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان.

٥٣. كرم، يوسف. ٢٠١٢: تاريخ الفلسفة الحديثة. كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة - مصر.

٥٤. كيلة، سلامة. ٢٠١٠: عصر الإمبراطورية الجديدة. مكتبة جزيرة الورد، القاهرة – مصر.

٥٥. ليلة، علي. ٢٠٠٦: تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع. دار شركة الحريري للطباعة، القاهرة: جامعة عين شمس، كلية الآداب.

٥٦. مجاهد، مجاهد. ١٩٨٥: معارك نقدية هيجل قلعة الحرية. الناشر سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٥٧. المديني، توفيق. ٢٠٠٣: التوتاليتارية الليبرالية الجديدة والحرب على الإرهاب. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية.

٥٨. مسعد، نفين. ٢٠٠٣: السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الدول العربية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر٢٠٠١، في كتاب: صناعة الكراهية في العلاقات العربية–الأمريكية تحرير وتقديم أحمد وممدوح حمزة، الصفحات: ٢٠٧ – ٢٦٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان.

٥٩. المشاط، عبد المنعم. ٢٠١١: قاموس المفاهيم السياسية. الناشر دار الشروق الدولية، القاهرة – مصر.

٦٠. مصطفى، نادية. ٢٠٠٦: جدالات حوار/ صراع الحضارات:

إشكالية العلاقة بين السياسي - الثقافي في خطابات عربية وإسلامية. مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة - مصر.

٦١. مطر، أميرة. ١٩٩٥: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس. ط٥، دار المعارف، القاهرة - مصر.

٦٢. مطر، أميرة. ٢٠٠٣: مقالات فلسفية حول القيم والحضارة. الناشر مكتبة مدبولي القاهرة.

٦٣. مقلد. إسماعيل. ١٩٩١: العلاقات السياسية والدولية دراسة في الأصول والنظريات، ط٤ المكتبة الأكاديمية، القاهرة - مصر.

٦٤. منصور، أشرف. ٢٠٠٨: الليبرالية الجديدة: جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر.

٦٥. منصور، أنيس. ١٩٧٨: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله. المكتب المصري الحديث، القاهرة - مصر.

٦٦. مهدي، محمد. ٢٠٠٢: التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية. المركز العلمي للدراسات السياسية.

٦٧. مهنا، م. الصالحي، ع. ١٩٨٥: علم السياسة بين التنظير والمعاصرة. الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

٦٨. مهنا، محمد. ١٩٩٧: علم السياسة. الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة - مصر.

٦٩. مؤنس، حسين. ١٩٧٨: الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. سلسلة عالم المعرفة، العدد الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

٧٠. مؤنس، حسين. ١٩٨٤: التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ. الناشر دار المعارف - مصر.

٧١. النشار، مصطفى. ١٩٩٩. تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٧٢. النشار، مصطفى. ٢٠١٢: فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها. الناشر دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الأردن.

٧٣. نهويض، وليد. ١٩٩٦: المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ. الناشر دار ابن حزم، بيرت - لبنان.

٧٤. الهزايمة، محمد. ٢٠٠٥: قضايا دولية تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى. المكتبة الوطنية عمان - الأردن.

٧٥. ياسين، أبو علي. ١٩٩٤: على دروب الثقافة الديمقراطية، الناشر دار حوران للدراسات والطباعة والنشر.

ب. الكتب المترجمة:

1. Mordant ،Michel. ٢٠٠١: أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم العولمة. ت حامد فرزات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية.

٢. اشبنغلر، أسوالد. ١٩٦٤: تدهور الحضارة الغربية. ت أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، ج١، بيروت – لبنان.

٣. أشكروفت، بيل. وآخرون. ٢٠١٠: دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسة. ت أحمد الروبى وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر.

٤. بايبر، مايكل. ٢٠٠٦: كهنة الحرب الكبار. ت عبد اللطيف أبو البصل، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية.

٥. بردويل، فرناند. ١٩٩٩: تاريخ وقواعد الحضارات. ت حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦. بريتون، رولان. ١٩٩٣: جغرافيا الحضارات. ت خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان – بيروت.

٧. بوشنسكي، إ. م. ١٩٩٢: الفلسفة المعاصرة في أوروبا. ت عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٥، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت.

٨. بوميان، كريزيستوف. ٢٠٠٧: تاريخ البُنى. إعداد جاك لوغوف: التاريخ الجديد، ت محمد المنصوري، الصفحات: ١٩٣ - ٢٣٣، المنظمة العربية للترجمة.

٩. بيتر مارتن، ه. شومان، ه. ١٩٩٨: فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ت عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

١٠. تندر، جلين. ١٩٩٣: الفكر السياسي الأسئلة الأبدية. ت محمد مصطفى غنيم، الناشر الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

١١. توبيني، أرنولد.ب، ت: الحضارة في التاريخ. ت أحمد عصام الدين.

١٢. تودروف، تزفيتان. ٢٠٠٩: الخوف من البرابرة، ما وراء صدام الحضارات. ت جان ماجد جبور، الناشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة.

١٣. توفلر، الفن. ١٩٩٠: حضارة الموجة الثالثة. ت عصام قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي- ليبيا.

١٤. توينبي، أرنولد. ٢٠٠٦: الحضارة في الميزان. ت أمين محمود الشريف آفاق ثقافية- سلسلة الكتاب الشهري ٣٤، ط٢، القاهرة - مصر.

١٥. ج. س. هيرسول. ١٩٨٧: سياسات وأفكار دراسة علمية تحليلية لمفهوم النظرية السياسية الاجتماعية مع تطبيقاتها على واقع السياسية الأمريكية العامة. ت صلاح الدين الشريف، الناشر مكتبة الإنجلو المصرية.

١٦. جاكوبي، راسل. ٢٠٠١: نهاية اليوتوبيا. ت فاروق عبد القادر، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٦٩، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت.

١٧. جان جاك، شوفالييه. ١٩٩٨: تاريخ الفكر السياسي. ت محمد صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٨. دوفرجيه، موريس. ٢٠٠٩: مدخل إلى علم السياسة. ت جمال الأتاسي وسامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان.

١٩. ديريدا، جاك. ٢٠٠٦: أطياف ماركس. ت منذر عياشي، ط٢، الناشر مركز الإنماء الحضاري، حلب - سورية.

٢٠. رسل، برتراند. ١٩٧٧: تاريخ الفلسفة الغربية - الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة، ت محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر.

٢١. ستروك، جون. ١٩٩٦: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا. ت محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٠٦، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون- الكويت.

٢٢. سنغاس، ديبتر. ٢٠٠٨: الصدام داخل الحضارات "التفاهم بشأن الصراعات الثقافية". ت شوقي جلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة.

٢٣. سولت. جيرمي. ٢٠٠٨: تفتيت الشرق الأوسط تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي. ت نبيل الطويل، دار النفائس، دمشق – سورية.

٢٤. شتراوس، م. كروبسي، ج. ٢٠٠٥: تاريخ الفلسفة السياسية. ت محمود سيد أحمد، ج٢، المجلس الأعلى للثقافة.

٢٥. شوا، إيمي. ٢٠١١: عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرض العالم وأسباب سقوطها. ت منذر محمود محمد، الناشر مكتبة العبيكان.

٢٦. علي، طارق. ٢٠٠٨: الحضارات المعذبة الإسلام والغرب. في: كولن مويرزمعد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. ت معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: ٧٥ - ٩٤، الرياض- السعودية.

٢٧. غريقيش، م. أوكالاهان، ت. ٢٠٠٨: المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية. ت مركز الخليج للأبحاث.

٢٨. فوكوياما أ، فرانسيس. ١٩٩٣ نهاية التاريخ وخاتم البشر. ت حسين أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

٢٩. فوكوياما ب، فرانسيس. ١٩٩٣: نهاية التاريخ والإنسان الأخير. تقديم مطاع صفدي، ت فؤاد شاهين وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان.

٣٠. فوكوياما، فرانسيس. ٢٠٠٦: مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية. ت إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات مترجمة ٢٣، أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة.

٣١. فوكوياما، فرانسيس. ٢٠٠٧: أمريكا على مفترق طرق. ت محمد التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية.

٣٢. فولكوغونوف، ديمتري. ١٩٩٥: ستالين الواقع والأسطورة. ت حازم حجازي، دار المشرق للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٣. كامباني، كريستيان. ٢٠٠٣: الفلسفة السياسية اليوم أفكار، مجادلات، رهانات. ت نبيل سعد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة – مصر.

٣٤. كرستول، إرفنغ. ٢٠٠٥: قناعة المحافظة الجديدة ماذا كانت، وكيف أصبحت. في: أرون ستلزتحرير. المحافظون الجدد. ت فاضل جتكر، الناشر مكتبة العبيكان، الصفحات:٥٩ - ٦٥، الرياض - السعودية.

٣٥. كوش، دنيس. ٢٠٠٧: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ت منير السعيداني، الناشر المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية.

٣٦. كولر، جون. ١٩٩٥: الفكر الشرقي القديم. ت كامل حسين، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

٣٧. كون، توماس. ١٩٩٢: بنية الثورات العلمية. ت شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٨، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت.

٣٨. كونزمان، بيتر. ١٩٩١: وآخرون. أطلس الفلسفة. ت جورج كتورة، ط٢، الناشر المكتبة الشرقية.

٣٩. لاكوست، إيف. ٢٠١٠: الجغرافيا السياسية للمتوسط. ت زهيدة جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث- كلمة.

٤٠. لوغوف، جاك. ٢٠٠٧: التاريخ الجديد. إعداد: جاك لوغوف ت محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة.

٤١. ليشته، جون. ٢٠٠٨: خمسون مفكراً أساسياً معاصراً. ت فاتن البستاني، الناشر المنظمة العربية للترجمة.

٤٢. ماتلار، أرمان. ٢٠٠٨: التنوع الثقافي والعولمة. ت خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت - لبنان.

٤٣. مانهايم، كارل. ١٩٨٠: الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة. ت محمد رجا الديريني، الناشر شركة المكتبات الكويتية.

٤٤. مجموعة مؤلفين. ١٩٩٧: نظرية الثقافة. ت علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

٤٥. موني، أ. إيفانز، ب. ٢٠٠٩: العولمة المفاهيم الأساسية. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ت آسيا دسوقي، بيروت - لبنان.

٤٦. مويرز، كولن. ٢٠٠٨: الحنين إلى الإمبراطورية تعديل التاريخ الإمبريالي للقوة الأمريكية. في كتاب: كولن مويرز معد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. ت معين الأمام، الناشر مكتبة

العبيكان للنشر، الصفحات: ١٦٧ - ٢٠٤، الرياض - السعودية.

٤٧. ميردين، سايمون. ٢٠٠٤: الصراع الثقافي في العلاقات الدولية: الغرب والإسلام. الإعداد والتحرير جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ت مركز الخليج للأبحاث، الصفحات: ٧٨٢ - ٨١٢.

٤٨. ميكسينزوودإلين.٢٠٠٨: الديمقراطية كأيديولوجيا للإمبراطورية. في: كولن مويرزمعد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. ت معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: ٢٥ - ٤٣، الرياض- السعودية.

٤٩. نيسبت، ريتشارد. ٢٠٠٥: جغرافية الفكر- كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف... ولماذا؟. ت شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣١٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

٥٠. هابرماس، يورغن. ٢٠٠٣: العلم والتقنية كأيديولوجيا. ت حسن صقر، منشورات الجمل، اللاذقية - سورية.

٥١. هاسنر، بيير. ٢٠٠٥: عمانوئيل كانط. في كتاب: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، تحرير ليو شتراوس وجوزيف كروبسي، ت محمود سيد أحمد، ج٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر.

٥٢. هالبر، س. كلارك، ج. ٢٠٠٥: التفرد الأمريكي المحافظون الجدد والنظام العالمي. عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٥٣. هانتنغتون، صمويل. ١٩٩٩: القوة العظمى الانفرادية البعد الجديد للقوة. ت مركز فلسطين للدراسات والبحوث، تراجم ٢، مطابع التوفيق، غزة - فلسطين.

٥٤. هانتنغتون، صمويل. ١٩٩٩: صدام الحضارات. وإعادة صنع النظام العالمي. ت طلعت الشايب، ط٢، الناشر سطور.

٥٥. هنية، آدم. ٢٠٠٨: مدح الإمبراطورية الليبرالية الجديدة في ظل السلام الأمريكي. في: كولن مويرز معد. الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. ت معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: ٢٤٧ - ٢٩٣، الرياض - السعودية.

٥٦. هوبزباوم، إريك. ٢٠١١: عصر التطرفات القرن العشرون الوجيز، ١٩١٤-١٩٩١. ت فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

٥٧. هيجل، غيورغ. ٢٠٠٦: فينومينولوجيا الروح. ترجمة وتقديم ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان.

٥٨. هيرن، فولفجانج. ٢٠١١: التحدي الصيني. ت محمد حسين،

كتاب العربية ١٤، وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية.

٥٩. هيك، جين. ٢٠١٠: عندما تتصادم العوالم بحث الأسس الأيديولوجية والسياسية لصدام الحضارات. ت أحمد محمود، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - كلمة.

٦٠. هيود، أندرو. ٢٠١٢: مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية. ت محمد صفار، المركز القومي للترجمة، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، القاهرة - مصر.

٦١. وولش، ديفيد. ١٩٩٥: عصر ما بعد الأيديولوجية. ت سامية الشامي وطلعت غنيم، مكتبة مدبولي - القاهرة.

٦٢. ويدجري. ج. آلبان. ١٩٩٦: التاريخ.. وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي، ت عبد العزيز جاويد، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر.

رابعاً: الدوريات والمجلات:

١. أبو زيد، أحمد. ٢٠١٢: نظرية العلاقات الدولية: عرض تحليلي. المجلة العربية للعلوم السياسية، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٦، الصفحات: ٤٧-٧٦، خريف ٢٠١٢.

٢. أمينة، رباحي. ٢٠١١: تأثير التحولات الاستراتيجية في النظام الدولي على التنظير في العلاقات الدولية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، تصدر عن جامعة حسيبة بالشلف، الصفحات: ١٧-٣١، يونيو ٢٠١١.

٣. برقوق. عبد الرحمن. ٢٠٠٢: مفهوم النظام في مجال العلاقات الدولية. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير بسكرة، الصفحات:٣٥-٤٥، أكتوبر ٢٠٠٢.

٤. بو بكر، جيلاني. ٢٠١١: فلسفة العولمة وبيانها النظري، قراءة نقدية. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، دورية دولية محكمة تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، العدد ٧، الصفحات: ٢١- ٢٧.

٥. الجاسور، ناظم. ٢٠١٠: الفكر السياسي الأمريكي والنظام الدولي الجديد. المجلة السياسية والدولية، تصدر عن كلية العلوم السياسية - جامعة المستنصرية، العدد ١٦، الصفحات: ١- ٦.

٦. جمال الدين، جبار. ٢٠٠٩: الليبرالية ويفاقها المستقبلية، مجلة دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، المجلد١، الإصدار ١٥، الصفحات ٢٠١-٢٢٣.

٧. جمعة، حسين. ٢٠٠٦: الهوية وثقافة التغيير. مجلة الفكر السياسي، العدد

٢٤، السنة الثامنة، الصفحات: ٧- ٢٤، شتاء ٢٠٠٦.

٨. جندلي، عبد الناصر. ٢٠١٣: النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة. مجلة المفكر، العدد ٥، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة- الجزائر، الصفحات:١١٨-١٤٣، نيسان/ إبريل٢٠١٣.

٩. الحروب، خالد.٢٠٠٨: في الفكر السياسي الأمريكي الجديد: عودة التاريخ و رابطة الديمقراطيات. مجلة المستقبل العربي، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٥٧، الصفحات: ٢١ - ٣٨، لشهر تشرين الثاني/ نوفمبر٢٠٠٨.

١٠. حسن، محمد. ٢٠٠٨: الجيو بوليتك ونظرية صدام الحضارات لهانتنغتون. المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ١٦، السنة الخامسة، الصفحات: ١٩-٤٥.

١١. خالقي، ع. عبد الوهاب، ر. ٢٠٠٩: رابطة دول جنوب شرق آسيا "الأسيان "ASEAN نموذج الدول النامية للإقليمية المنفتحة. يصدرها مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر، العدد السادس، الصفحات: ٨١-٩٤، حزيران/ يونيو ٢٠٠٩.

١٢. خفاجي، باسم. ٢٠٠٩: أثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية

الأمريكية. مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٦٩، الصفحات: ٣٩ - ٤٨، تشرين ثاني/ نوفمبر٢٠٠٩.

١٣. راهي، قيس. ٢٠١٢: دور الدولة في أطروحة صدام الحضارات لصمويل هانتنغتون دور المملكة العربية السعودية أنموذجاً. مجلة الخليج العربي، تصدر عن جامعة البصرة- العراق، المجلد ١٥، العدد ٣-٤، الصفحات: ٢٥١ - ٢٩٠.

١٤. ربيع، محمد. ١٩٧٨: الأيديولوجيا السياسية ماهيتها ودورها وعلاقتها بالحقائق والقيم. مجلة مصر المعاصرة، العدد ٣٧٤، السنه التاسعة والستون، الصفحات: ١٠٧ - ١٢٢.

١٥. سعيد، إدوارد. ١٩٩٧: صدام المفاهيم. مجلة الكرمل فصلية دورية. ت منى أنيس، تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد ٥٣، الصفحات: ٤٨ - ٦٣، خريف ١٩٩٧.

١٦. الصالح، عبد الحميد. ١٩٩٧: فوكوياما والخطاب الليبرالي في سقوط الأيديولوجيا. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، المجلد١٣، العدد ٣، الصفحات: ٣٩ - ٨٣.

١٧. عروسي، سهيل.٢٠٠٢: مأزق الليبرالية: نهاية التاريخ نموذجاً. مجلة الفكر السياسي، العدد ١٥، تصدر عن هيئة اتحاد الكتاب العرب

بدمشق، الصفحات: ٩٧ - ١٢٥، خريف ٢٠٠١ شتاء ٢٠٠٢.

١٨. عطوان، محمد. ٢٠٠٩: أوليات الفكر السياسي الغربي المعاصر فرضية صدام الحضارات أنموذجاً. مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، الإصدار٢، الصفحات: ٢٣٠ - ٢٦٧.

١٩. الغامدي، عبد الله. ١٩٩٧: الأيديولوجية السياسية الامريكية: محدداتها اتجاهاتها الرئيسة وتأثيرها على السياسة العامة. مجلة شؤون اجتماعية، تصدر عن جمعية الاجتماعيين، العدد ٥٦، السنة الرابعة، الصفحات: ٨٣ - ١١٠، شتاء ١٩٩٧.

٢٠. الغرباوي، حسام. ٢٠٠٥: الليبرالية: نظرة في منطلقاتها الفكرية وآفاقها المستقبلية. مجلة العلوم السياسية - جامعة بغداد، الإصدار ٣٠، الصفحات: ٢٧ - ٥٨.

٢١. اللهيبي، فائز. ٢٠٠٧: برنارد لويس عراب المحافظين الجدد. مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، جامعة الموصول، المجلد السادس، الصفحات: ٥٧ - ٧٥.

٢٢. محمد، بلخيرة. ٢٠١٣: برديغمات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجاً. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، دورية دولية محكمة تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، العدد١٠، الصفحات: ٧٧ - ٨٥.

٢٣. محمود، إبراهيم. ١٩٩٢: فلسفة نهاية التاريخ الأمريكية. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٤، الصفحات: ١٣٢ - ١٤٣، تشرين أول/ أكتوبر ١٩٩٢.

٢٤. محمود، ف. زيدان، س. ٢٠١٣: الأطاريح الفكرية في عالم ما بعد الحرب الباردة أطروحة صدام الحضارات أنموذجاً. مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية- العراق، المجلد الخامس، العدد ١٨، السنة الخامسة، الصفحات: ٣١٢-٣٢٩.

٢٥. مفتي. محمد. ١٩٩٠: العلاقات الدولية في الفكر السياسي الغربي: دراسة تحليلية، فصلة من مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد الثاني، المجلد ٢٧.

٢٦. مولد، ع، فياض، ع. ٢٠١١: مستقبل الأيديولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث. مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، السنة الثانية والعشرون، العدد ٤٣، الصفحات: ٣١-٥٤.

٢٧. الناصري، محمد. ٢٠١٣: مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام. مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٤١٠، الصفحات: ١٥٠- ١٥٤، نيسان/ إبريل ٢٠١٣.

خامساً: الرسائل العلمية غير المنشورة:

١. أبو نحل، حسام. ٢٠١١: المحافظون الجدد وتأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: مشروع نشر الديمقراطية نموذجاً ٢٠٠١- ٢٠٠٨، قسم العلوم السياسية، جامعة الأزهر- غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة.

٢. الأنصاري، عبد الله. ٢٠٠: الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة دراسة مقارنة بين كارل مانهايم وتوماس كون. قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية- جمهورية مصر العربية.

٣. الجمرة، يونس. ٢٠٠٩: الرؤية العقائدية للجيل الثاني من المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي. كلية العلوم الإنسانية- قسم العلوم السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا- الأردن.

٤. سمحة، عمر. ٢٠٠٥: العولمة الثقافية والثقافة السياسية العربية: برنامج الإصلاح الديمقراطي والثقافة السياسية التشاركية في الوطن العربي. الدراسات العليا برنامج التخطيط والتنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين.

٥. العلوي، نهاوند. ٢٠٠٥: فلسفة التاريخ من منظور فكر غربي معاصر دراسة كارل بوبر، فوكوياما، هانتنغتون العولمة وتأثيرها في العالم العربي. قسم الفلسفة - كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، العراق.

٦. قنديل، وردة. ٢٠١٠: البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، الدراسات العليا - كلية الآداب، قسم اللغة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية - غزة.

سادساً: الصحف:

١. إسبر، علي. ٢٠٠٦: الكتب البارزة في التاريخ الفكري للإنسان. "فينومينولوجيا الروح" للفيلسوف هيجل كاملاً بالعربية. جريدة الحياة السعودية، العدد١٥٧٨٨، ص:١٦، ٢٦حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.

٢. بويا، ماء العنين. ٢٠٠٨: الحرب الحضارية الأولى. جريدة القدس العربي، السنة العشرون، العدد ٥٩٢٢، ص:١٧، الأربعاء ١٨ حزيران/ يونيو٢٠٠٨.

٣. حسن، سيد. ٢٠٠٩: ترجمة عربية لكتاب صمويل هانتنغتون الأخير أمريكا المستقبل ترفع شعار لابد من عدو!. دنيا الثقافة، ص:١٨، السنة ١٣٤، العدد ٤٤٩٢١، الأربعاء ٢ كانون أول/ ديسمبر ٢٠٠٩.

٤. العرفاوي، ناجي.٢٠١٢: فوكوياما يبدأ التاريخ بعد أن أنهاه. أخبار الخليج الجريدة اليومية الأولى في البحرين. العدد ١٢٦٣٨، ص:١٢، الإثنين ٢٩ تشرين أول/ أكتوبر ٢٠١٢.

٥. فرج، ريتا. ٢٠١٣: برنارد لويس... المستشرق الكلاسيكي. جريدة الحياة السعودية، ٣٠ مارس/ آذار٢٠١٣، ص ١٦.

٦. هاشم، هاشم. ٢٠١٤: إنقاذ أسكتلندا يقابله تدمير الوطن العربي، جريدة عكاظ، الرياض، العدد ٤٨٤٤.

٧. وهبة، مراد. ٢٠١٢: رؤيتي لـ"القرن العشرين" ٥٣ ١٩٥٥. جريدة الأهرام، العدد ٤٥٨٣٧، ص:١٢، السنة ١٣٦، الثلاثاء ٥ حزيران/ يونيو ٢٠١٢.

٨. يسين، السيد. ٢٠١٠: صعود وسقوط القوى العظمى. جريدة الحياة الجديدة- فلسطين، العدد ٥٤١٣، ص: ٢٩، الاثنين ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر٢٠١٠.

سابعاً: المؤتمرات وورش العمل:

١. عروة، عباس. ٢٠٠٦: "صدام الحضارات" من منظور علم النزاع والسلم. في المنتدى الفكري الأول لمركز الجزيرة للدراسات، بعنوان: الإسلام والعرب: من أجل عالم أفضل، الدوحة ٢٦-٢٨ أيار/ مايو٢٠٠٦.

ثامناً: المراجع الأجنبية:

Books

1. Bottum, Joseph. 2004: Social Conservatism and the New Fusionism. Edited by peter berkowitz, Varieties of Conservatism in America, Stanford University Stanford, California, by the Board of Trustees of the Leland Stanford Junior University.

2. Fukuyama, Francis. 2012: The Future of History. Can liberal democracy survive the middle class?. Edited by: Gideon rose and Jonathan Tepperman, The Clash of Ideas, Foreign Affairs, pp. 309-322, February2012.

3. Lindberg, Tod.2004: Neo-conservatism Liberal Legancy. Edited by peter berkowitz, Varieties of Conservatism in America Stanford University Stanford,California, by the Board of Trustees of the Leland Stanford Junior University.

4. Sargent, Lyman. 2009: Contemporary Political Ideologies A comparative analysis, printed in Canada.

5. Schmandt , j. ward c. 2000: Sustainable Development: The Challenge of Transition, Cambridge University Press.

6. Dynkin, Alexander. 2011: Strategic Global Outlook: 2030. Russian Academy of Sciences, Institute of World Economy and International relations.

Journals

1. Fox, Jonathan. 2002: Ethnic Minorities and the Clash of Civilizations A Quantitative Analysis of Huntington Thesis. British Journal of Political Science, vol. 32, issue. 3 , pp. 415 - 434, July 2002.

2. Jamaica, Mona. 2012: Nkrumah and the Triple Heritage Thesis and Development in Africana Societies, International Journal of Business, Humanities and Technology, Vol. 2 No. 2; pp68-76, March 2012.

3. Jaquette, J. Lowenthal, A. 2009: Samuel P. Huntington 1927-2008. International Studies, University of Chile, vol. 162, pp. 107- 124.

4. Knight, Kathleen. 2006: Transformations of the Concept of Ideology in the Twentieth Century. American Political Science Review, Vol. 100, No. 4, pp. 619-626, November 2006.

5. Lewis, Bernard. 1990: The Roots of Muslim Rage. The Atlantic Online, September 1990

6. Muller, Jen. 2006: Comprehending conservatism: A new framework for analysis. Journal of Political Ideologies, vol. 11, pp359-365.

7. Burr, Martin. 2007: THE ANGLO-SAXON JUDICIARY, A paper read to the British Legal History Conference in Oxford, 2nd - 5th July 2007.

تاسعاً: المواقع الإلكترونية:

١. أنباء موسكو. ٢٠١٣: دراسة: الحزب الشيوعي هو الفائز الحقيقي في انتخابات الدوما. آذار/ مارس ٢٠١٣.

http://anbamoscow.com/russia/20130313/380780414.html, 2-12-2013.

٢. الأسدي، حسين. ٢٠٠٢: من نهاية التاريخ إلى صدام الحضارات. الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية، العدد ٨٤٤٤، الخميس ١٠ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٢.

http://www.aawsat.com/details.asp?section=5&article=81970&issueno=8444#.UpsGCuKK71U, 9-7-2013.

٣. بومسهولي، عبد العزيز. ٢٠١١: كوجيف فيلسوف الرغبة، مجلة نزوي، العدد ٦٧، تصدر عن مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط- سلطنة عُمان، تموز/ يوليو ٢٠١١.

http://www.nizwa.com/articles.php?id=3695, 14-9-2013.

٤. بوعرفة، عبد القادر. ٢٠١٣: الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ.



إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. العدد ١١، الصفحات: ٥٩ -١٠٧، المجلد الثاني، أيار/ مايو ٢٠١٣.

http: / /insaniyat.revues.org /7989, 23-8-2013.

٥. التيار التقدمي الكويتي. ٢٠١٢: على بوابة العام الجديد نجاحات انتخابية لقوى اليسار والأحزاب الشيوعية في ٢٠١٢. ٣٠ كانون أول/ ديسمبر ٢٠١٢.

http: / /taqadomi.com /%D8%B9%D9%84%D9%89%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D9%8A/, 26-12-2013

٦. الجابري، علي. ٢٠١٣: نيتشه بين فلسفة التاريخ والأخلاق، إكسير السياسية والثقافية والعلوم-المغرب، ٩شباط/ فبراير٢٠١٣.

http: / /ixiir.com /homepage / ixiir.com /articles, 10-8-2013

٧. الخراشي، سليمان. ب، ت: الكاثوليك.. الأرثوذوكس.. المارون.. البروتستانت، موقع صيد الفوائد.

http://www.saaid.net/Warathah/.Alkharashy/m/46.htm, 4-10-2013

٨. الخولي، محمد. ٢٠١٣: الغرب مطالب بإدراك أن المعرفة لم تعد حكراً عليه. صحيفة الشعب المصرية، يوم السبت ١٦ آذار/ مارس ٢٠١٣.

http://elshaab.org/thread.php?ID=53760, 11-12-2013.

٩. حميد، بوشما. ٢٠١٠: نقد نظرية صدام الحضارات من المنظورين البنيوي والتاريخي. جريدة طنجة الأدبية، مقالات ودراسات، ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٠.

http://www.aladabia.net/ar/article-5692-1_1.. 9-12-2013

١٠. الركابي، زين العابدين. ٢٠١٢: على حافة فوضى عالمية. الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية، العدد ٨٧٧٥، ٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢.

http: / /www.aawsat.com /leader.asp?section=3&article=140070&issueno=8775#.UpsR8uKK71U, 4-9-2013.

١١. سعيد، عبد المنعم. ٢٠٠١: إذا لم تكن الحضارات، فماذا؟. ملفات الأهرام، جريدة الأهرام، العدد ٤٢٠٢٨، الاثنين ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١.

http: / /yyy.ahram.org.eg /archive /2001 /12 /31 /FILE3.HTM, 28 /11 /2013.

١٢. السعيدي، عبد السلام. ٢٠٠٠: جدلية التاريخ والحضارة. مجلة فكر ونقد، العدد ٣٤، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

http: / /www.aljabriabed.net /n34_09saidi.htm, 12-4-2013.

١٣. صيداوي، رفيف. ٢٠١٢: عصر النهايات أم إتجار بالأوهام، نشرة إلكترونية تصدر عن مؤسسة الفكر العربي، العدد ٢٥٨، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢.

http: / /arabthought.org /%D9%86%D8%B4%D8%B1%D8%A9%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8

A%D8%A9 /%D8%B9%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D9%%D
9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D8%
A3%D9%85%D8%A5%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B
1%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%87%
.D8%A7%D9%85%D8%9F, 23-5-2013

١٤. العربي. ٢٠٠١: ريمون آرون... المتفرج الملتزم. مجلة العربي، العدد٤٦، تشرين أول/ أكتوبر٢٠٠١.

http: / /webcache.googleusercontent.com /
.search?q=cache, 23-5-2013

١٥. عطا الله، مرسي. ٢٠١٣: فؤاد عجمي زعيم الشر المستعربين!. جريدة الأهرام، العدد ٤٦٣٠٤، ١٥ أيلول/ سبتمبر٢٠١٣.

http: / /www.ahram.org.eg /News /943 /11 /231924 /
.6-11-2013

١٦. غصن، غسان. ٢٠٠٤: قراءة أولى في كتاب "مدينة على جبل" في البحث عن تألف الحضارات لا تصادمها. مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية. المملكة المتحدة- لندن، هذه الدراسة قدمت في ندوة عقدت في المنصف بدعوة من حركة الشبيبة الأرثوذكسية، ٢٩آب/ اغسطس٢٠٠٤.



http: / /asharqalarabi.org.uk /barq /b-waha-q-a.htm,. 9-11-2013

١٧. لبنان. ٢٠١٢: أهمية التاريخ والجغرافيا في نشوء الأمم والشعوب، مأخوذة من كتاب "أهمية التاريخ والجغرافيا في نشوء الأمم والشعوب" تأليف جواد بولس، موقع لبنان الابداع والفكر والتراث ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر٢٠١٢.

http: / /browse.feedreader.com /c /lebanonism_ .com /213628601, 9-12-2013

١٨. وولف، مارتن. ٢٠١١: نهاية رجل التاريخ في سفر جديد من مجلدين. الاقتصادية جريدة العرب الدولية، تصدر في السعودية، العدد٦٤٥٧، ١٦ حزيران/ يونيو ٢٠١١.

http: / /www.aleqt.com /2011 /06 /16 /arti- . cle_549480.htmlm, 22-8-2013

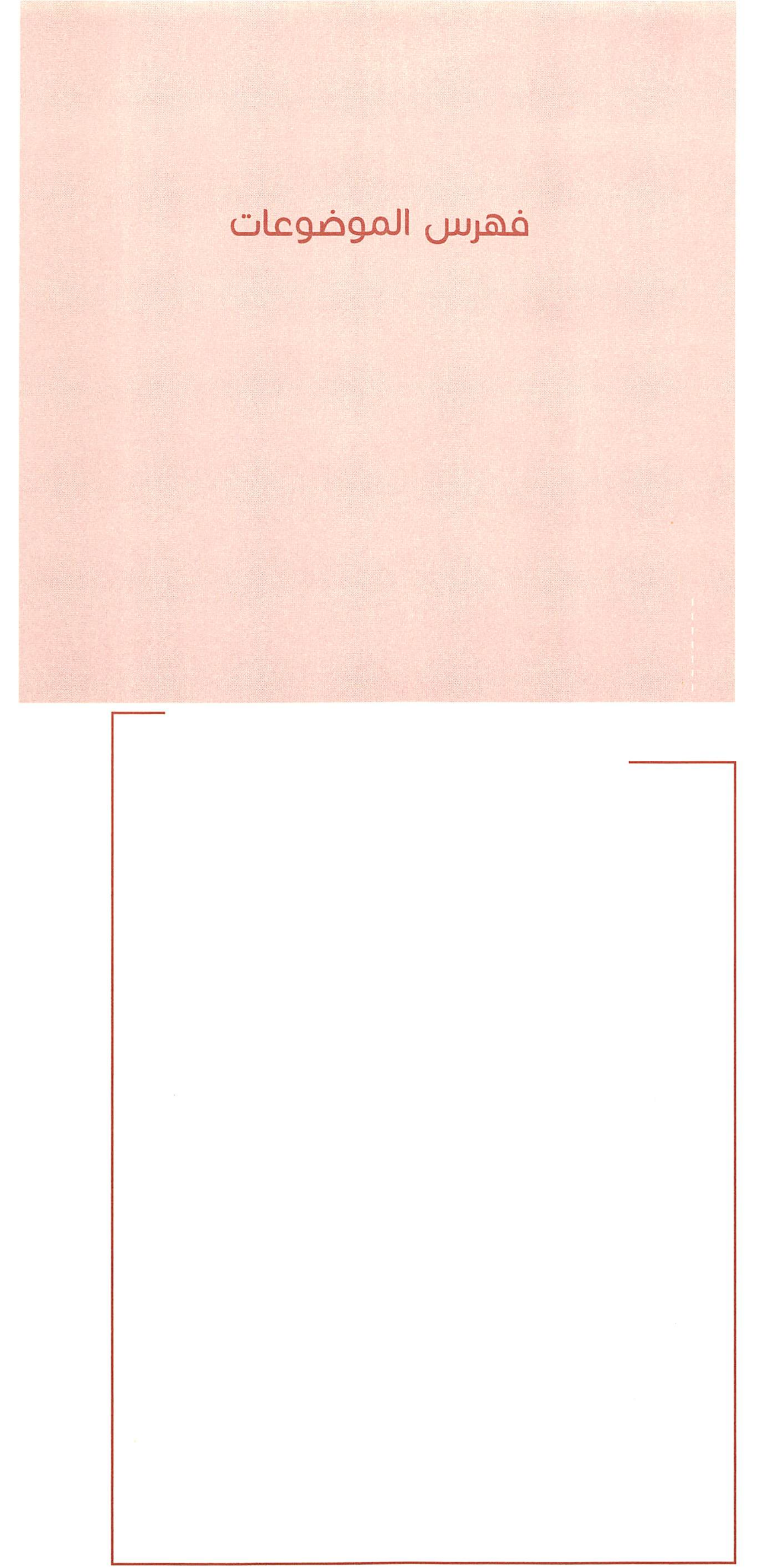
19.Huntington, Samuel. 1993: If Not Civilizations, What? Samuel Huntington Responds to His Critics , Foreign Affairs November /December 1993.

http://www.foreignaffairs.com/articles/49414/sam-

uel-p-huntington/if-notcivilizations-what-samuel-huntington-responds-to-his-crit, 27-11-2013.

20. Wiarda, Howard. December2013: Wilson Center Experts. Wilson Center.

http://wilsoncenter.org/staff/howard-j-wiarda, 2-12-2013.



فهرس الموضوعات